جامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم العقيدة والفلسفة

منهج الشهرستاني في التأريخ للأديان والمذاهب

رسالة مقدمة للكلية
لنيل درجة الماجستير

* * *

إعداد
أحمد محمد عبد العال الجفاوي
المعيد بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين
(فرع جامعة الأزهر بالمنصورة)

* * *

إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد شمس الدين ابراهيم
أستاذ العقيدة والفلسفة
بجامعة الأزهر

الدكتور
محمد سيد احمد المسير
مدرس العقيدة والفلسفة
بجامعة الأزهر

١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

((بسم الله الرحمن الرحيم))

* سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا *

" صدق الله العظيم "

* * *

* بسم اللــه الرحمــن الرحيم *

الحمد للـه رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الديـن اياك نعبـد واياك نستعين .. والصلاة والسلام على من أنزل عليه الفرقان ليكون للعالمـين نذيرا .. سيدنا محمد رسول الله .. وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته ودعا بدعوته واهتدى بهديـه الى يوم الديـن .

أما بعـد ..

فان الاسلام دين الله وشريعته الخالدة كلف بها البشرية بعد أن بلغـت دور النضـوج فكانت للبشر خاتمة الشرائع والاديان .

وكانت بما تحمل من أسس سليمة ودعائم متينـة وأصول قويمة قويـة وبما تمتـاز به من خصائص وركائز وسمات وشمول تميزت بـه عن كل ما يعرفـه الناس من أديان ومذاهب وفلسفات . فكانت بذلك كلـه شريعة عالمية انسانية ودعوة عامة للبشـر وللأجيال المتلاحقة الى يوم الدين فلا عجب ان كان من الواجب ان ينتشر دين اللـه فى دنيا الناس حتى يعم الأرجاء ويستظل بظلـه البشر فى جميع المناحى والانحاء.

ولن يحدث ذلك الا اذا حمل مشعل الدفاع عن الاسلام فى عصوره المختلفـة جنـد أقوياء يستطيعون ان يذودوا عن حياضـه فى كل المجالات وبشتى الوسائل.

وكانت عناية الله برسالتـه السمحاء حيث هيأ لها فى كل عصر من العصور مـن يقوم بواجب الدفاع عن دين الله " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظـون " وكـان من هؤلاء مؤرخنـا الجليل أبو الفتـح الشهرستانى .. الذى كان جنديـا فـذا من جنـود الدفاع عن الاسلام وليس هو بجنـدى فى ساحة القتال .. وانما كـان فى ساحة الفكـر والبيان ورفع راية الاسلام فى ميدان التأريخ للاديان والمذاهب.

حيث حاول ان يدافع عن الاسلام وذلك باسلوب الحكمـة والموعظـة الحسنـة لأن لكل عصر اهتماماتـه ومشكلاتـه الفكـرية والاجتماعيـة التى تشغل أهلـه

وتترك أثرها فى انتاجهم العلمى وتراثهم الفكرى ، حيث برزت فى عصــــر الشهرستانى الكثير من المذاهب والمعتقدات وتعددت فيه الفلسفات المشتقة ٠

فكان لزاما ان يوجد هؤلاء المجاهدون الذين يستطيعون أن يدافعوا عن دين الله بالحجة الدامغة والمنطق القويم واللسان المبين ٠٠ قال الله تعالى : " وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكــــون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس " ٠

وقبل الخوض فى عرض خطة البحث أحب أن أشير هنا الى بعض أمور:

الأمر الاول :

ويدور حول الاسباب التى دفعتنى الى اختيار هذا الموضوع للبحث والكتابة فيه فلقد رأيت أن دراسة تاريخ الأديان والمذاهب من المهام الاساسية التى يسعى الى دراستها كل مسلم يؤدى ما يجب عليه تجاه الدعوة الى دين الله تبارك وتعالى ٠٠ حيث ان القارئ لكتاب الله الكريم يجد فيه الكثير مــن الآيات التى تتعرض للعقائد الاخرى وذلك باسلوب حكيم وحجة بالغة وقوة اقناع يقول الله تعالى : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكــم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (١) .

وقوله تعالى " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمــه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٢) .

الأمر الثانى :

ويدور حول اختيارى للموضوع بهذا العنوان ٠

---

(١) سورة آل عمران ــ آية رقم ٦٤ (٢) سورة المائدة ــ آية رقم ٧٥

لما كان المسلمون هم الذين افردوا لعلم تاريخ الأديان المؤلفات ذات الصبغة العلمية المنهجية .. فقد رأينا من علمائنا الأوائل من يهتمون بهذا الفن ويؤلفون فيه الكتب المتعددة لبيان تلك الاديان والمذاهب المختلفة ، ومن أشهر مؤلفى هذا الفن :

١ ـ كتاب جمل المقالات لأبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ " القرن العاشر الميلادى " .

٢ ـ كتاب المقالات فى أصول الديانات للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (القرن العاشر الميلادى " .

٣ ـ كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هجرية " القرن الحادى عشر الميلادى " .

٤ ـ كتاب الملل والنحل للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية " القرن الثانى عشر الميلادى " .

من هنا نرى ان المسلمين كانت لهم اليد الطولى فى هذا المجال حيث انهم كانوا أول من وضعوا بعض القواعد المنهجية فى دراسة الملل والنحل وذلك قبل ظهور علم الديانات المقارن عند الغربيين فى العصر الحديث المعروف باسم

ومن هذه القواعد اثبات ما يقوله أصحاب الديانات والملل المختلفة والتزام الحيدة فى تقرير وجهة نظرهم .

وأصدق مثال على ذلك هو مؤرخنا أبو الفتح الشهرستانى ، وهو ذلكم العالم الثبت الضليع فى هذا المجال وهو محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستانى الذى افرد للبحث فى تاريخ الاديان والمذاهب موسوعته العلمية المشهورة " الملل والنحل " .

سلك فيها منهجا جديدا بالدرس والاتباع حيث اشاد بفضل هذا العالم الفذ وبمنهجيته علماء الشرق والغرب على السواء يقول التاج السبكى " هو عندى خير كتاب صنف فى هذا الباب " .

ويقول العالم الانجليزى " الفرد جيوم " " انه ظل الملخص الوافى الذى تهوب فيه الملل على اختلافها وخصائص ومميزات كل منها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه فى أى زمان ".

وأما هاربركر الالمانى فيقول : " بواسطة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل تستطيع أن تسد الثغرة فى تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث ".

ويقول كارادى فو عن الشهرستانى " وهو بالنسبة لتحليل المذاهب كان دقيقا جدا وموضوعيا للغاية بصفة عامة ".

لذا .. كان اختيارى للموضوع بهذا العنوان " وهو منهج الشهرستانى فى التأريخ للأديان والمذاهب ".

حيث تبين لى بالدراسة والبحث أن منهج الشهرستانى يمتاز عن غيره بما يأتى :

١ ـ حرص الشهرستانى على الدقة والضبط فى حكاية ما يقول به أصحاب المقالات والمذاهب ، اذ اخذ على نفسه الشرط الذى يعتبر بحق دستورا لمؤرخى المقالات فى العالم فقال : " شرطى على نفسى أن اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله ، وان كان لا يخفى على الافهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل " (١) .

٢ ـ الاتساع والشمول والموضوعية حيث ان الشهرستانى نظر الى الفكر البشرى نظرة شمولية موضوعية فقد قسم الفكر البشرى كله من الفضائل الكبرى من منهجه الشهرستانى .

٣ ـ لقد كان الشهرستانى موفقا فى المنهج الذى رسمه لنفسه وسار عليه فى تأريخه للاديان والمذاهب ، ألا وهو المنهج الدائر بين النفى والاثبات وذلك منهج وطريقة الشهرستانى المفضلة فى التأريخ للاديان والمذاهب حيث رأينا أنه

قد قسم الجميع الى ملل وأديان والى نحل وأهواء وكأنها مقابلات دائرة بين اثبات الدين ونفيه فى الفكر البشرى كله •

٤ ـ سلك الشهرستانى فى منهجه الحيوية والحركة والنشاط والبعد عن الجمود والجفاف خصوصا فى حكاية عقائد الآخرين ، وذلك مع الحفاظ على موضوعيته الدينية الاسلامية •

٥ ـ امتاز منهج الشهرستانى عن غيره بالريادة والسبق وأنه بذلك أبطل القول القائل " أنه لم يكن للقدامى منهجا للبحث فى تاريخ الاديان والمذاهب " •

وبعد أن أشرت الى سبب اختيارى للموضوع للبحث والكتابة فيه حان الوقت لبيان خطة البحث وهى :

فقد قسمت البحث الى تمهيد وبابين وخاتمة •• •

أما التمهيد •• ففيه مبحثان :

أما المبحث الاول •• وهو حياة الشهرستانى •

ويدور هذا المبحث حول التعريف بموء رخنا أبى الفتح الشهرستانى ثم بيان حياته العلمية ومجالسه ثم الاشارة الى بيئته العامة السياسية والاجتماعية والثقافية ذاكرا موءلفاته •

أما المبحث الثانى •• وهو علم تاريخ الأديان •

وقد تضمن هذا المبحث علم تاريخ الاديان قديما ، ثم بيان المصطلحات العلمية الثلاث ، كلمة الدين ، والملة ، والنحلة •• ثم الاشارة الى علم تاريخ الاديان فى العصر اليونانى والرومانى والعصور الوسطى ثم العصر الاسلامى ثم بيان علم تاريخ الاديان حديثا •

أما الباب الاول •• وهو أصول منهج الشهرستانى •

وفيه خمسة فصول ••

الفصل الاول •• وهو مفهوم المنهج •

ويدور هذا الفصل حول التعريف بالمنهج وأنواعه .. ثم بيان المناهج الرئيسية والمنهج التاريخى ، بالاضافة الى اثر المسلمين فى هذه المناهج .

الفصل الثانى .. وهو روافد الشهرستانى فى التأريخ للاديان والمذاهب .

وقد تضمنت هذا الفصل مصدرين اساسيين ثم بيان المصادر المباشرة والغير مباشرة .

الفصل الثالث .. وهو مدخل الشهرستانى فى التأريخ للاديان والمذاهب .

ويدور هذا الفصل حول الحديث المأثور الذى أخذ به الشهرستانى وغيره فى افتراق الامة مع بيان الشبهة الاولى وما نشأ عنها من شبهات .

الفصل الرابع .. وهو أساس التقسيم لتاريخ الأديان .

ويدور هذا الفصل حول التقسيم الذى ذكره الشهرستانى ، وهو التقسيم الجغرافى والتقسيم العرقى ثم التقسيم العقدى الذى انفرد به الشهرستانى ثم الاشارة الى قواعد تقسيم الفرق الاسلامية ، مع بيان المقدمة الخاصة وآراء العلماء فيهما .

الفصل الخامس .. وهو الاطار العام لمنهج الشهرستانى .

وقد تضمن هذا الفصل اهتمام الشهرستانى بالمقدمات والاصطلاحات .. والخواتيم ثم امانته فى العرض والنقل .

أما الباب الثانى .. وهو تطبيقات ومقارنات .

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .

الفصل الاول .. وهو عرض عام لكتاب الملل والنحل .

وقد ذكرت فى هذا العرض تقسيم الشهرستانى للفكر البشرى الى قسمين : وهم أهل الديانات والملل وأهل الاهواء والنحل باختصار .

الفصل الثانى .. وهو مقارنة بين ابن حزم والشهرستانى .

ويدور هذا الفصل حول المقارنة بين منهج ابن حزم الظاهرى والشهرستانى مع الاشارة الى أنهما ضليعان فى هذا الفن .

الفصل الثالث.. وهو تقييم الشهرستانى كمؤرخ للاديان والمذاهب
ويدور هذا الفصل حول التقييم من جهة مصادر الشهرستانى ومن جهة المنهج
الذى سار عليه فى التأريخ للاديان والمذاهب.

وأخيرا.. الخاتمة .. وتتناول أهم النتائج التى خرجت بها من البحث
مع ذكر الفهارس والمراجع.

((وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم))

* التمهيد *

* وفيه مبحثان *

* * *

* المبحث الأول *

* حياة الشهرستاني *

ويدور هذا المبحث حول التعريف بمؤرخنا أبي الفتح الشهرستاني .. ثم بيان حياته العلمية ومجالسه ، ثم الاغاثة التي بيئته العامة – السياسية – والاجتماعية والثقافية ذاكرا مؤلفاته .

* * * *

أصلــه :

تشير كتب التاريخ الى أن أبا الفتح الشهرستاني من الأعاجم أبا عن جد ، ذلك أنه من بلدة شهرستان بخراسان . حيث أن كتب التراجم لم تذكر أن أحدا من أجداده جاء من بلد عربي الى بلاد الأعاجم حيث منيت مؤرخنا مولده ، بجانب هذا أيضا لم تذكر شيئا عن أجداده أو والدته . اللهم الا اشارة بسيطة الى والده . ذلك أن ما يدعو الى أن الشهرستاني أعجمي من بلاد فارس قوله في المقدمة الخاصة من كتابه في الملل والنحل (... لئلا يظن بي أني من حيث أنا فقيه ومتكلم أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه أعجمي القلم بمداركه ومعالمه) (١).

مولــده :

اختلف المؤرخون على العام الذي ولد فيه الشهرستاني وان كان هناك بعض الروايات التي تشير الى ترجيح رواية على أخرى .

فصاحب معجم البلدان يقول " انه ولد سنة ٤٦٩ هـ ـ ١٠٧٦م " (٢)

وصاحب مفتاح السعادة يروي هذا الخلاف في مولده دون ترجيح قال " وكانت ولادته سنة سبع وستين أو تسع وسبعين وأربعمائة بشهرستان " (٣)

وهناك من المؤرخين من يروي الروايتين مشيرا الى سبب ترجيح رواية على أخرى .. يقول صاحب وفيات الأعيان " وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان ، هكذا وجدته بخطي في مسودتي وما ادري من أين نقلته ، وقال ابن السمعاني في كتاب الذيل سألته عن مولده فقال : سنة تسع وسبعين وأربعمائة " (٤).

---

(١) الشهرستاني الملل والنحل تحقيق الاستاذ / عبدالعزيز منصور الوكيل ج ١ ص ٣٢
(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٦ ـ دار صادر بيروت للطباعة والنشر سنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م .
(٣) طاش كبرى زاده ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ ج ١ ص ٣٢٣ .
(٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٧٣ ـ تحقيق احسان عباس ـ دار صادر بيروت للطباعة والنشر .

فى هذه الرواية الأخيرة نشير الى سبب الترجيح وهو قول السمعانى أنه سمعها من الشهرستانى ، وعليه فانا نختار هذه الرواية لنفس السبب .

بالاضافة الى ذلك .. فانا نجد من المحدثين من يرى هذه الرواية ذلك أن الدكتور بدران يرجح انه ولد سنة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦م محقق كتاب الملل والنحل للشهرستانى يقول " ولعل أصدق الأقوال أنه ولد سنة ٤٧٩ هـ ـ ١٠٨٦م " (١)

اسمه وكنيته :

هو محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى المكنى بأبى الفتح (٢) .

لقبه :

كان الشهرستانى يلقب بعدة ألقاب فهو " الأفضل " (٣) وهو " العلامة " (٤) وهو " تاج الدين والملة " .

نسبته :

ينتسب الشهرستانى الى بلدة شهرستان الواقعة بين نيسابور وخوارزم وهى احدى مدن اقليم خراسان .

وشهرستان كلمة فارسية بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون وتسمى أحيانا شارستان وشارستانة .

---

(١) الشهرستانى الملل والنحل جـ ١ ص ٤ تحقيق الاستاذ عبد العزيز محمد الوكيل
(٢) انظر وفيات الاعيان جـ ٤ ص ٢٧٣ ، شذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ١٤٩ ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى جـ ٣ ص ١٨٩ ، ومفتاح السعادة جـ ١ ص ٣٢٣ .
(٣) انظر ابن العماد شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٤٩ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى جـ ٥ ص ٣٠٥ .
(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٠٥ .

وهو اسم لثلاث مدن :

الاولى :

شهرستان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان وأول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي المشهورة ومنها أبوالفتح محمد . وأخرجت خلقا كثيرا من العلماء وبناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان في خلافة المأمون .

الثانية :

قصبة ناحية سابور من أرض فارس كما ذكره ابن البناء والبخاري .

الثالثة :

مدينة جي بأصبهان يقال لها شهرستان بينها وبين اليهودية مدينة أصبهان اليوم نحو ميل ، بها اسواق وهي على نهر زرندروز وبها قبر الامام الراشد بن المسترشد ، وشهرستان لفظة أعجمية وهي مركبة فمعنى شهر مدينة ومعنى الآستان الناحية فكأنه قال : مدينة الناحية ، ذكر ذلك كله أبوعبد الله ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه " المشترك وضعا المختلف صقعا " (١)

حياته العلمية :

نشأ أبوالفتح الشهرستاني بشهرستان وعاش فيها حياته الأولى ، وبالرغم من أن التاريخ أهمل ذكر اسرة الشهرستاني ، الا أن الشهرستاني كان يشير الى ثقافة والده الدينية ضمنا وذلك عندما تحدث عن المصاحف والقراءات (٢) ذلك أن والده كان حافظا للقرآن الكريم وكانت له اليد الطولى في توجيهه الوجهة الدينية الأولى التي بدأ بها ثقافته وعلمه بالاضافة الى ذلك كان والده يجيد علم القراءات (٣) .

---

(١) راجع وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٢٧٤ ، شذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ١٤٩ معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٧ — ودائرة المعارف الاسلامية جـ ١٣ ص ٤٢٤ .

(٢) راجع الدكتورة سهير مختار — الشهرستاني وأراؤه الكلامية والفلسفية — مخطوطة بكلية البنات — جامعة عين شمس — تحت رقم ١٨٩ ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

وعلى ذلك فالشهرستانى تلقى علومه الأولى على يد والده فحفظ القرآن الكريم ثم أرسله والده الى مسجد البلدة ليتلقى فيه تعليمه الدينى حيث كان للمسجد قديما وحديثا أهمية كبرى فى التعليم وخصوصا فى التعليم الدينى . ولقد كان ذلك فى سن مبكرة للشهرستانى حتى أنه قال عن نفسه (ولقد كنت على حداثة سنى أسمع تفسير القرآن من مشايخى سماعا مجردا) (١) ولقد كان الشهرستانى طموحا منذ نعومة أظفاره فلم يكتف بهذا بل انه انتقل من بلدته الى غيرها من البلدان قاصدا العلم وتعليمه من ناحية وسعيا وراء الرزق من ناحية أخرى .

ذلك أنه جاء فى معجم البلدان : " قال أبو محمد محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى فى تاريخ خوارزم دخل خوارزم واتخذ بها دارا وسكنها مدة ثم تحول الى خراسان " (٢)

من ذلك نرى أن الشهرستانى أخذ ينتقل بين خوارزم وخراسان طالبا العلم وقاصدا المعرفة ، وأخذ أيضا يطوف بهذه البلدان حتى الجرجانية ونيسابور ذلك ان الخوارزمى يقول فى تاريخ خوارزم ..... " تفقه بنيسابور على أحمد الخوافى وأبى نصر القشيرى وقرأ الأصول على أبى القاسم الأنصارى وسمع الحديث على أبى الحسن على ابن أحمد بن محمد المدينى وغيره " (٣) .

وأخذ أيضا فى التنقل حتى أنه قرأ الكلام على يد أستاذه أبى القاسم الأنصارى المتوفى عام ٥١٢ هـ ـ ١١١٨م ولقد كان لهذا الاستاذ فضل فى توجيهه الى الطريق القويم فى تحصيل العلم والمعرفة

---

(١) انظر الدكتورة سهير مختار ـ مصارعة الفلاسفة ص ١١

(٢) معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٥

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٧٦ ، وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ١٤٩ ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٤ ص ٢٧٥ .

ولم يغسل له الشهرستاني ذلك فكان يذكره في كتبه مشيرا الى أنه كان مرجعه في بعض الأمور العلمية .

قال في مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار .. (ولقد كنت على حداثة سني أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجردا ، حتى وقفت عليه فعلقته على أستاذي ناصر السنة أبي القاسم سليمان ابن ناصر الأنصاري تلقفا ، ثم اطلعني مطالعات كلمات شريفة عن أهل البيت وأوليائهم رضي الله عنهم على أسرار دفينة وأصول متينة في علم القرآن) (١) .

وهكذا كان لهؤلاء الأئمة الأعلام الأثر البالغ في توجيه مؤرخنا الوجهة الصحيحة الى العلوم والمعارف ، وذلك بعد توجيه والده الى حفظ القرآن الكريم أولا حتى أنه قال عن أستاذه أبي القاسم في كتابه " نهاية الاقدام في علم الكلام " ... (وكثيرا ما كنا نراجع استاذنا وامامنا ناصر السنة صاحب " الغنية وشرح الارشاد " أبا القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري) (٢) .

وبعد أن أجاد الشهرستاني العلوم الدينية وعلم الكلام على مشايخه رجع الى خوارزم مرة ثانية وفيها تعرف على بعض علماء عصره المشهورين فالتقى بأسعد الميهني الفقيه المتوفى عام ٥٢٧ هـ وصارت بينهما صداقة .. والتقى أيضا بالمؤرخ الفارسي محمد بن محمد بن أرسلان الخوارزمي المتوفى عام ٥٦٨ هـ وكانت بينهما مفاوضات ومحاورات .

وكما ذهب الشهرستاني الى خوارزم ونيسابور ظل يتنقل بين ربوع مدن ايران دارسا ومدرسا ، فذهب الى بيهق وسجستان وذلك الى ان قارب سنه على الثلاثين فدخل بغداد في ذلك الوقت وكانت مركزا

---

(١) نقلا من كتاب " مصارعة الفلاسفة " للشهرستاني — تحقيق سهير محمد مختار ص ١٢ .

(٢) الشهرستاني — نهاية الاقدام في علم الكلام — ص ٣٨ تحقيق الفرد جيوم

للعلم وبين الشهرستانى فى عام ٥١٠ هـ مدرسا بنظامية بغداد .. وعلى حد تعبير استاذنا المرحوم الدكتور محمد بن فتح الله بدران حيث قال: " ويكفى ان يكون أستاذا زائرا فى النظامية طوال اقامته ببغداد ثلاث سنوات وهو فى مستهل العقد الرابع من عمره من سنة ٥١٠ هـ الى سنة ٥١٣ هـ يكفى هذا لنحكم على مدى عمقه وجلاله العلمى "(١)

ويقول أيضا صاحب معجم البلدان .. " وخرج من خوارزم سنة ٥١٠ هـ وحج فى هذه السنة ثم أقام ببغداد ثلاث سنوات وكان له مجلس وعظ فى النظامية وظهر له القبول عند العوام وكان المدرس بها يومئذ أسعد الميهنى وكان بينهما صحبة سالفة بخوارزم قربه أسعد لذلك "(٢).

وهكذا نرى أن الشهرستانى طوف فى أرجاء الرقعة الاسلامية فى زمنه قاصدا الافادة والاستفادة ، ذلك أننا نستطيع أن ندرك مدى تطوفه العلمى والثقافى، حيث ذكر فى أول نهاية الاقدام فى علم الكلام :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

ولم يذكر لمن هذان البيتان وقال غيره هما لأبى بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصائغ الاندلسى (٣).

مجالسه العلمية :

وبعد ان عاد الشهرستانى الى خوارزم وخراسان والتف حوله كبار العلماء وذلك للاستفادة من علمه الواسع الغزير ، حيث كان الشهرستانى

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الدكتور بدران جـ ١ ص ٥ .
(٢) انظر معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٦ ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى جـ ٣ ص ١٨٩ .
(٣) انظر نهاية الاقدام للشهرستانى ص ٢ ، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٤ ص ٢٧٥ .

عالما حسنا طيب الخاطر يقول الخوارزمي .. " وكان عالما حسنا حسن الخط واللفظ لطيف المحاورة خفيف المحاضرة طيب المعاشرة " (١)

وهكذا أخذ الشهرستاني يعقد المجالس العلمية وذلك بالاضافة الى التي كانت في بغداد طوال اقامته بها ، حيث كانت مجالسه ذات شهرة عظيمة وقيمة جليلة وذلك لاتساع آفاقه العلمية حتى بلغ من جلالها أنها كانت تسجل وتدون وذلك لدقتها وعمق بلاغتها .. يقول الخوارزمي .. (وكان له مجلس وعظ في النظامية وظهر له القبول عند العوام) (٢) وكان يحضر هذه المجالس لأهميتها أجلة القوم وصفوة العلماء .. يقول صاحب تاريخ حكماء الاسلام .. (وقد جمعني وإياه الامام أبو الحسن بن حمويه في مجلس وحضر المجلس الامام أبو منصور العبادي وموفق الدين أحمد النسوي وشهاب الدين الواعظ الشنوركاني وغيرهم من الأفاضل) (٣) .

ويقول أيضا .. " ورأيت له مجلسا مكتوبا عقده بخوارزم فيه اشارة الى أصول الحكمة فتعجبت منها " (٤) .

وهكذا كان الشهرستاني عالما بفنون كثيرة حتى لقبه معاصروه بالأفضل والعلامة وتاج الدين والملة (٥) ، وكان هذا لتعدد نواحيه العلمية حتى وصل الى قمة السلم العلمي أو كاد .. بالاضافة الى ذلك نجد أن علماء الغرب قد عرفوا فضله ومنزلته فنجد الفرد جيوم محقق كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام يقول : " كان الشهرستاني رجلا دينيا الى الاعماق واخلاصه للعقيدة لا يمكن أن يشك فيه أي انسان " .

---

(١) معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٧٥ .
(٣) البيهقي - تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٢ - تحقيق محمد كرد - مطبعة الترقي الجديد بدمشق طبعة سنة ١٩٧٩ م .
(٤) المرجع السابق ص ١٤٢ .
(٥) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ٤ ص ١٣١٣ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ ٥ ص ٣٠٥ - ومصارعة الفلاسفة للشهرستاني - تحقيق الدكتورة سهير محمد مختار ص ١٠ .

ويقول " كارادى فو " الفرنسى : " ان عقلية الشهرستانى لم تكن فى جوهرها الا عقلية فلسفية " .

وذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق الى أن الشهرستانى من أهل الفلسفة الاسلامية الذين يستشهد بآرائهم مثله مثل ابن سينا (١).

وعلى ذلك فالشهرستانى كان من العلماء والأعلام الذين يستشهد بآرائهم العلمية فى كثير من الأمور العلمية وذلك بوصوله الى قمة السلم العلمى .

لغـــاته :

ان وصول الشهرستانى الى هذه الدرجة العلمية فى زمنه وتعدد ثقافته فى مختلف العلوم والفنون لا يمكن أن يصدر هذا عن لغة واحدة أو لسان واحد ولكنه أجاد أكثر من لغة وبجانب ذلك أيضا رحلاته العلمية من أجل البحث والدراسة وكثرة مجالسه ومحاوراته ومحاضراته تشير الى ذلك

فنجد ان الشهرستانى أجاد اللغة العربية وأ متلك نواصيها وتفرد فيها بأسلوب نقى .. أيضا أجاد اللغة الفارسية حيث كانت هذه اللغة من اللغات السائدة فى عصره اجادة مكنته من أن يردد القول فيها (عود على بدء كما كان ذلك فى اللغة العربية) (٢) .

وبجانب هاتين اللغتين أجاد الشهرستانى أيضا اللغة اليونانية ومما يشير الى ذلك قوله : (فنحن نذكر الحكماء القدماء من الروم واليونانيين على الترتيب الذى نقل فى كتبهم) (٣) .

---

(١) الشهرستانى فى الملل والنحل ج ١ ص ٥ تحقيق د . بدوان ط ٢ مكتبه الانجلو

(٢) الدكتور بدران ـ المدخل الى كتاب الملل ص ١٤٤ تحت رقم ١٢٠ مكتبة كلية أصول الدين ـ القاهرة ـ وانظر أيضا الملل والنحل ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ـ تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل جـ ٢ ص ١١٨ .

ففى هذا النص اشارة الى أنه قرأ مذاهبهم وذلك بلغتهم الأصلية لأنه يعد فى هذا النص أنه سيذكر الحكماء على ترتيبهم الذى قرأه فى كتبهم .. بالاضافة الى ذلك يقول أيضا : (ورأيت رسالة فولوس التى كتبها الى اليونانيين) .(١)

وعلى ما يبدو لنا أن الرسالة التى كتبها فولس الى اليونانيون كانت بلغة اليونان واعتراف الشهرستانى بمشاهدة هذه الرسالة دليل على أن يكون عالما باللغة التى كتبت بها الرسالة .. وهى اللغة اليونانية .. بالاضافة الى ذلك يقول الشهرستانى (ووجدت كلمات وفصول للحكيم أرسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه الذى وجدت) (٢)

ففى ذلك اشارة أيضا الى أنه نقل من كتب متأخرى حكماء اليونان على ما وجده وان فى نقله دليلا على أنه كان يعرف شيئا عن هذه اللغة .

بجانب ذلك أيضا يشير مؤرخنا الى انه عرف شيئا عن اللغة العبرية .. قال فى كتابه قصة سيدنا يوسف عليه السلام .. ثم قال بأى كلمة نجوت من الجب ومن اخوتك ..؟ قال : بكلمة نجت وأينعت وأخضرت وأيبست وأضحكت وأبكت .. واذا عشقها أبى أبى أن يخالفها وهى شهادة أن لا اله الا الله . وهذه الكلمات مكتوبة بالعبرانية فى التوراة (٣).

قال فى الملل والنحل أيضا عن فرق اليهود .. (الميسوية . نسبوا الى أبى عيسى ابن اسحق ابن يعقوب الاصفهانى . وقيل ان اسمه عوفيد الوهيم أى عابد الله كان فى زمن المنصور (٤).

---

(١) الشهرستانى فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٦

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٩٤.

(٣) اللوحة ٧٤ ، ٧٥أ من المخطوط نقلا من رسالة الدكتورة سهير مختار ص ١٣٥

(٤) انظر الشهرستانى - الملل والنحل - تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل جـ١ ص٢٠ ... - ص ٢٢٨ ط. ١ سنة ١٩٧٧ مكتبة الانجلو المصرية

ففي هذا اشارة الى أن كلمة التوحيد مسطورة باللغة العبرية والشهرستاني يشير الى معناها بالعربية ففي ذلك ما يدل على أن مؤرخنا كان على علم بتلك اللغة أيضا .. بالاضافة الى ذلك فقد قال في موضع آخر من الملل والنحل (وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الألفانية ، والى كوستانية والدوستانية معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة .. والكوستانية معناها : الجماعة الصادقة (١)

ففي هذا اشارة الى ان الاسماء التي يورد معانيها أسماء عبرية مكتوبة بالعربية وذلك لتسهيل النطق بها ، وذلك دليل أيضا على معرفته باللغة العبرية .. وقال في مفاتيح الاسرار أيضا (وقد ورد في التوراة أن اسم الله الأعظم ياهيا شراهيا وتفسيره بالعربية الحي القيوم) (٢).

وعلى ذلك فالشهرستاني كان على علم أيضا باللغة العبرية حتى أنه كان ينقل معانيها الى اللغة العربية .

ومن هنا نجد أن مؤرخنا أجاد أكثر من لغة مكنته من أن يكون عالما مؤرخا لاديان العالم ومذاهبه وآرائه .

مذهبه وشيوخه :

ولقد كان أبو الفتح الشهرستاني شافعي الفروع أشعري الأصول ولقد ظهر في وقت كانت الدولة فيه تحث على اتباع المذهب الشافعي ، بل انه تلقى العلم على مشايخ متعصبين للشافعي وأساتذة مدافعين عن الأشعري ولو بالقوة (٣). نذكر على سبيل المثال :

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣ تحقيق الاستاذ عبد العزيز محمد الوكيل
(٢) اللوحة ٣٩٠ أ من المخطوط نقلا عن رسالة الدكتورة سهير مختار ص ١٣٦
(٣) انظر ابن خلكان جـ ٤ ص ٢٧٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ـ جـ ٤ ص ١٤٩ .

أحمد الخوافي .. وهو فقيه شافعي :

" وهو أبو المظفر احمد بن محمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي " المتوفى سنة ٥٠٠ هـ " (١) .

وقال عنه ابن عساكر " أنظر أهل زمانه وأعرفهم بطريق الجدل في الفقه " (٢) .

وقال عنه ابن خلكان : " ولي القضاء بطوس ونواحيها وكان مشهورا بين العلماء بحسن المناظرة وافحام الخصوم " (٣)

وقرأ الكلام على استاذه أبي القاسم الانصاري المتوفى سنة ٥١٥ هـ وهو " سليمان ابن ناصر ابن عمران الشيخ المتكلم الصوفي المفسر الأصولي الذي يقول عنه ابن عساكر : " الامام الورع الزاهد فريد عصره ، ويقول عنه أيضا كان حسن الطريقة دقيق النظر واقفا على مسالك الأئمة وطرقهم في علم الكلام " (٤) .

وكان لهذا الاستاذ فضل في ا توجيهه الى الطريق القويم في تحصيل العلم ومدارسته وتدريسه (٥) .

ومن شيوخه أيضا أبو نصر القشيري وهو .. " عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيري امام الأئمة وحبر الأمة وهو الأول من الامام بعد العصبة الدقاقية من أولاده أشبههم به خلقا " (٦) .

---

(١) ابن خلكان جـ ١ ص ٩٦ ـ تحقيق الاستاذ الدكتور احسان عباس
(٢) ابن عساكر ـ تبيين كذب المفترى ص ٢٨٨ ـ دار الكتاب العربي ببيروت سنة ١٩٧٩ م .
(٣) وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٩٦
(٤) ابن عساكر ص ٢٠٧
(٥) انظر ص ٦ من نفس البحث
(٦) انظر ابن العماد ـ شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٤٩ . وابن عساكر تبيين كذب المفترى ص ٣٠٨

وتلقى العلم أيضا على أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة وهو "عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة أبو القاسم القشيري" (١)

وغير هؤلاء وأولئك التقى بهم مؤرخنا وأخذ عنهم ومنهم حتى صار علما بأغلب فنون عصره .

وسمع الحديث أيضا من أبي الحسن المدائني "المتوفى سنة ٤٩٤ هـ" ـ وهو " أبو الحسن على ابن احمد ابن محمد المديني .. " ويقول عنه ابن عساكر أنه امام فاضل " (٢).

اشتهاره بالفلسفة :

بالاضافة الى ما اتقنه الشهرستاني من كثير من العلوم والفنون فانه قد اشتهر أيضا بالفلسفة .. يقول صاحب معجم البلدان .. " لولا تخبطه في الاعتقاد وميله الى الالحاد لكان هو الامام ، وكثيرا ما كنا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله ، كيف مال الى شيء لا أصل له واختار أمرا لا دليل عليه لا معقولا ولا منقولا ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الايمان وليس ذلك الا لاعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة ، وقد كانت بيننا محاورات ومفاوضات فكان يبالغ في نصرة مذهب الفلاسفة والذب عنهم " (٣)

ولكن الشهرستاني كان من العلماء الأفذاذ الذين يعطون لكل داء دواء فان اشتهاره بالفلسفة لم يبعده عن الشريعة ولا عن حدودها وأحكامها ، ولكنه كان على خط مستقيم في كل فن من الفنون التي أجادها وأتقنها ، ولقد كان البيهقي أيضا يعده اماما بين الحكماء ، وحتى علماء الغرب ينظرون الى

---

(١) انظر ابن كثير ـ البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٠٧ الطبعة الاولى بيروت سنة ١٩٦٦.

(٢) انظر ابي عبد الكريم السمعاني ـ كتاب الانساب ص ٥٤٦ ـ نشر المستشرق د . س مرجليوث ـ مكتبة المثنى ببغداد ـ طبعة بالافست سنة ١٩٧٠ وشذرات الذهب جـ ٤ ص ١٥٠

(٣) انظر معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٧ ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني جـ ٥ ص ٢٦٤ .

الشهرستانى بأنه ذا أصالة فكرية قوية ، يقول هابركر الألمانى : " بوساطة الشهرستانى فى كتابه فى الملل والنحل يستطيع الانسان أن يسد الثغرة فى تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث " (١) وعلى ذلك فان اشتهار الشهرستانى بالفلسفة فى وقته كان أمرا طبيعيا ذلك أن الشهرستانى كان من العلماء الذين لا تليهيهم الدنيا عن الآخرة حيث كان رجلا دينيا الى الأعماق واشتغاله بالفلسفة لا يدعو الى الشك فى موضوعيته الدينية .

اتهامه بالباطنية :

ومع كل هذا فان مؤرخنا قد اتهم بالميل الى الباطنية " الاسماعيلية " وتصيره ، مذاهبهم والدعوة اليهم ، قال ابن السمعانى فى معجم شيوخه " وكان متهما بالميل الى أهل البدع يعنى الاسماعيلية والدعوة اليهم لصلا لتهم) (٢) .. ويقول أيضا صاحب شذرات الذهب قال فى العبر " واتهم بمذهب الباطنية " (٣)

والباطنية فرقة من فرق الشيعة ظهرت فى عصر الشهرستانى ، يقول الشهرستانى (ولهم دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة ، وأشهر القابهم الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويل ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم .. وهو يقولون نحن " الاسماعيلية " لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص " (٤)

وقد استفحل أمر هذه الفرقة وانتشرت ، يقول صاحب تاريخ الخلفاء (وفى سنة ٤٩٢ هـ انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس) (٥)

---

(١) الدكتور بدران ـ المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ١٣٨
(٢) ابن حجر العسقلانى ـ لسان الميزان ج ٢ ص ٢٦٣
(٣) ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٩
(٤) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل ج ١ ص ١٩٢

(٥) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٧٦ الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة سنة ٦٤ ١٩٠

وقد بدل الباطنية " الاسماعيلية " بعض مقالتهم فى زمن الشهرستانى مما جعله يطلق عليهم أصحاب الدعوة الجديدة وقال ان زعيم الدعوة الجديدة هو الحسن بن محمد بن الصباح الذى استظهر بالرجال وتحصن بالقلاع (١) ولكن أبا الفتح الشهرستانى من العلماء الذين كانوا يعرفون لأنفسهم حقها ، فكما اتهمه بعضهم بالباطنية نجد أن آخرين أيضا ينفى ذلك عنه ، فقال تاج الدين السبكى فى طبقاته (لم أقف فى شىء من تصانيفه على ما نسب اليه من ذلك لا تصريحا ولا رمزا فلعله كان يبدو منه على طريقة الجدل أوكان قلبه أشرب محبة مقالتهم لكثرة نظره فيها) (٢)

ثم أن الشهرستانى نفسه يعتبر الباطنية من الفرق المخالفة فقال : (هم قوم يخالفون الاثنين والسبعين فرقة) (٣)

أما نسبة التشيع الى الشهرستانى فقد كان الشهرستانى يرى أن الحق فى جانب على ولكنه بجانب ذلك كان يدافع عن كبار الصحابة دفاعا قويا وذلك ضد الامامية الذين يقولون بحصر الامامة على على قائلا (فليت شعرى كيف يستجيز ذو الطعن فيهم "كبار الصحابة ونسبة الكفر اليهم ") (٤)

ثم نجده يقول بعد ذلك أيضا (وان نقلت هنات عن بعضهم فليتدبر العقل فان أكاذيب الروافض كثيرة وأحداث المحدثين كثيرة) (٥)

وهكذا كان أبو الفتح الشهرستانى عالما متزنا يعرف حقوق نفسه وحقوق غيره فيؤدى كل ذى حق حقه كاملا دون انتقاص .

---

(١) الملل والنحل ـ للشهرستانى تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل جـ ١ ص ١٩٥
(٢) ابن حجر العسقلانى ـ لسان الميزان جـ ٥ ص ٢٦٤
(٣) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل جـ ١ ص ١٩٠
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٤
(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥

بيئته العامة :

ان الفترة التى عاش فيها أبى الفتح الشهرستانى أى ما بين عام ٤٧٩ هـ - ١٠٨٧م الى عام ٥٤٨ هـ - ١١٥٣م كانت الأمة الاسلامية وقتئذ قد امتدت مساحتها شرقا حتى بلاد الصين وغربا حتى المحيط الأطلسى وشمالا حتى بلاد الروس وجنوبا حتى المحيط الهندى والصحراء الكبرى وكان لهذا الامتداد أثره فى تلك الفترة التى وجد فيها مؤرخنا حيث كانت تموج فى تلك البلاد أحداث فى مختلف النواحى .

لذا .. نشير الى البيئة العامة التى نبت فيها أبى الفتح الشهرستانى .

أولا : الحالة السياسية :

لقد كانت الحالة السياسية فى عصر مؤرخنا غير مستقرة وذلك راجع الى الخلفاء والحكام الذين كانوا يتولون تقاليد الحكم ، حيث كان كل واحد منهم يهمه مصلحة نفسه أكثر مما يهمه مصلحة رعيته ودينه بجانب هذا أيضا كان لتعدد مذاهب الحكام وعدم استقرارهم على مذهب واحد الاثر الكبير فى وقوع كثير من الاضطرابات والفتن والحروب حيث كان الحكام يحاولون بسط نفوذهم الروحى ثم السياسى ثم الحربى .

فنجد مثلا فى أثناء خلافة الخليفة العباسى القائم بأمر الله الذى تولى الخلافة بعد ابيه الخليفة القادر بالله أبو العباس حيث كان ولى عهده فى الحياة وهو الذى لقبه بأمر الله ، وكان هذا الخليفة ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله ، كثير الصدقة والصبر له عناية ومعرفة بالادب (١) وظل هكذا الى ان استوحش الخليفة القائم بأمر الله من الأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرى ذلك أن

---

(١) تاريخ الخلفاء - للسيوطى ص ١٦٧ .

البساسيرى كان قد عظم أمره واستفحل خطره لعدم اقرانه من مقدمى الأتراك واستولى على البلاد وطار اسمه وخافه أمراء العرب ودعى له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ، وهذا اول الفتنة بين الخليفة والبساسيرى (٢) ذلك أن البساسيرى كان فى مبدأ أمره مقدما على الأتراك مخصصا عند الخليفة القائم بأمر الله العباسى وكان الخليفة لا يقطع أمرا دونه الى أن تجبر وطغى فدخل البساسيرى بغداد بالرايات المستنصرة وعليها القاب المستنصر صاحب مصر فى ذلك الوقت فمال الى البساسيرى أهل الكرخ وفرحوا به لكونهم رافضة والبساسيرى وخلفاء مصر فى ذلك الوقت أيضا رافضة فانضموا الى البساسيرى وانتقموا من أهل السنة وشمخت أنوف المنافقين الرافضة وأعلنوا بالآذان " حى على خير العمل ببغداد " (٢) واجتمع خلف من أهل السنة مع الخليفة القائم بأمر الله العباسى وقاتلوا معه وقامت الحرب بين الفريقين وكاد البساسيرى أن يفرغ منه ولكنه استجار بقريش بن بدران أمير العرب فى ذلك الوقت فأجاره وقبض البساسيرى على وزير القائم بأمر الله رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة وقيده وشهره على جمل وطيف به فى الشوارع (٣).

ولكن الخليفة العباسى كاتب آل سلجوق الذين عظم شأنهم وارتفع ملكهم فكاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بطغرلبك يستنهضه المسير الى العراق ، فانفض أكثر من كان مع البساسيرى وعادوا الى بغداد سريعا ودخل السلطان طغرلبك بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ وقد تلقاه أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاج فى أبهة وعظمة وخطب له بها (٤) .

---

(١) ابن تغرى بردى — جـ ٥ ص ٥٨ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٥ — تاريخ ابن الوردى جـ ١ ص ٤٩٣ .

(٢) انظر ابن تغرى بردى جـ ٥ ص ٢٠ .. — تاريخ ابن الوردى جـ ١ ص ٥٠٥ ، تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ للسيوطى .

(٣) انظر ابن تغرى بردى جـ ٥ ص ٢٠ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ص ١٦٧ .

(٤) ابن كثير — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٦٧ .

بذلك استطاع السلطان طغرلبك السلجوقى أن يسترجع عظمة الخليفة فكافأه بأن زوجه ابنته (١) .. ثم تولى السلطنة بعد السلطان طغرلبك ابن أخيه عضد الدولة ألب أرسلان صاحب خراسان الذى اتخذ نظام الملك وزيرا له " فأبطل ذلك الوزير ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الاشعرية وانتصر للشافعية وأكرم امام الحرمين وأبا القاسم القشيرى وبنى النظامية ، قيل هى أول مدرسة بنيت للفقهاء " (٢)

وظل الحال هكذا الى أن توفى الخليفة القائم بأمر الله العباسى وتولى الخلافة بعده حفيده المقتدى بأمر الله وكانت البيعة له بحضور " الشيخ أبى اسحاق الشيرازى وابن الصباغ والدمغانى والشيخ أبو محمد التميمى الحنبلى " (٣) .

ولقد كانت أيام الخليفة العباسى هذا هادئة اذ ظهرت فى البلاد خيرات كثيرة وآثار حسنة فى البلدان وكانت قواعد الخلافة فى أيامه باهرة وذلك بخلاف ما تقدمه وخطب له باليمن والشام وبيت المقدس واسترد المسلمون فى زمانه الرها وأنطاكية من أيدى العدو " الروم " وعمرت بغداد وغيرها من البلاد (٤) .

وفى زمنه أخذت الفتن تشتد بين أهل السنة والحنابلة .. يقول ابن كثير " وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية وذلك أن ابن القشيرى قدم بغداد فجلس يتكلم فى النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم الى التجسيم وساعده أبو سعد الصوفى ومال معه الشيخ أبو اسحاق الشيرازى وكتب الى نظام الملك يشكو اليه الحنابلة ويسأله المعونة

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٦٨ .
(٢) المرجع السابق . نفس المكان
(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١١١ ـ تاريخ الخلفاء ص ١٦٩ .
(٤) ابن كثير ـ البداية جـ ١٢ ص ١١٢ .

عليهم ، وذهب جماعة الى الشريف أبي جعفر ابن موسى شيخ الحنابلة وهو في مسجده فدافع عنه آخرون واقتتل الناس بسبب ذلك وثارت الفتنة وكتب الشيخ أبو اسحاق وأبو بكر الشاشي الى نظام الملك في كتابه الى فخر الدولة ينكر ما وقع ويكره أن ينسب الى المدرسة التي بناها شيء من ذلك وعزم الشيخ أبو اسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر فارسل اليه الخليفة يسكته ثم جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر وأبي سعد الصوفي وأبي نصر القشيري عند الوزير فأقبل الوزير على أبي جعفر يعظمه في الفعال والمقال »(١).

ونجد أيضا في السنة السابعة والخمسين من ولاية المستنصر معد على مصر وهي سنة أربع وثمانين وأربعمائة "كتب الوزير أبي شجاع الى الخليفة يعترفه باستطالة أهل الذمة على المسلمين وأن الواجب تمييزهم عنهم فأمره الخليفة أن يفعل ما يراه فألزمهم الوزير ليس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم في اعناقهم مكتوب على الدراهم "ذمي" وتجعل هذه الدراهم أيضا في أعناق نسائهم ليعرفن بهما وأن يلبسن الخفاف فردا أسود وفردا أحمر وجلجلا في أرجلهن فذلوا وانقمعوا بذلك وأسلم حينئذ "ابو سعد العرصلا كاتب الانشاء للخليفة وابن أخيه هبة الله (٢).

وظل الحال هكذا الى ان توفى الخليفة المقتدى بأمر الله فجأة (٣) ثم تولى الخلافة العباسية ابنه المستظهر بالله وكان ذلك في عام ٤٨٦ هـ ، وفي عام ٤٩٠ قتل السلطان أرسلان أرغون بن الب أرسلان السلجوقي صاحب خراسان فتملكها السلطان بركيارق ودانت له البلاد والعباد وفيها خطب للعبيد من ناحية

---

(١) انظر ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ١١٤ ، تبيين كتب المفتري لابن عساكر ص ٣١١

(٢) ابن تغرى بردى ج ٥ ص ٢٥٨

(٣) انظر السيوطي — تاريخ الخلفاء ص ١٧٠

مصر بحلب وانطاكية والمعرة وشيزر شهرا (١) ولكنه حصل خلاف بين السلطان بروكيا روف وأخيه محمد بن ملكشاه وفى سنة ٤٩٦ هـ وقع الصلح بين السلطانين محمد وبروكيا روف وسببه أن الحروب لما تطاولت بينهما وعم الفساد وصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والسلطنة مطموع فيها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين دخل العقلاء بينهما فى الصلح وكتبت العهود والايمان والمواثيق وأرسل الخليفة خلع السلطانة الى بروكياروف واقيمت له الخطبة ببغداد (٢) وهو الذى ولى السلطان سنجر خراسان " منبت مؤرخنا " ولقد عاش فى كنفه الشهرستانى ، حيث كان سلطان العراق هو السلطان محمود بن محمد ملكشاه وكان السلطان سنجر ابن ملكشاه أخو بروكياروف فى ذلك الوقت ملك خراسان وما اليها من بلاد ما وراء النهر الى غزنة وخوارزم وقد عظمت دولته وهو شيخ البيت السلجوقى وعظمته (٣).

ولكن بالرغم من أن هذه الاحداث أو بعضها وقعت قبل مولد الشهرستانى الا أنها كانت ذات اثر كبير فى تاريخه للفرق والمذاهب التى أرخ لها وتشير أيضا الى انه كيف كان الخلفاء يحترمون رجال الدين والعلم من الفقهاء والمتكلمين والأصوليين ويقدرونهم وينتصحون بنصائحهم وكانت الغلبة والتوفيق فى النهاية لأهل السنة ومما يشير الى ذلك يقول ابن تغرى بردى " ان محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو على المتكلم المعتزلى شيخ المعتزلة والفلاسفة والداعية الى مذهبهم وهو من أهل الكرخ وكان يدرس هذه العلوم فاضطره أهل السنة الى أن لزم بيته خمسين سنة لا يتجاسر أن يظهر ومات (٤) كما روى أيضا أن القزوينى المعتزلى دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميمى ورجل آخر أشعرى فقال له القزوينى أيها الصدر قد

---

(١) المرجع السابق ص ١٧١

(٢) المرجع السابق ص ١٧١

(٣) الشيخ محمد الخضرى بك ـ تاريخ الامم الاسلامية ص ٤٤٥ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبعة سنة ١٩٧٠م.

(٤) ابن تغرى بردى جـ ٥ ص ١٢١

اجتمع عندك رؤس أهل النار : فقال نظام الملك وكيف ذلك ؟ قال : أنـا معتزلى وهذا شبه " يعنى التميمى وذلك أشعرى وبعضنا يكفر بعضا فضحك النظام ، وقيل أيضا أنه اجتمع مع ابن البراج متكلم الشيعة فقال ابن البراج مـا تقول فى الشيخين ، فقال سفلتين ساقطين قال : من تعنى .. قال : أنـا وأنت (١).

ولكن هذا الامر لم يقف عند ذلك بل تعداه الى فتن طاحنة بين جميع الطوائف الأخرى يقول ابن الاثير فى حوادث سنة ٤٨٨ هـ وقعت الفتنة بها " بنيسابور " بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرون وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة (٢).

وهكذا كانت الفتن والدسائس والاضطرابات تقوم بين جميع الطوائف وكـان الوزراء والسلاطين لهم دور كبير فى هذا مما أدى الى اندثار فرق وأفل نجمهـا وظهور فرق أخرى وعظم شأنها ، وكان أبو الفتح الشهرستانى يتسمع بهذه الاحداث أو تلك الاضطرابات مما كان له أثره علـى مؤرخنا فى تاريخه للاديان والمذاهب.

ولما كانت الحالة السياسية ترتبط بالحالة الاجتماعية والثقافيـة أيما ارتبـاط لذا نشير اليها فيما يلـى :

ثانيا : الحالـة الاجتماعيـة والثقافيـة :

لما كانت الحالة السياسية ترتبط ايما ارتباط بالحالة الاجتماعية والثقافيـة فلقـد وجـد فى العصر الذى نبت فيه أبو الفتح الشهرستانى بعض الاضطرابـات

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦

(٢) ابن الاثير الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٥١

بين المذاهب بعضها البعض وبين المذاهب وأصحاب الطوائف الأخرى ،
ويحاول أنصار كل فريق الطعن على خصمه والتشهير به ويحاول كل سلطان
أو وزير الانتصار بفريق من الفقهاء والعلماء ، ذلك أن الحاكم اذا كان شيعيا كان
مذهب الدولة المحكومة هو التشيع واذا كان الوزير رافضيا كان المذهب الرسمي
للدولة هو الرفض وتبعا لهذا نجد ان هناك مذاهب قديمة اندثرت ومذاهب
جديدة ظهرت وأرتدت مبادئ المذاهب القديمة من أجل ذلك كانت هناك الحروب
بالسيوف والافكار والاقلام وضيع بين هذا وذاك قواعد المذاهب ومبادئ
الفرق .

فمثلا نجد أن المذهب السني كان هو الذي انتشر في ايران والعراق وبلاد
الاندلس وكان يمثل هذا المذهب الأشاعرة اتباع أبي الحسن الأشعري وكانت
المبادئ التي يقوم عليها هذا المذهب معتدلة .. يقول الامام الغزالي : " ان
الأشعرية لا ترى معاندة بين الشرع المنقول وبين الحق المعقول " (١) وفي
ذلك الوقت (وقف طغرليك السلجوقي على مقالات الأشعري وكان طغرليك حنفيا
فأمر بلعن الأشعري على المنابر وقال هذا يشعر بأنه ليس في الارض كلام
فعز ذلك على أبي القاسم القشيري وعمل رسالة سماها " شكاية أهل السنة
ما نالهم من المحنة " ووقع بعد ذلك أمور حتى دخل القشيري وجماعة من
الأشعرية الى السلطان طغرليك المذكور وسألوه رفع اللعنة عن الأشعري
فقال طغرليك : الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة لأن المعتزلة أثبتوا
أن القرآن في المصحف وهذا نفاه (٢).

---

(١) انظر الامام الغزالي ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ ص ٢ سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م
مكتبة محمد علي صبيح
(٢) ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة ـ جـ ٥ ص ٥٤ .

وظل هذا اللعن يقع على الاشعرية حتى ولى ألب أرسلان صاحب خراسان السلطة واستوزر له نظام الملك (١) الذى أزال هذا اللعن الذى كان يقع على الأشعرية ، يقول ابن الأثير : " وكان الوزير عميد الملك الكندرى قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فأمره بذلك وأضاف اليهم الأشعرية ولعن الجميع ، ومن أجل ذلك فارق كثير من الأئمة بلادهم مثل امام الحرمين وأبى القاسم القشيرى وغيرهم ، ولما ولى ألب أرسلان السلطة اسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء الى أوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى يقوم لهما ويجلس فى مسنده (٢).

وكان نظام الملك شافعيا ونشر مذهب الامام الشافعى ببلاد العجم (٣).

وبذلك كانت سيادة المذهب السنى الأشعرى الذى انتشر فى ايران والعراق وبلاد المغرب والاندلس ولم يتأثر هذا المذهب السائد بتلك الفتن التى كانت تحدث بين الطوائف بعضها ببعض لأننا لم نرعالما بارزا الا ويأخذ بمذهب أهل السنة مثل الامام أبو المعالى الجوينى المتوفى " ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٦م " والامام الغزالى المتوفى عام " ٥٠٥ هـ ـ ١١١١م " ذلك أن هذا المذهب بلغ عظمته فى عصر مؤرخنا أبى الفتح الشهرستانى ، ونجد أيضا أن أبا القاسم القشيرى يستنجد بنظام الملك من الاوباش والرعاع المتوسمين بالحنبلية فى بغداد فى محضر كبير جاء فيه .. يقول ابن عساكر : " بسم الله الرحمن الرحيم : يشهد من

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٦٨
(٢) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ـ ج ١٠ ص ٢٠٩
(٣) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢١

يثبت اسمه ونسبه وصحح نهجه ومذهبه واختبر دينه وأمانته من الائمة والفقهاء والعلماء وأهل القرآن والمعدلين الأعيان وكتبوا خطوطهم المعروفة بعباراتهم المألوفة مسارعين الى أداء الأمانة وتوخوا فى ذلك ما تحظره الديانة مخافة قوله تعالى : " ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله " (١).

ان جماعة من الحشوية والأوباش والرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا بعضا من البدع الفظيعة والمخازى الشنيعة ما لم يتسمح به ملحد فضلا عن موحد ولا يجوز قادح فى أصل الشريعة " (٢) .. ولكن اذا كان المذهب السنى هو الذى انتشر فى تلك البلاد نجد ان مذهب الرفض والتشيع هو الذى ساد مصر آنذاك فى ذلك الوقت حيث ان المذهب كان هو مذهب الحاكم .. يقول ابن تغرى بردى " فان كان الوزير رافضيا على مذهب القوم تغالو فى ذلك وأمعنوا وان كان الوزير سنيا انتصروا " (٣).

ففى أثناء حكم المستعلى كان مذهب الرفض والتشيع هو الذى ساد مصر آنذاك .. يقول ابن تغرى بردى : " وكان المستعلى متغاليا فى الرفض والتشيع تقع منه الأمور الشيعية " (٤) .

وهكذا كانت الاضطرابات والفتن بين أصحاب الطوائف والفرق أو بين بعضها بعضا فى العصر الذى نبت فيه مؤرخنا مما كان له عظيم الأثر فى سماعه لهذه الأحوال وظل الحال هكذا الى أن تصالح أهل السنة والشيعة فى ذلك الوقت ؛ يقول ابن الاثير فى حوادث سنة ٥٠٢ هـ " فى هذه السنة اصطلح عامة

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٠
(٢) ابن عساكر ـ تبيين كذب المفترى ص ٣١٠.
(٣) ابن تغرى بردى " النجوم الزاهرة ـ جـ ٥ ص ١٥٥
(٤) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٥١

بغداد السنة والشيعة وكان الشكو منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين فى اصطلاح الحال فتعذر ذلك عليهم الى أن اذن الله تعالى فيه (١).

ونتيجة لهذه الاضطرابات التى كانت سائدة فى المجتمع فى ذلك الوقت تفشى فى بعض البلاد انحلال فى النواحى الاجتماعية .. يقول ابن كثير فى حوادث سنة ٥١٤ هـ "ان تومرت حينما دخل مراكش ومعه تلميذه عبد المؤمن عبد المؤمن ابن على وكان قد توسم النجابة والشهامة فيه فرأى فى مراكش من المنكرات أضعاف ما رآه فى غيرها (٢).

وهكذا كان لاضطراب الحياة السياسية والاجتماعية فى هذه البلاد أثر فى طمع الأجانب فيها كما كان لضعف الخلفاء العباسيين فى بعض الأحوال أثر فى استقلال بعض حكام الأقاليم بأقاليمهم مما جعل الشهرستانى يروى لنا هذه الأبيات .. يقول الشهرستانى فى كتابه قصة سيدنا يوسف :

كفى حزنا أنى مقيم ببلدة	أحبائى فيها بين نازح ومقسم
أقلب طرفى فى البلاد فلا أرى	وجوه أحبائى الذين أريد
فان جمعت بينى وبين أحبتى	صروف الليالى اننى لسعيد (٣)

فهذه الأبيات تشير الى أن أبا الفتح الشهرستانى ترك موطنه الى خوارزم كما فعل غيره من أصدقائه وذلك نتيجة للأحوال الاجتماعية التى كانت سائدة فى هذه الفترة وذلك بعكس الحال فى الحالة الثقافية التى ازدهرت ازدهارا عظيما

(١) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ج ١٠ ص ٢٥١
(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٦
(٣) نقلا من رسالة الدكتور سهير مختار ـ الشهرستانى وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ٣٩.

حيث كان كل حاكم يحشد كل ما يستطيع من قوى ليصل الى غرضه أو ليتغلب على خصمه .. وكان من أنفذ هذه القوى الاستعانة بالعلماء والفقهاء .. لهذا كله نشطت الحالة الثقافية كثيرا وتعددت المجادلات والمناظرات التى كانت تصدق حينا وتجنح أحيانا وقد تصل الى السب فى كثير من المواقف وساعد على ذلك وساعد على نمو هذه الحركة ونشاطها وجود ذلك الوزير العظيم " نظام الملك " حيث أنه كان أول من بنى (١) المدارس التى من هذا النوع وكان له اهتمام كبير ببناء هذه المدارس وتأسيس الربط حتى أن له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة وجاء فى طبقات السبكى " ان هذه المدارس كانت موجودة فى بغداد ونيسابور وهراه وأصبهان ومرو وآمل وطبرستان والموصل والبصرة. (٢)

وكانت هذه المدارس مثل الجامعات اليوم يقصدها الفتيان الذين أرادوا مبادىء العلوم فيقيمون بها ويدرسون فيها ولهم ما يحتاجون من الطعام واللباس ذلك أن نظام الملك انفق على نظامية بغداد وحدها مائتى الف دينار من ماله وبنى حولها أسواقا تكون حبسا عليها وكان يصرف عليها كل عام لنفقات الاساتذة والطلبة خمسة عشر الفا من الدنانير (٣) وكان فيها ستة آلاف طالبا وكان من أعلام مدرسيها أبو نصر الصباغ وأبو اسحاق الشيرازى وأبو حامد الغزالى وأبو الحسن الكيا الهراسى وأبو بكر الشاشى وأبو الفتح الشهرستانى .. يقول خليل طوطح عن هذه المدارس " كانت آلة لنشر الدعاية السياسية فهو أى نظام الملك أول مؤسس للمدارس التى من هذا النوع فى الدولة العباسية فلقد كانت مؤيدة بقوة المذهب

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٦٨

(٢) السبكى ـ الطبقات جـ ٣ ص ١٣٧

(٣) الاستاذ عبد العزيز عبد الحق ـ الرد الجميل للغزالى ص ٤٠ ـ نقل هذا عن مقال سعيد نفيس عن المدرسة النظامية ببغداد فى مجلة المجتمع العلمى العراقى .

السنى ومكافحة الشيعة بشدة على أنواعها ولقد كان يكفى اتهام الاستاذ بالتشيع لاخراجه من المدارس النظامية (١) من هنا فقد كانت هذه المدارس لنشر مذهب خاص أو لزيوع فكرة بعينها فقد كان العلم يدرس فى كل مكان فى المسجد فى البيت ، فى الحانوت ، وهنا يتسع المجال لأن يشبع كل منهم رغبته لا أن يتقيد بقيود المدارس الأميرية .. لذا اشتهر عصر الشهرستانى بالازدهار العلمى والانتعاش الفكرى فى انحاء الأمة الاسلامية فى ذلك الوقت .. فمثلا نجد الامام الغزالى فى " منقذة من الضلال " يتنقل بين علماء الكلام والفلاسفة والباطنية والمتصوفة ورأينا الكتب تؤلف فى كل علم وفن ولم تذهب بعيدا .. فهذا مؤلفنا ومؤرخنا الشهرستانى يؤرخ فى كتابه الملل والنحل كل مقالات أهل العالم من لدنه آدم عليه السلام الى وقته يحشد فيه آراء المسلمين والنصارى واليهود والثنوية والمجوس والصابئة والفلاسفة وآراء العرب وآراء الهند وكيف استقى كل هذه الآراء ؟ انه استقاها مما دار حوله من علم وما وقع عليه نظره من ثقافات ذلك أنه كان قوى البديهة حسن المناظرة حتى قال عنه ابن خلكان " كان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس " (٢) من هنا فقد استطاع الشهرستانى أن يواكب عصره فى الثقافة والانتعاش الفكرى فوصل الى أعلى درجاتها وذلك بجهده الخاص ورغبته الملحة فى الدرس والتدريس حيث أنه قال : " فلما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر " (٣).

---

(١) الدكتور بدران ـ المدخل الى كتاب للملل والنحل ص ١١٢
(٢) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٧٣
(٣) الشهرستانى الملل والنحل ج ١ ص ١١

وهذا تصريح منه بأنه اطلع على عدد من الكتب التى لا تحصى فى مختلف أنواع العلوم حيث أنه اطلع على ثقافات وأقوال أهل كل فرقة موجودة فى وقته وألم بها وأحاط بها احاطة مكنته من أين يصبح مؤرخا لمقالات أهل العالم بالاضافة إلى ذلك كان الشهرستانى يناقش ويناظر ويدون ذلك فى موسوعته حيث نراه يقول فى آخر حديثه عن الباطنية (وكم ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم أفنحتاج اليك ؟ أو نسمع منك ؟ أو نتعلم عنك ؟ وكم ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت أين المحتاج اليه ؟ وأى شئ يقررون فى الا لهيات ؟ وماذا يرسم لى فى المعقولات اذ المعلم لا يعنى لعينه وانما يعنى ليعلم وقد سدد تم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد وليس يرضى عاقل أن يعتقد مذهبا على غير بصيرة وأن يسلك طريقا من غير بينة (١) وان كانت مبادىء الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات يقول الله تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " (٢) .

وهكذا كان الشهرستانى متعدد الثقافة حيث ان القارىء لمؤلفاته الموجودة يستطيع أن يلمس بوضوح مدى ثقافته الواسعة المتميزة ، وكيف كان واحدا من عظماء عصره فى الفلسفة والكلام .

ومن هنا فانا نشير الى مؤلفاته التى شملت ميادين مختلفة فى الفقه والتفسير والكلام والفلسفة وتاريخ الفرق ومذاهبها حيث ان هذه المؤلفات تمثل تراثا علميا فياضا .... فما هى مؤلفاته ؟

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٩٨

(٢) سورة النساء ـ آية رقم ٦٥ .

مؤلفاتـــه :

لقد شملت مؤلفات مؤرخنا العديد من العلوم والفنون وذلك راجع الى حبه وشغفه بالدرس والتدريس ، وبكثرة مجالسه العلمية والوعظية ، فقال عنه ابن خلكان " صنف كتبا " (١) وقال عنه احد معاصريه أيضا " له تصانيف كثيرة .. تزيد على عشرين مجلدة .. ورأيت له مجلسا مكتوبا عقد ، بخوارزم " (٢).

وجاء فى شذرات الذهب قال ابن قاضى شهبة : "صنف كتبا كثيرة " (٣) .. ويقول عنه صاحب معجم البلدان : " انه صاحب التصانيف " .

وعلى ما يبدو لنا أن كثرة هذه المؤلفات وانتشارها وذيوعها راجع الى أنه كان قوى البديهة سريع النظر حتى قال عنه احد معاصريه : " وكان كثير المحفوظة حسن المحاورة يحفظ الناس " (٤) وعند استقرائنا لمؤلفاته وجد أن منها المخطوط والمطبوع والمفقود ، اذ نقسمها ثلاثة أنواع :

أولا : **الكتب المخطوطـــة :**

١) رسالة فى اعتراضات الشهرستانى على كلام ابن سينا أرسلها الى القاضى عمر بن سهل .

٢) رسالة الى محمد الايلاقى الطبيب المشهور وهى فى السؤال عن العلم الالهى .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٧٤

(٢) البيهقى ـ تحقيق محمد كرد ـ تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٢

(٣) ابن العماد ـ شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٩

(٤) ابن خلدان ـ وفيات الاعيان ج ٤ ص ٢٧٦

٣) رسالة الى محمد السهلانى .

وهذه الرسائل الثلاث موجودة فى مجموعة خطية بمكتبة شوارى ملى بطهران بايران (١).

٤) شرح سورة يوسف بعبارة لطيفة نسبة اليه صاحب معجم البلدان (٢) .

٥) المناهج والايات أو المناهج فى علم الكلام (٣).

ثانيا : الكتب المطبوعة :

١) مجلس فى الخلق والأمر ـ وهو باللغة الفارسية . طبعة محمد جلالى نائى فى ايران (٤).

٢) الملل والنحل ـ وقد أخذ مؤرخنا فى تأليفه وهو فى مستهل العقد الرابع من عمره فبينما كان فى بغداد يدرس فى نظاميتها من سنة ٥١٠ هـ الى ٥١٣ هـ " اذ بعث اليه نقيب ترند يأمره بتأليف كتاب فى الملل والنحل يضم آراء القدامى والمعاصرين لهم من مقالات أهل العالم ، وكان آنذاك فى بغداد يدرس فى نظاميتها ، فبدأ فى كتابة بعض فصول هذا الكتاب هناك ، على أنه قبل ان يتم تأليفه للكتاب كان قد انشغل فى المجالس التى كان يعقدها فى بغداد كما كان قد انشغل أيضا فى تأليف كتابه نهاية الاقدام فى علم الكلام .. يقول الشهرستانى فى اهدائه الكتاب لأبى القاسم على ابن جعفر الموسوى نقيب ترند بعد البسملة والحمد (لما قام على مجلس الصاحب الأجل السيد العالم العادل المؤيد المظفر أبى القاسم

---

(١) الشهرستانى ـ تحقيق د . سهير مختار ـ مصارعة الفلاسفة ص ١٩

(٢) معجم البلدان ـ ج ٣ ص ٣٧٧ ، تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٣

(٣) طاشى كبرى زاده ـ مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٢٣ ، مصارعة الفلاسفة ص ٢٠

(٤) الشهرستانى مصارعة الفلاسفة ص ٢٠

محمود بن المظفر بن عبد الملك خالصة أمير المؤمنين للمكـــــارم سوقها ونهج الى المعارف والمآثر طرقها .. أن تفيض على مسند أ كل دور من أدوار الزمان ويمكن لكل كور من أكوار الحدثان من يجمع فيه خلتي العلم والقدوة .. من جملة تلك المواهب ما وقف المقتدى بشمرته المرتوى من ديمته طليق كرمه وعتيق نعمه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل فاطلع على مواردها وشواردها (١).

وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات كما ترجم الى العديد من لغات العالم فظهرت له ترجمة فارسية بأصفهان سنة ٨٤٣ هـ (١٤٣٩م) لأفضل الدين ، وأخرى في لاهور بالهند سنة ١٠٢١هـ (١٦١٢م) ـ ترجمة مصطفى خالق دار الهاشمي وظن ضمن مجموعة " بكوك " المطبوعة بلندن سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩م) (٢).

٣) نهاية الاقدام في علم الكلام ـ حققه الفرد جيوم عام ١٩٣٤م.

٤) مسألة في اثبات الجوهر الفرد (٣).

٥) مصارعة الفلاسفة وهو من تحقيق الدكتورة سهير محمد مختار .

ثالثاً : الكتب المفقودة :

١) تلخيص الاقسام لمذاهب الانام (٤) وفي شذرات الذهب تلخيص الاقسام لمذاهب الاعلام .

٢) الارشاد الى عقائد العباد (٥).

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ص ٩ ، رسالة الدكتورة سهير مختار ص ٥٨

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ تحقيق الدكتور بدران ج ١ص ١٣

(٣) الشهرستاني ـ نهاية الاقدام في علم الكلام ص ٥٠٥ .

(٤) انظر وفيات الاعيان ج ٤ص ٢٧٥ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ١٤٩ ومفتاح السعادة ج ١ص ٣٢٣ .

٣) كتاب المبدأ والمعاد (١).

٤) الأقطار في الأصول (٢).

٥) غاية المرام في علم الكلام (٣).

٦) كتاب دقائق الأوهام (٤).

٧) تاريخ الحكماء وقد نسبه اليه "كيورتن" في مقدمته لطبعته لكتاب الملل والنحل (٥).

(٨) كتاب العيون والانهار (٦).

٩) قصة موسى والخضر (٧).

١٠) شبهات برقلس وأرسطو وابن سينا ونقضها (٨).

١١) مجلس في قصة سيدنا موسى (٩).

١٢) نهاية أوهام الحكماء الألهيين (١٠)

نهاية المطاف :

وهكذا طوف الشهرستاني ما شاء له أن يطوف وتجول في البلدان ما وسعه التجول واتصل بمن شاء من العلماء والافذاذ وعب من معين العلم ما وسعته طاقته العلمية ثم عاد الى مسقط رأسه حيث انفق فيها ما بقى من عمره وأسلم فيها روحه الطاهرة الى بارئها في أواخر شعبان سنة ثمان او تسع وأربعين وخمسمائة رحمة الله رحمة واسعة قال عنه خير الدين الزركلي " محمد بن عبد الكريم بن احمد ابو الفتح الشهرستاني من فلاسفة الاسلام . كان اماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة يلقب بالأفضل ولد بشهرستان بين نيسابور وخوارزم وانتقل الى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام بها ثلاث سنوات وعاد الى بلده وتوفى بها (١١) وبانتهاء مؤلفات الشهرستاني نكون قد أشرنا الى سيرته ومصنفاته .

---

(١) معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٧ (٢) المرجع السابق نفس الصفحة
(٣) نفس المرجع والصفحة
(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ تحقيق الدكتور بدران جـ ١ ص ٥
(٥) البيهقي ـ تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٢
(٦) المرجع السابق (٧) نهاية الاقدام ص ٥
(٨) معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٧٧ (٩) البيهقي ـ تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٣
(١٠) البيهقي ص ١٤٤ (١١) خير الدين الزركلي ـ الاعلام جـ ٧ ص ٨٣ ط ٢

المبحث الثاني

علم تاريخ الأديان

وقد تضمن هذا المبحث علم تاريخ الأديان قديما ثم بيان المصطلحات العلمية الثلاث . كلمة الدين والملة والنحلة .. ثم الاشارة الى علم تاريخ الأديان فى العصر اليونانى والرومانى والعصور الوسطى ثم العصر الاسلامى ثم بيان علم تاريخ الأديان حديثا .

* * *

مقدمة فى تاريخ الأديان :

ان العقيدة بالديانة هى أسبق العقائد التى عرفت فى الانسان يوم خلقه فقد خلق آدم من تراب ونفخ فيه من روحه ، وهناك الصلة بين الخالق والمخلوق وهذه الصلة بدأت منذ اللحظة الأولى لخلق الانسان الذى سوف يصبح خليفة فى الأرض مصداقا لقوله تعالى : " انى جاعل فى الأرض خليفة " (١).

وان هذه الصلة بين القوة العليا وبين الانسان الأول يحددها القرآن الكريم فى قوله تعالى : " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون " (٢) وقوله تعالى : " اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " (٣).

وقوله تعالى " واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " (٤) وقوله تعالى : " وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا " (٥) .

وجاء فى تفسير ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة " قال : استشار الملائكة فى خلق آدم فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة انه لا شىء اكره عند الله من سفك الدماء والفساد فى الأرض ـ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. قال انى أعلم مالا تعلمون فكان فى علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسل

---

(١) سورة البقرة اية رقم ٣٠
(٢) نفس السورة ونفس الاية
(٣) سورة الحجر اية رقم ٢٨ ، ٢٩
(٤) سورة ص أية رقم ٧١ ، ٧٢
(٥) سورة الفرقان آية رقم ٥٤

وقوم صالحون وساكنوا الجنة قال وذكر لنا ابن عباس انه كان يقول : ان الله لما أخذ فى خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة ما أن الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والارض بالطاعة (١) .

وجاء أيضا فى نفس الآية " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون " يعنى من شأن ابليس فبعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض انى اعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال يارب انها عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فعاذها فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا اعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الارض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين " (٢) .

وجاء فى سنن الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والجبل والخبيث والطيب " (٣) .

ومن هنا فان هذه الآيات والحديث تبين لنا الصلة القوية بين الانسان الأول وخالقه الذى أراد له الله سبحانه وتعالى أن يعمر هذه الارض ويكون خليفة له والله سبحانه وتعالى خلق الانسان وقومه فى أحسن صورة وذلك بقدرة القوى

---

(١) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٧٩ سنة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٠ م
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٧٦
(٣) سنن الترمذى ج ٤ كتاب التفسير ص ٢٧٣ طبعة الفجالة ـ وقال فيه ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

القاهر التى لا تضاهيها قدرة ولكن علماء الغرب المنكرين للألوهية القائلين بنظرية التطور والارتقاء يدعون خلاف ذلك ، وأن دعواهم هذه مجرد فرض يعوزه التحقيق العلمى .. يقول استاذنا الدكتور محمد سيد احمد المسير " وكل ما اكتشفوه من حفريات للانسان انما يؤكد الاختلاف الكمى للانسان فى ذاته فى مختلف العصور فكونه هنا ماردا وهناك قزما أو جمجمة ، هذا الانسان أكبر حجما من ذاك ليس فيه شائبة تطور للانسان من نوع آخر وانما هو تطور داخل النوع الواحد تبعا للبيئة وظروف الطقس والمناخ (١).

وعلى كل فانا نشير الى أن الدين نشأ مع الانسان الأول تصله بخالقه قوة روحية غيبية حيث نفخ فيه الخالق من روحه ، وان أصحاب الكتب المقدسة يعترفون بأن آدم عليه السلام هو أب للبشرية كلها " ولقد كان اتباع الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام يؤمنون بأن آدم عليه السلام هو أب للبشرية كلها وهو صفة الله المباشرة وأول المؤمنين من البشر ، فالعقيدة الحقة التى كان عليها آدم هى التوحيد الخالص وتلك حقيقة أولية تتفق عليها الكتب المقدسة ، ومن الطبيعى أن تكون هذه هى عقيدة الأجيال اللاحقة له من أبنائه فاذا حدث خلاف بين البشر وظهرت فيهم عقائد مختلفة ، وكما هو حادث الآن فمرد ذلك ومصدره راجع الى طغيان الانسان ومحاولاته التدخل فى دين الله " (٢).

ولكن هناك من علماء الغرب من قال بتأخر نشأة الدين عن وجود الانسان على الأرض ومن هؤلاء " فولتير " الذى يقول : ان الانسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا طويلة فى مسائل الديانات والروحانيات ، بل قال ان فكرة التأليه انما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا

---

(١) الدكتور محمد المسير ـ المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى جـ٢ ص ١٦٨ ط ١ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) الاستاذ احمد عبد الوهاب ـ النبوة والانبياء ـ دراسة فى الاديان ص ١١ مكتبة وهبه سنة ١٩٧٩م.

يصدقهم من الحمقى والسخفاء ولكن هذا الادعاء زعم خاطئ وترديد لصدى مجون قديم كان يتفكه به أهل السفسطة من اليونان . (١)

ذلك أن من علماء الغرب أنفسهم من يرى خطأ هذه المزاعم ذلك انه ليس هناك دليل على أن التدين تأخر عن نشأة الانسان .

(يقول معجم " لاروس " للقرن العشرين : " ان الغريزة الدينية مشتركة بين الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية وأقربها الى الحياة الحيوانية وأن الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية .. ويقول : ان هذه الغريزة الدينية لا تختفى بل تضعف ولا تذبل ، الا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد (٢) .

ويقول أيضا هنرى برجسون : " لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة (٣) .

وهكذا كان الدين ملازما للانسان منذ نشأته الاولى وخلقه الأول ، وان الادعاءات التى يقوم بها علماء الغرب لا تقوم على أساس علمى ، ذلك أن أبحاث العالم الألمانى " ميلر " الذى كانت له اليد الطولى فى حل رموز السنسكريتية لهذا فان الناس كانوا فى أقدم عهودهم على التوحيد الخالص وأن الوثنية غرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين " (٤) .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ كتاب الدين ص ٨١
(٢) المرجع السابق ص ٨٤
(٣) المرجع السابق ص ٨٥
(٤) راجع الاستاذ احمد عبد الوهاب ـ النبوة والانبياء ـ دراسة فى الاديان ص ١١ .

ويرى عباس العقاد أن من يسمع لهم رأى راجح في مباحث العقيدة امــــام علماء اللغات المحدثين " ماكس موللر " صاحب الرأى المعدود في استقات اللغات ومعاني الأساطير وعلاقتها بالعقائد والعبادات ، فهو يؤمن بأن " البصــيرة " هبــة عريقــة في الانسان ، وأننا كما قال في كلامــه عن مقارنة الأساطير ـ " مهمــا نرجع بخطوات الانسان الى الوراء قلت بقوتنا أن نتبين أن منحــه العقل السليـــم المستفهق كانت من خصائصــه منذ أوائل عهــده ، وأن القول بانسانية متسلسلة مــن أعما ق البهيميــة انما هو قول لن يقوم عليه دليل .. وصداقا لهذا الرأى الراجــح يرجــح موللر ان الانسان قد تدين منذ اوائل عهده لأنــه أحــس بروعــة المجهــول وجــلال الأبــد الذى ليس له انتهاء ، وأنــه مثل لهذه ا لروعــة بأعظم ما يــراه في الكــون وهو الشمس التى تملأ الفضاء بالضياء فهى محور الأساطير والعقائـــد كما تبين له من المقابلــة بين اللغات واللهجــات (١).

ويقول العقا د أيضا : (وقد اتفق علماء المقابلــة بين الأديان على تأصيل للعقيــدة الدينيــة في طبائع بنى الانسان من أقدم أزمنــة التاريخ) (٢) .

ومن هنا فان حقيقــة التدين مركــوزة في الانسان مذ خلقــه الله تبارك وتعالى حيث يشير الى ذلك القرآن في قولــه تعالى : " واذ أخذ ربك من بنى آدم مــن ظهــورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى سهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين " (٣).

وقولــه تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليهــا لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون " (٤).

---

(١) الاستاذ العقاد ـ الله ص ٢٣

(٢) المرجع السابق ص ١٥

(٣) سورة الأعراف ـ آية رقم ١٧٢

(٤) سورة الروم ـ اية رقم ٣٠

جاء في تفسير ابن كثير في تفسير قوله تعالى " وإذ أخذ ربك من بني .. "
(يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم ومليكهم وأنه لا اله الا هو .. كما انه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .. قال تعالى : " فأقم وجهك " ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية " على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (١). وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم " (٢)

ولكن اذا كان التدين وجد منذ أن خلق الله الانسان فان البدع والضلالات وجدت أيضا على يد ابليس اللعين وانه نشأت البدع والضلالات ترجع الى حين وجد ابليس اللعين .. (وبداية الصراع لم تكن على ظهر هذه الأرض وانما وقعت حيث أمر الله بالسجود لآدم فأبى ابليس اللعين .. وقال : أأسجد لمن خلقت طينا ثم أخذ على نفسه العهد فقال : " لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين " (٣).

وعلى هذا فان الانسان منذ وجد وهو متدين وليس هذا التدين خاضعا الا لله الذي أوحاه الى الانسان الأول وهو النبي الأول يقول الله تعالى : "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم " (٤).

---

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٦١ رواه مسلم كتاب القدر ج ٤ ص ٢١٠
(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٧ ، كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار طبعة عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
(٣) سورة الاعراف آية رقم ١٦ ، ١٧
(٤) الدكتور محمد السير — المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي ج ٢ ص ١٨١

وأن ذريته من بعده استمرت على التوحيد حتى جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دين الله .

يقول الله تعالى : " قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتيكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (١).

ونجد أن الله تبارك وتعالى يحميهم فيقول : " يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما " (٢).

وفى نبأ ابنى آدم هذه الحقيقة (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك .. قال انما يتقبل الله من المتقين ") (٣)

وهكذا فان الاعتقاد الصحيح وجد منذ آدم الى قيام الساعة لم تنله يد التطوير والتغيير الا من جانب البشر الذين انحرف بهم فكرهم أو هواهم أو قصر عقولهم عن فهم حقيقة هذا الدين فأخذوا يتراجعون عن ادراكها حتى أودى بهم هذا التراجع وتلك المحاولات الى عبادة مظاهر الطبيعة وخلاف ذلك من المعتقدات الباطلة ، فكان الانسان اذن هو الذى انحرف بالاعتقاد وصدق الله حيث يقول (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (٤).

وأرسل الله الرسل تباعا ليوفى الناس بميثاقهم الأول ولتجد فطرة التدين عندهم سندا ومرشدا وأسوة تهديهم الى سواء السبيل وصدق الله

---

(١) سورة البقرة ـ اية رقم ٣٧ ، ٣٨
(٢) سورة الاعراف ـ اية رقم ٢٧
(٣) سورة المائدة ـ آية رقم ٢٧
(٤) سورة الشورى ـ اية رقم ١٣

حيث يقول : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " (١).

(وعلى مدار الرسالات الالهية وقف الباطل بشتى صوره وأشكاله من طواغيت وأصنام وجاهلية وهوى وشهوات ونزوات وقف فى وجه الحق الصراح ونبل مقصده وسمو هدفه وكريم غاياته) (٢).

وعلى هذا فان خلاصة القول فى هذا المقام هو ما قرره القرآن الكريم حيث يقول (وما كان الناس الا أمة واحدة فما اختلفوا) (٣) .. ويقول أيضا .. (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) (٤).

وعلى كلا الحالين حالة تدينه وحالة خروجه عنه ، كان الانسان يتطلع الى وجود غاية أو الوصول الى هدف لأنه معتقد بالطبع والاعتقاد وليد التطلع والتطلع وليد التأمل حتى لا يمكن أن يقال ان التأمل ناشئ دون أساس ، ولما كان الانسان نزاعا الى التطور فقد ظل يتدرج فى مراقى الحضارة وتطور عقله ، ولكنه كان فى كل مرة يبحث عن القوة المسيطرة على الكون وهو جزء من هذا الكون حيث ان النزعة منذ بدء خلقه وأضحة المعالم وذلك اول ما يدل عليه استغفار آدم وتوبته وندم ابنيه الذى قتل وعجز ان يوارى سوأة أخيه " (٥).

---

(١) سورة النساء ـ اية رقم ١٦٥
(٢) الدكتور محمد السيد ـ المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى ص ١٨٢
(٣) سورة يونس ـ اية رقم ١٩ ـ
(٤) سورة البقرة ـ آية رقم ٢١٣
(٥) الاستاذ محمد فؤاد الهاشمى ـ الأديان فى كفة الميزان ص ١٢ ـ طبعة دار الكتاب العربى بمصر ـ بدون تاريخ .

المصطلحات العلمية الثلاث

أولا : معنى كلمة الدين :

ان البحث فى علم الأديان يتطلب منا أن نعرف أولا معنى كلمة " دين " سواء كان دين الاسلام او دين المسيحية أو اليهودية أو المجوسية أو البوذية أو غيرها من الأديان التى ظهرت خصوصا ونحن نبحث فى تاريخ علم الأديان .

وقد وضعوا لكلمة دين أسماء وصفات ، وسلكوا فى ذلك مسالك هى مسا نسميها بالأديان وجاء فى مختار الصحاح (" دين " الدين واحد الديون وقد دانه : أقرضه فهو مدين ومديون ودان هو : أى استقرض فهو دائن أى عليه دين وبابهما باع قلت : فصار دان مشتركا بين الاقراض والاستقراض وكذا الدائن ورجل مديون كثر ما عليه من الدين ، ومديان أى عادته أن يأخذ الدين ويستقرض . وأدان فلان : باع الى أجل : تقول منه : أدنى عشرة دراهم ودان بالتشديد استقرض وهو افتعل . وفى الحديث : " دان معرضا " أى استدان[1] . وتداينوا تبايعوا بالدين واستدان استقرض . وداينت فلانا اذا عاملته فأعطيته دينا وأخذت منه بدين . والدين بالكسر العادة والشأن . ودانه بدينه دينا بالكسر : أذله واستعبده .. .

" والدين أيضا : الجزاء والمكافأة يقال : دانه بدينه دينا : أى جازاه يقال كما تدين تدان . أى كما تجازى تجازى بفعلك وحسب ما عملت وقوله تعالى : "انا لمدينون " أى لمجزيون ومحاسبون ومنه الديان فى صفة الله تعالى والمدين العبد والمدينة الأمة كأنهما أذلهما العمل ودانه ملكه . وقيل منه سمى المصر مدينة والدين أيضا : الطاعة : تقول دان له بدين دينا : أى أطاعه : ومنه الدين والجمع الأديان ويقال دان بكذا ديانة فهو دين وتدين به فهو متدين ودينه

(١) موطأ الامام مالك جـ٢ ص٧٧٠ كتاب الوصية باب جامع القضاء وكراهيته . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى الحلبى ١٢٧٠ هـ ـ ١٩٥١م

تدينا وكله الى دينه) (١).

وقد زعم بعض المستشرقين أن لفظة دين من أصل أعجمى وأنها من الألفاظ المعربة أصلها فارسى وهودية ، وقد دخلت فى العربية قبل الاسلام بمدة طويلة ، وترد لفظة دين بمعنى الحشر فى الآرمية والعبرانية كذلك وهى " دينو " فى الآرمية وتقابل لفظة الآرمية لفظة الديانة فى العربية وهى بمعنى القاضى فى هذه اللغة ويعنى لفظة دين القضاء فى اللغة البابلية " وديانة " " وديونو " الحاكم والمجازى والقاضى فى لغة بنى آدرم وهى بهذا المعنى فى العربية أيضا (٢).

ولكن كلمة " دين " كلمة عربية أصيلة ليست معربة وليست فارسية كما يدعى هؤلاء المستشرقون ولكن ما جاء فى مختار الصحاح يؤكد عربيتها وأصالتها العربية .

ذلك أنه جاء فى كتاب الدين للدكتور دراز أن اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها ، نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقاربا شديدا بل صلة تامة فى جوهر المعنى . اذ نجد أن هذه المعانى الكثيرة تعود فى نهاية الأمر الى ثلاث معان تكاد تكون متلازمة بل ونجد ان التفاوت اليسير بين هذه المعانى الثلاثة مرده فى الحقيقة الى أن الكلمة التى يراد شرحها ليست كلمة واحدة بل ثلاث كلمات تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب .

---

(١) الامام محمد عبد القادر الرازى ـ مختار الصحاح ص ٢١٩ مادة دان طبعة عيسى البابى الحلبى .

(٢) الدكتور جواد على ـ المفصل فى تاريخ العرب ج ٦ ص ٦ ـ مكتبة النهضة ببغداد ـ دار العلم ببيروت .

بيانه أن كلمة " الدين " تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه : دانه يدينه . وتارة من فعل متعد باللام : دان له . وتارة من فعل متعد بالباء دان به . وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة :

١ — فاذا قلنا " دانه دينا " عنينا بذلك أنه ملكه وساسه ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه . فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى التمليك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة والمجازاة من ذلك قوله : " مالك يوم الدين " أي يوم المحاسبة والجزاء وفي الحديث " الكيس من دان نفسه " أي حكمها وضبطها والديان : " الحكم القاضي " .

٢ — واذا قلنا " دان له " أردنا أنه اطاعه وخضع له فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع وكلمة " الدين لله " يصح أن يفهم منها كلا المعنيين : الحكم لله او الخضوع لله.

وهذا المعنى الثاني ملازم للاول ومطاوع له " دانه فدان له " أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع .

٣ — واذا قلنا " دان بالشيء " كان معناه انه اتخذه دينا ومذهبا أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا وعمليا .. فالمذهب العملي لكل امرىء هو عادته وسيرته كما يقال " هذا ديني وديدني " والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه . ومن ذلك قولهم " دينه الرجل أي وكلته الى دينه "

وان هذا الاستعمال الثالث تابع للاستعمالين قبله لان العادة او العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد اليها ويلزم اتباعها(١)

(١) الدكتور عبد الله دراز — كتاب الدين ص ٢٦ .

وتقابل كلمة دين العربية لفظة   فى الانجليزية من أصل لاتينى هو   أو   وآراء العلماء المعنيين بتاريخ الأديان وفلسفتها على اختلاف كبير فى وضع حد على مقبول بين الجميع لموضوع الدين ٠

ونورد هنا بعض التعريفات التى ذكرت فى هذا الشأن :

فلقد عرف بعض العلماء الدين : أنه ايمان بكائنات روحية تكون فوق الطبيعة والبشر يكون لها أثرها فى حياة هذا الكون ٠

وعرفه آخرون بأنه استمالة واسترضاء لقوى هى فوق البشر يؤمن أنها تدبر وتدير سير الطبيعة وسير الحياة للانسان ٠

وعند بعض آخر هو : شعور وتفكير عند فرد أو جماعة بوجود كائن أو كائنات الهية والصلة التى تكون بين هذا الفرد أو تلك الجماعة أو بين الكائن أو الكائنات الألهية ، وهو بهذا الاعتبار يطلق على الاسلام ، كما على اليهودية والنصرانية وعلى المجوسية وعلى غيرها من أديان سواء كانت سماوية أو غير سماوية كما يصطلح على ذلك بعض العلماء (١) .

ونرى أنه ليس من السهل وضع حدود معينة لمعنى الدين ، ذلك أن وجهات نظر الأديان نفسها تختلف فى هذا الباب ، وللدين فى نظر الشعوب البدائية مفهوم يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الدين عند غيرهم ومفهومه فى نظر الأقوام المتقدمة يختلف باختلاف دينها ، وباختلاف وجهة نظرها الى الحياة وهناك أمور تدخل فى حدود الدين عند بعض أهل الأديان على حين أنها من الأمور الأخلاقية او من أمور الدولة فى نظر بعض آخر (٢) .

ونقل المرحوم الدكتور عبد الله دراز فى كتابة بعض التعريفات للكلمة التى تقابل كلمة الدين وهى

---

(١) الدكتور جواد على المفصل فى تاريخ العرب ج ٦ ص ٥
(٢) المرجع السابق نفس المكان ٠

يقول : وأما الغربيون فلهم فى ذلك تعريفات شتى :

يقول سيسرون فى كتابه (من القوانين) " الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله ويقول : كانت فى كتابة (الدين فى حدود العقل) " الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية " .

ويقول روبرت سبنسر فى خاتمة كتاب (المبادئ الأولية) الدين " الايمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية هو العنصر الرئيسى فى الدين (١) .

الى غير ذلك من التعريفات التى ذكرها فى كتابه ، ولكنه فى النهاية يفرق بين نوعين من الدين فيقول :

أما الاسلاميون : فقد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه : " وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل ويمكن تلخيصه بأن تقول الدين : " وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات " .

بالاضافة الى ذلك .. فقد بين لنا الشهرستانى حقيقة الدين لغة واصطلاحا فقال معنى الدين : " (انه الطاعة والانقياد وقد قال الله تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام " (٢) وقد يرد بمعنى الجزاء يقال : " كما تدين تدان " أى كما تفعل تجازى . وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد قال تعالى : " ذلك الدين القيم " (٣) فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء يوم العناء والمعاد قال تعالى : " ورضيت لكم الاسلام دينا " (٤)) (٥) .

---

(١) الدكتور دراز ـ الدين ص ٣٢
(٢) سورة آل عمران ـ اية رقم ١٩
(٣) سورة التوبة ـ آية رقم ٣٦
(٤) سورة المائدة ـ آية رقم ٣
(٥) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ٣٧

أما تعريف الدين عند الغربيين على حد ما أخذ من تعريفاتهم فيقـــول الدكتـــور دراز :

الدين : " هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لهـــا شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعنى الانسان ، اعتقاد مـــن شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضـــوع وتمجيد "

وبعبارة موجزة هو الايمان بذات الهية جديرة بالطاعة والعبادة " ..

يقول : وهذا اذا نظرنا الى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين أمـــا اذا نظرنا اليه من حيث هو حقيقة خارجية فنقول : " هو جملة النواميـــس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الالهية ، وجملة القواعد العمليـــة التي ترسم طريق عبادتها " (١)

ومن هنا فان ما جاء في قوله تعالى : " لكم دينكم ولي دين " ....

جاء في تفسير ابن كثير : " ان العابد لابد لـه من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها اليه والرسول وأصحابه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كان كلمـة الاسلام لا اله الا الله محمد رسول الله ، أي لا معبود الا اللـه ولا طريق اليه الا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم " لكـم دينكم ولي دين " كما قال تعالى : " وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتـم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون " (٢) وقال : "ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم " (٣)
وقال البخاري يقال : " لكم دينكم " الكفر " ولي دين " الاسلام (٤).

---

(١) الدكتور دراز ـ الدين ص ٥٠
(٢) سورة يونس ـ آية رقم ٤١
(٣) سورة البقرة ـ آية رقم ١٣٩
(٤) ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٦٠ ـ مكتبة التراث الاسلامي سوريا ـ حلب .

ثانيا : معنى كلمة الملة :

بعد أن أشرنا الى معنى كلمة الدين نشير هنا الى معنى كلمة الملة ذلك أن دين الله حق ولكل نبي ملة هي شريعة الله الخاصة بقومه ، حيث يقول الله تعالى : " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون " (١).

وجاء في مختار الصحاح (" ملل " مل الشيء وبل من الشيء يمل بالفتح مللا وملة وملالة .. أيضا : أي سئمه ، واستمل بمعنى مل ، ورجل مل وملول وملولة وذو ملة ، وأمرأة ملولة ، وأملة وأمل عليه : أي أمامه ، يقال : أدل فأمل ، وأمل عليه أيضا بمعنى أملى ، يقال أمللت عليه الكتاب ومل الخبزة من باب رد ، وأمتلها أي عملها في الملة ، واسم ذلك الخبز المليل والمملول ، وكذا اللحم ، يقال أطعمنا خبز ملة وأطعمنا خبزة مليلا ولا تقل أطعمنا ملة لأن الملة الرماد الحار ، وقال أبوعبيد ، الملة الحفرة نفسها ، وهو يتململ على فراشه ويتملل ، اذا لم يستقر من الوجع كأنه على ملة ، والملة : الدين والشريعة ، والململول : الميل الذي يكتحل به ") (٢).

وعلى هذا فالملة كالدين كما قال : الملة : الدين والشريعة ، وهو شرع الله تعالى على لسان الأنبياء والرسل وعلى ذلك فالملة لا تضاف الا الى النبي ، قال الله تعالى : " ملة أبيكم ابراهيم " (٣)

---

(١) سورة المائدة ـ آية رقم ٤٨
(٢) الامام الرازي ـ مختار الصحاح ص ٤٢٣ مادة مل
(٣) سورة الحج ـ آية رقم ٧٨

يقول الشهرستاني : (ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بآيات تدل على صدقه) (١)

ويبين الشهرستاني أيضا ان الملة الكبرى هي ملة ابراهيم الخليل عليه السلام وهي الحنفية ويبين ان الشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام ، قال الله تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا " وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه الصلاة والسلام حيث قال الله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " (٢)

وعلى هذا فالملة تضاف الى من أوحيت اليه ، والدين يضاف الى من يعتنقه ويؤمن به ، فأحكام التوراة ملة هي ملة موسى عليه السلام وأحكام الانجيل ملة هي ملة عيسى عليه السلام لأنهما مجموعة الشرائع التي حملها موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام (٣).

ثالثا : معنى النحلة :

بعد أن أشرنا الى معنى كلمة الدين والملة نشير هنا أيضا الى النحلة ، حيث جاء ذكرها في كتاب الله تبارك وتعالى حيث قال : " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " (٤) .

وجاء في مختار الصحاح : (نحل) النحل والنحلة الدبر يقع على الذكر والانثى ، حتى تقول يعسوب والنحل بالضم : مصدر نحلة ينحله بالفتح نحلا : أي أعطاه ، والنحلى : العطية بوزن الحبلى ، ونحل

(١) الشهرستاني - الملل والنحل جـ ١ص ٣٨
(٢) سورة المائدة - آية رقم ٣
(٣) الدكتور رؤوف شلبي - يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ ١ص ٦٢ الطبعة الاولى مكتبة الازهر .
(٤) سورة النساء - آية رقم ٤

المرأة مهرها ينحلها نحلة بالكسر : أعطاها عن طيب نفس من غير مطالبة وقيل من غير أن يأخذ عوضا ، ويقال : اعطاها مهرها نحلة ، وقيل النحلة التسمية وهى أن يقال نحلتها كذا وكذا ويحد الصداق ويبينه ، والنحلة أيضا الدعوى ، والنحول : الهزال ، وقد نحل جسمه من باب خضع ونحل بالكسر نحولا لغة فيه والفتح أفصح ونحلة القول من باب قطع أى أضاف اليه قولا قاله غيره وادعاه عليه ، وانتحل فلان شعر غيره او قول غيره اذا ادعاه لنفسه وتنحل مثله ، وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا اذا تنسب اليه (١) .. وعلى ما يبدو لنا أن النحلة تطلق على الاستعمال المحدود الضيق للتعبير عن الحاق فرد أو جماعة أو هيئة معينة بعقيدة معينة سواء كانت هذه العقيدة دينية أوغير دينية ، وسواء كانت صحيحة أوغير صحيحة ، ذلك لأن مصدرها الهوى والتبعية ، وعلى ذلك فقد سمى الله هوى الكافرين ومذاهبهم نحل وذمها كما فى قوله تعالى : " فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين " (٢) ويقول أيضا : " وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم " (٣) ويقول أيضا : " ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق " (٤) ويقول أيضا : " ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن " (٥).

ومن هنا فالنحلة فكرة خاصة تقوم عليها الأديان الوضعية والتى تستمد أساسها من ظروف البيئة والمجتمع التى نشأت فيه ومن ثقافته ومشاكله التى جاء هذا المذهب علاجا لها .

---

(١) الامام الرازى ـ مختار الصحاح ص ٤٢٤ ، مادة نحل
(٢) سورة القصص ـ آية رقم ٥٠
(٣) سورة المائدة ـ آية رقم ٤٩
(٤) سورة المائدة ـ آية رقم ٤٨
(٥) سورة المؤمنون ـ آية رقم ٧١

تاريخ الأديان قديما :

ان الحديث عن تاريخ الأديان يشير الى كثير من الضلالات والأساطير التى آمن بها الانسان ، ذلك أن الحديث عن الأديان يضيق ويتسع بمقدار تحامل أهل الأديان فيما بينهم ووقوف بعضهم على مذاهب بعض . وان الوعاء الأول الذى ظهرت فيه الديانات هى أرض وادى النيل .

فان استاذنا المرحوم الدكتور محمد غلاب فى كتابه الفلسفة الشرقية يقول :
" يجمع الباحثون على أن الديانة المصرية هى أولى الديانات البشرية التى ظهرت على وجه الأرض من غير استثناء ويؤكد بعضهم تأكيدا قاطعا أنه لم تظهر ديانة فى الدنيا الا ولها فى عقائد وادى النيل عنصر ، وان كل الديانات الانسانية ليست الا فتاتا متساقطا حول مائدة بلاد الفراعنة الذين سبقوا جميع سكان الكرة الأرضية الى حمل لواء المعرفة وفتح كثير من مغلقات العلم وحل الغاز الكون . ويبين أيضا أن أشهر العلماء الذين اعتنقوا هذه الفكرة العالمان الانجليزى " بيرى " و " اليوت سميث " .. أما الاستاذ " دنيس سورا " فيؤمن بالفكرة الاولى وهى سابقة الديانة المصرية على جميع الديانات الانسانية ولا يستبعد أن تكون جميع التطورات الدينية قد وجدت فى مصر من الوثنية المحضة الى الروحية المغالية فى التجريدية بل الى اللا أدارية المطلقة ولكن الذى لا يعارض فيه هو أن بقية الشعوب القديمة قد نفدت من سواقط فتات المائدة المصرية كما يقول بعض العلماء (١) .

وان الدكتور دراز يقول أنه على قدر سعة فتوحهم اتسعت صدورهم لمختلف العقائد فتركوا لكل اقليم حريته فى تقديس ما شاء واتخاذ ما شاء من الرموز الوضعية وامتدت روح التسامح هذه الى مدارسهم الفلسفية الدينية

---

(١) الدكتور محمد غلاب ـ الفلسفة الشرقية ص ٢٢ طبعة ١٩٣٨

فكان عمل هذه المدارس هو محاولة التوفيق بين تلك المقدسات والمعبودات بافتراض أنها أسرة واحدة يرتبط بعضها ببعض ارتباط الزوجية أو الولادة بحيث يتألف منها مجموعات " ثالوث " أو تاسوع " أو عدد أدنى من ذلك أو أكثر (٢) .

أما الاستاذ العقاد فيقول فى ذلك : " اما مصر فتاريخها فى أطوار الاعتقاد هو تاريخ جميع الأطوار من أدناها الى أعلاها من غير استثناء " (٢) .

ثم ان القدماء من علماء اليونان وفلاسفتهم تخرجوا من مدرسة الحضارات الشرقية والحضارة المصرية بوجه خاص .

وان قدماء اليونان أنفسهم يذهبون الى الاعتراف بهذه التلمذة والى القول بأن عظمائهم امثال فيثاغورث وأفلاطون مدينون بأرقى نظرياتهم الى المدرسة المصرية .

ويرى الدكتور دراز أن الناقدين المحدثين وان استبعدوا النقل الحرفى لهذه النظريات لم يسعهم الا التسليم بتبعية هؤلاء الفلاسفة فى الدين والأخلاق للنظريات . ذلك أن أقدم الآثار الأدبية عن العصر الاغريقى ينتهى الى ما حول القرن العاشر قبل الميلاد المسيحى وأشهر هذه الآثار الديوانان المنسوبان الى " هوميروس " أعنى الالياذة والأوديسا .. وهما سلسلتان من القصص الشعرى عند قدماء اليونان (٣) .

وهكذا نجد أن هذه المنطقة قد شهدت أرقى حضارات العالم منذ أقدم العصور وكانت حضارتها أدبية وعلمية فهيأت شعوبها لتلقى الرسالات وكانت حضارة الفراعنة المتلونة الفسيحة ، وكذلك حضارة الفينيقيين والبابليين .. والآشوريين فى بعض اجزاء الهند والصين فظهرت حضارات أدبية بجانبها فلسفات وأفكار اتخذت فيما بعد شكل الدين كالبوذية والكونفوشية ، أما بقاع

---

(١) الدكتور دراز ـ الدين ص ٢
(٢) الاستاذ عباس محمود العقاد ـ الله ص ٦٤ ـ دار المعارف
(٣) راجع الدكتور عبد الله دراز ـ الدين ص ٣

العالم المختلفة فقد قامت بها أفكار بدائية تناسب الطور الذى كان يعيشه سكان هذه الأقاليم (١).

العصر اليونانى :

اذا كانت أرض وادى النيل هى الوطن الأول الذى ظهرت فيه الديانات فان بلاد الاغريق كانت هى الأخرى مصدرا لكثير من الآراء والأفكار .

وان هذه الاراء والافكار كانت فى بداية نشأتها تصدر عن روح دينية ذلك أن الشهرستانى فى بداية تاريخه للفلسفة اليونانية يقول : (لما كانت السعادة هى المطلوبة لذاتها وانما يكدح الانسان لنيلها والوصول اليها وهى لا تنال الا بالحكمة ، فالحكمة اما ليعمل بها واما لتعلم فقط . فالحكمة اذن قسمان : قسم علمى ، وقسم عملى .. فالقسم العلمى : هو علم الحق والقسم العملى : هو عمل الخير .. ونتوصل الى هذين القسمين بالعقل الكامل والرأى الراجح وغيران الاستعانة فى القسم العملى منه بغيره اكثر . والأنبياء عليهم السلام أيدوا بامداد روحانية تقريرا للقسم العملى ولطرف ما من القسم العلمى .. والحكماء تعرضوا لامدادات عقلية تقريرا للقسم العلمى ، ولطرف ما من القسم العملى ، فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالاله الحق تعالى وتقدس بغاية الامكان ، وغاية النبى ان يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك صالح العامة حتى يبقى نظام العالم وتنتظم صالح العباد وذلك لا يتأتى الا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل ، فكل ما ورد به أصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة الا من أخذ علمه من مشكاة النبوة فانه ربما بلغ الى حد التعظيم لهم وحسن الاعتقاد فى كمال درجتهم . (٢)

---

(١) الدكتور احمد شلبى ـ الاسلام ص ٣٠ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م
(٢) الشهرستانى الملل والنحل جـ ٢ ص ١١٨

ذلك أن غاية الفيلسوف هو أن يتجلى لعقله كل الكون ويتصل بالاله الحق ، وأن هذا دعا مؤرخي الفلسفة اليونانية أن يطلقوا أقوالا فلسفية على لسان بعض الأنبياء .. يقول الدكتور النشار : " بل ان المبشرين قائل ـ أول مؤرخ للفلسفة اليونانية عند الاسلاميين يبدأ كتابه بأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم منها " الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها فهو أحق بها " .(١) ويرى أن من الحكمة هذه المذكورة في الحديث " آداب الحكماء اليونانيين ومواعظ العلماء المتقدمين " ثم يورد آراء النبي " شيث " واسمه عند اليونانيين أوراني الأول وهو أول من أخذوا عنه الحكمة الشريعة والحكمة ")(٢) .

من هنا بدأت فكرة الاله الحق حيث مسائل الفلسفة التي تبحث في الطبيعة في الكون في الانسان في كل شأن من هذه الشئون دقيقها وجليلها من ذكر أسماء آلهتهم وآلهة خصومهم ووصف القربات والضحايا والتوسلات التي كان يتوجه بها كل مظلوم أو مكروب الى الهه ، وذكروا ما يجري في زعمهم بين آلهة السماء حين تتشاور فيما بينها وحين تتنازع وتنقسم آراؤها في الانتصار لهذا الفريق أو ذاك (٣) .

وعلى هذا ظهرت هذه الصورة في ساحة الفكر اليوناني في العصر القديم فصاحبها وجود علم الأديان اذ بدأ في عالم الفكر نقد للتقاليد الدينية والأفكار والمعتقدات التي تضفي عليها الأساطير ثوب القداسة وكان هدف هذا النقد عدم احترام تصور الأساطير للآلهة .

---

(١) كتاب الزهد باب الحكمة جـ ٢ ص ١٣٩٥ سنن بن ماجه .
(٢) الدكتور علي سامي النشار ـ الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ١ ص ١١٣ نقلا عن مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢ ، ٤ للمبشر بن فاتك .
(٣) الدكتور دراز ـ الدين جـ ٤

فهيبريس : هو تلك الشخصية الأسطورية التى تتجسم فيهما الحياة الدينية بما يخالطها من طقوس وعادات وتقاليد يصبح موضع تساؤل وينزل من عليائه الى ساحة النقد والتلويح والتلميح .

يقول كسينوفانس : " تسب هوبيريس الى الالهة كل ما لدى البشر من اهانة العار والسباب والسرقة والزنا والغش والاحتيال على بعضهم والخداع المتبادل بينهم .. ولم يكن عدم احترام الآلهة فقط هو الدافع الى هذا النقد بل أيضا عدم ملاءمة الصورة الموجودة فى التقاليد الدينية الشائعة لما ينبغى أن تكون عليه الالهة ، ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الالهة يتوالدون ويتناكحون وأن أشكالهم وهيئاتهم تشبههم وأنهم يرتدون ملابس مثلهم ويتحدثون بلغتهم " (١).

الى جانب هذه الدراسة الوصفية كانت هناك دراسة نقدية بدات فى الفكر اليونانى أيضا .. " كان تيوجنس أول من نقد زيوس " أبا الآلهة والبشر " وذلك بلهجة لاذعة يبدو منها البعد والتنصل من الايمان المطلق فى ذلك العصر عصر ما قبل التاريخ حيث يقول :

صديقى العزيز زيوس ، تعجبنى سياستك أيها المتحكم فى كل شىء .
لقد جمعت فى يدك الشرف والقوة العليا ووحدتهما .
هذا حسن .. فأنت المتصرف فى قلوب وحواس البشر .
وأنت المالك لكل ما هو حى .
ولكن كيف تقضى يا " " بالمساواة فى المصير .
كيف يسوى بين الصالح والطالح .
يستوى الأمر بين أن يكون القصد الاصلاح أو التحكم ؟
وماذا لو وقع الانسان تحت الغواية فارتكب اثما ؟

(١) الدكتور محمد عبد الغنى شامه ـ بحوث فى علم الاديان المقارن ص ٣١

من هنا فنقد نيوجنس كان مقدمة وارهاصا لظهور علم الأديان اذ يحمل هذا التساؤل عنصر الشك في عدالة الآلهة ويلقي ضوءا حول الأشياء الغامضة التي تحدث للانسان وهي ظاهرة تستحق النشاط العلمي في مجال الدين الذي ظهرت ملامحه عند كسينوفانس في منتصف القرن السادس قبل الميلاد فقد كان النقد الديني غالبا على فكره ، غير أن دوافعه لم تكن العداء للدين بل عدم احترام صور الأساطير للالهة لأنها تنسب اليهم أعمالا غير أخلاقية (١).. وهنا يصل كسينوفانس الى مشكلة التصور في الدين وبين ارتباط تصور الانسان للاله بشكل الانسان ويقول : " ان الحصان لو وجد الها لتمثله في صورة الحصان ، وان الأثيوبي لو تمثل الهه لقال انه أسود الاهاب وان الاله الحق أرفع من هذه الشبهات والتجسدات ولا يكون على شيء من هذه الصفات البشرية " (٢).

بيد أن هذه الافكار التي ظهرت لأول مرة في الفكر اليوناني في مجال البحث وخاصة في بحوث علم الأديان من عصر كسينوفانس حتى عصر فيورباخ (١٨٠٤ ــ ١٨٧٢) دون أن تتغير على الرغم من اعادتها وتكرارها (٣).

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠
(٢) الاستاذ عباس محمود العقاد ــ الله ص ١٠٧
(٣) الدكتور محمد عبد الغني شامة ــ بحوث في علم الأديان المقارنة ص ٣٢

السوفسطائيون :

بجانب هذا الذى بدا فى ساحة الفكر اليونانى ظهرت جماعة السوفسطائية الذين عرفوا بشكلهم فى المعقولات والحسيات باعتبارهم الوهم فقط هو مقياس لمعرفة الانسان ومن اشهرهم وأهمهم :

" بروتاغوراس " صاحب مذهب العندية

" غورغياس " صاحب مذهب العنادية .

" بيرون " صاحب مذهب اللا أدرية .

لقد كان لكل صاحب مذهب من هؤلاء منحى معين فى تفكيره ، فصاحب مذهب العندية يقول : مذهب كل قوم حق بالقياس اليهم أو باطل بالقياس الى خصومهم .

وصاحب مذهب العنادية يقول : " ما من قضية بديهية أو نظرية الا ولها معارضة أو مقاومة مثلها فى القوة والقبول عند الأذهان " .

وصاحب مذهب اللاأدرية يقول : " نحن شاكون وشاكون فى أننا شاكون " (١) .

وبذلك ارتاب الانسان فى كل شىء ، حيث أن كل واحد منهم انتهى الى رأى يخالف الرأى الذى ذهب اليه غيره ، فكان من أثر هذا الاختلاف أن ارتاب الناظر الى هذه المذاهب فى النتائج التى وصلت اليه كلها ، فأخذ يتجه اليها بالنقد والتشكيك ، ثم اتسعت دائرة النقد وشملت بجانب النظريات الفلسفية العقائد الدينية وسلوك الانسان فى حياته ، وهكذا صار الأمر فوضى وانقسم الناس فى مذاهبهم وآرائهم

---

(١) الدكتور على سامى النشار ـ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ١٦٣ .

أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون (١).

من هنا اضطربت أفكار الناس وتشككوا في أمور الدين وأخذوا (في شرح أصل فكرة الاعتقاد بالله وكيفية وجود الشرائع الدينية فذهبوا الى أن الغرض من هذا كان الرغبة في الوصول الى تحقيق أهداف أخلاقية تصلح المجتمع وتقوم سلوك الفرد) (٢)

بجانب هذا أيضا ذهبوا الى أنه ليس ثمة حقيقة ثابتة تتساوى العقول في ادراكها ، بل ان الانسان هو مقياس كل شيء في الوجود فما يراه حقا حقا فهو حق بالنسبة اليه وما يراه منها خيرا فهو خير بالنسبة اليه كذلك فالحق أمر نسبي يختلف باختلاف الاشخاص ، كما أن الخير والشر نسبيان يختلف كل منهما باختلاف الاشخاص (٣) .. وهكذا انتشرت مذاهب الجحد والتشكيك والعناد التي تنكر وجود أية حقيقة ثابتة وتدعي استحالة وجود العلم بها أو تعليمها على فرض وجود تلك المذاهب التي يروجها السوفسطائيون .. حيث اتخذوا الفلسفة صناعة كلامية يؤيدون بها المتناقضين على السواء ويهدمون بها كل العلم حتى بداهات العقول ملتمسين بهذا السحر البياني .. ثم خلفت خلوف قاموا بدراسات فلسفية تهدف الى تمحيص حقيقة الدين بوجه عام في ثنايا البحث وأحق الأسماء بالذكر في هذا المجال اسم الفيلسوفين العظيمين أفلاطون (أواخر القرن الخامس وأول الرابع ق ٠ م) وتلميذه أرسطو (القرن الرابع ق ٠ م) (٤) ، والى هذين الفيلسوفين ومن قبلهما سقراط (أواخر القرن الخامس ق ٠ م) يرجع الفضل في تأسيس الفلسفة الايجابية التي تعترف

---

(١) الدكتور عوض الله حجازي والدكتور محمد السيد نعيم ـ الفلسفة الاسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية ص ٤١ ط ٢ بدون تاريخ ٠
(٢) الدكتور محمد عبد الغني شامة ـ بحوث في علم الاديان المقارن ص ٤٢
(٣) الدكتور عوض الله حجازي ـ الفلسفة الاسلامية وصلتها باليونانية ص ٤٢
(٤) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين ص ٥

بوجود حقيقة ثابتة للأشياء وامكان العلم بها في تفنيد مذاهب السوفسطائية القائمة على الجحد والعناد والانكار ، فمثلا نجد أن أفلاطون يطلق عليه مؤرخنا الشهرستاني : " افلاطون الالهي " ويقول انه معروف بالتوحيد والحكمة (١) ويقول عنه الشهرستاني أيضا : " قال أفلاطون في كتاب النواميس أن الأشياء التي لا ينبغي للانسان أن يجهلها منها أن له صانعا وأن صانعه يعلم أفعاله ، وذكر أن الله تعالى انما يوصف بالسلب أي لا شبيه له ولا مثال " (٢)

ويرى استاذنا الدكتور محمد البهي أن افلاطون : " يجعل مصير هذا العالم في نهايته الى عالم المثل ، وبالدقة اذ يجعل سعادة الانسان في أن تعود الى عالم المثل باعتباره منحدرها الأول ويجعل سبيله الى ذلك التفكير " (٣).

ونرى أيضا أن استاذنا الدكتور عوض الله حجازي ومشاركه يقول (لهذا نرى الشراح يفرضون الفروض في فهم وجهة نظره (أي أفلاطون) .. ويرون أن هذا الاله الخالق المدبر للكون هو نفسه الاله الأعلى الذي هو مثال الخير ، لأن هذا أقرب الى التنزيه وأنسب للعقل وأقرب الى الفهم فيما ورد من عبارات أفلاطون حين عرض لهذا الموضوع)(٤)

وهكذا نجد أن أفلاطون حاول أن يعود بالأسباب الى السبب الأول الأزلي وذلك باطلاق المادة لكل حركة وتغيير ولكن ليس هي المادة بل هي روح عاقل مدبر متصرف في هذا الكون ، وهي المبدأ

---

(١) الشهرستاني — الملل والنحل ج ٢ ص ١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٢
(٣) الدكتور محمد البهي — الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٢٥٦ دار الفكر ط ٥ بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .
(٤) الدكتور عوض الله حجازي ومشاركه — الفلسفة الاسلامية وصلتها باليونانية ص٦٣

الأصل وهى سبب الكائنات بلا استثناء ، أما أرسطو نفسه حاول أن يرجع نشأة الدين الى أسباب روحية وعارض معارضة تامة فكرة ارجاع الأصل الدينى الى أسباب مادية خالصة ، ذلك أن ارسطو يرى أن الدين يتكون من منبعين :

١ ـ التجربة الروحية داخل الانسان .. ويعنى بذلك قدرة الروح على ادراك ما حولها والتفكير فيه ثم محاولة تخليص نفسها من الشوائب المادية .

٢ ـ العجب من قوى الطبيعة وعلى الأخص من عالم النجوم ويعبر الانسان عن ذلك بالأساطير التى دهشته من أسرار السماء بالنجوم الكثيرة ..

ومن هنا فيمكن القول بأن أرسطو كان أول من بين أن أصل الدين راجع جزئيا الى الانسان نفسه والى ممارسته ومشاهداته الظواهر الطبيعية والى تفاعل هذا كله مع طبيعته الروحية وصفائه النفسى ، وبهذا شاع فى الفكر اليونانى أن أصل الدين له منطقة أخرى بجانب ما كان شائعا قبل أرسطو من أنه تابع من الظواهر المادية فقط داخل الانسان نفسه (١) ويقابل أيضا مذهب السوفسطائيين الذين رأوا أن الأصل هو اللادين واللاقانون وأن الأديان والقوانين ما هى الا اختراعات وحيل (٢).

---

(١) الدكتور محمد عبد الغنى شامه ـ بحوث فى علم الاديان المقارن ص ٥٠ ، ٥١

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز ص ٥

العصر الروماني :

ولكن في القرن الثاني قبل الميلاد أخضع الرومان الدولة اليونانية فأصبحت اليونان ولاية تابعة لهم بعد أن كانوا هم تبعا لها ، وكان كل ما حمله الأدباء الرومانيون من أثينا بعد الفتح بعض الآراء الرائجة اذ ذاك في جماهير الشعب فاقتبسوها اقتباسا سطحيا وكما كان الفتح الروماني أيضا لبلاد الاغريق سببا في اجتلاء بعض آرائهم في هذا العصر كان هذا الفتح للبلاد الآسيوية والافريقية سببا في نقل بعض مذاهبهما الى روما فاشتهرت فيها أسماء المعبودات ، ميترا ـ وبعل ـ وايزيس ـ وغيرهن .

وكان وصف هذه الديانات الواغلة مضافا الى الديانات المحلية مجالا لأقلام الكاتبين من الرومان في القرن الأول قبل الميلاد (فكتب سيسرون عن الآراء الفلسفية في طبيعة الألوهية وكتب فارون عن الشعائر والعبادات الرومانية وكان الاسلوب المتبع في هذا هو اسلوب التأويل والتلفيق والتوفيق بين الآراء المختلفة (١).

فمثلا نجد أن أحد مفكري الرومان وهو سينيك المتوفي سنة ٦٥ م قد نقد الحياة الدينية ، وذلك لأنه كان متأثرا الى حد كبير بالمدرسة الرواقية وخصوصا القسم العملي منها الذي كان يتسم بطابع الزهد والغرور في دعوته الى تبديل الطبيعة البشرية ومحو اللذة والألم من بين عناصرها .

وجه سنيك نقده الى خلو المعتقدات الدينية والعبادات من الروحانية ودعا الى الاخلاص وطهارة النفس والى الايمان بطهارة الاله عقلا وروحا وذلك حيث يقول : " هل تريدون أن تتصوروا الاله عظيما رحيما ؟

---

(١) المرجع السابق ص ١٠ و ١١

اذن فلا يحتاج المرء الى تعظيمه عن طريق تقديم الضحية التى تسيل دما ، أى لذة تلك التى تهواها لنه قتل النفس البريئة بل لا يكون تعظيمه الا بالقلب الطاهر والنية الصادقة فى عمل الطيبات ، لا يحتاج المرء الى أن يبنى له معبدا من الحجر عال الأبراج ، بل ينبغى على كل فرد أن يهب له قلبه (١).

وهكذا نجد أن جذور هذا العلم تمتد الى ساحة الفكر اليونانى والرومانى وذلك بعد فتوح الاسكندر الأكبر حوالى ٣٢٠ ق.م ، وكان أول مؤرخ يونانى للاديان بدأ فى كتاباته التاريخية معالجة المادة الدينية معالجة منهجية ، فهو يحاول أن يستدل عن طريق المقارنة على أن التقرب الى الله بالأضحية ، أى باحراق الدم ضلال وبعد عن الصواب كان نتيجة تصور خاطىء للذات الالهية (٢)

العصر الوسيط :

فى منتصف القرن الاول بعد الميلاد دخلت الدعوة المسيحية الى أوربا فى صورة دين سماوى جديد يأبى أن ينتظم فى سلك الأديان السماوية السابقة ويحاول أن يظهر عليها ويحل محلها ، وكان ما كان من احتكاك وصراع وتفاعل وامتزاج بينه وبين تلك الديانات المحلية ثم بينه وبين المذاهب الأفلاطونية الحديثة التى ظهرت فى القرن الثالث أيضا (٣) .

وفى ابتداء القرن الرابع بدأ الأباطرة يقدرون التأييد الضخم الذى يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحيين ليسندوا بذلك الجمهورية التى كانت

---

(١) الدكتور محمد عبد الغنى شامه بحوث علم الاديان المقارن ص ٣٥ وكتاب الدين للدكتور دراز ص ١٠
(٢) الدكتور شامه ـ بحوث فى علم الاديان المقارن ص ٥٤
(٣) الدكتور دراز ـ الدين ص ١١

تهزوتتهاوى ففى سنة ٣١٣ صدر منشور يعترف بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى ، ثم جاء الامبراطور قسطنطين الذى بذل جهدا ليكسب تأييد المسيحيين خاصة ، فأعفى القسس من الضرائب ومنح الكنائس حق الحماية من الدولة وترك للكنيسة شئونها القانونية وجعل يوم الأحد أجازة رسمية واستمرت محاباة الكنيسة بعد ذلك حتى أخمدت الوثنية نهائيا بقانون تيودوس الذى صدر سنة ٤٢٨ ميلادية ومقتضاه أصبح على جميع المواطنين أن يصيروا أعضاء فى الكنيسة الأرثوذكسية وانتشرت الديانة الجديدة بين برابرة الجرمان على حدود الامبراطورية الرومانية (١) وقد كان ألمع اسم فى قائمة المدافعين عن المسيحية المعارضين للنحل الجديدة المنافسة لها هو اسم القديس أوغسطين " من منتصف القرن الرابع الى ثلث القرن الخامس" وهو أسقف كان قد اعتنق المانوية قبل أن يعتنق المسيحية (٢)

وهكذا كان الطابع الجدلى فى العقائد هجوما ودفاعا وهدما وبناء لا بين المسيحية وغيرها بل بين المذاهب المسيحية أنفسها ، وكان هدف الكاتبين من ذلك التماس موطن من مواطن الضعف فى عقيدة خصمه لابطالها وابراز ناحية من نواحى القوة فى عقيدته لنصرتها ونشرها .. ولكن الدكتور أحمد شلبى يرى أنه يمكن أن نقسم مراحل الرسالات الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهو يمثل طفولة الجنس البشرى :

ذلك أن هذا القسم يشمل الفترة التى عبرتها البشرية من آدم الى نوح حتى ابراهيم عليهم افضل الصلاة والسلام ، وان الدعوة

---

(١) الدكتور احمد شلبى - من مقارنات الأديان المسيحية ص ٧٤ ط ٣ سنة ١٩٦٧ مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز - الدين ص ١٢

في هذه الفترة كانت محدودة بجماعة صغيرة يعيش الرسول بينهما كجماعة لوط وجماعة ابراهيم ، وكانت الدعوة عبارة عن التوحيد وترك عبادة الأوثان والأصنام وذلك دون تنظيمات وتفاصيل .

وان الآيات القرآنية التي توضح هذه الدعوة هي :

١ ـ قال الله تبارك وتعالى : " لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (١).

٢ ـ ويقول أيضا : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين "ألا تعبدوا الا الله " (٢).

٣ ـ ويقول أيضا : " ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين " (٣).

٤ ـ ويقول أيضا : " والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم " (٤)

٥ ـ ويقول أيضا : " والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (٥)

٦ ـ ويقول أيضا : " والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله من لكم من اله غيره " (٦)

٧ ـ ويقول أيضا : " واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه " (٧)

---

(١) سورة الأعراف ـ آية رقم ٥٩
(٢) سورة هود ـ آية رقم ٢٥ ، ٢٦
(٣) سورة الأعراف ـ آية رقم ٨٠
(٤) سورة الأعراف ـ آية رقم ٨٥
(٥) سورة الأعراف ـ آية رقم ٧٣
(٦) سورة هود ـ آية رقم ٥٠
(٧) سورة الزخرف ـ آية رقم ٢٦

فليس لهذه الدعوة كتب واضحة وانما هى بضع نصائح ،
وقد توجد الواح صحف عامة ، كما أنه ليست هناك تواريخ ولا تقريبية
لأديان هذه المرحلة .. فمتى كانت ديانة نوح ؟ ومتى كانت
ديانة هود ؟ وهل جاء هود قبل ابراهيم أو بعده لا نعرف
وجه الدقة (١).

القسم الثانى : وهو يمثل صبا الجنس البشرى :

لأنه فى هذا القسم كان هناك أنبياء بنى اسرائيل
وخاصة موسى وعيسى عليهم السلام ، ويرى أن هذا يبين بين نفسه
من القسم الأول بعض ملامحه ، ولكن له ملامح أكثر تعقيدا وشمولا
حيث اتسع نطاق الدعوة وشملت قبيلة متشعبة ذات فروع ، كبنى
اسرائيل (الأسباط) ويرى الاستاذ عباس محمود العقاد أن هذه العقائد
الاسرائيلية شغلت حيزا كبيرا من مقارنات الأديان وذلك لأنها نقطة
التحول بين العبادات القديمة والعبادات فى الديانات الكتابية حيث
أنها صحبت التطور فى فكرة المسيح المنتظر فى مبدأها فكانت تمهيدا
متواليا للدعوة المسيحية ، وهى أوسع الدعوات الكتابية انتشارا بين
الأمم التى عنيت بالدراسات العلمية الحديثة فى تاريخ الأديان ولأنها
موضوع مقابلة مستفيضة بينها وبين عقائد البابليين والمصريين والهنود
الأقدمين ولها صلة قريبة بعقائد اليونان قبل عصر الفلسفة وبعدها
الى عصر السيد المسيح عليه السلام (٢).

وبهذا أصبح لهذه الدعوة كتاب هو التوراة أو الانجيل ولكن
معانيها فقط هى الوحى بها وصاغها البشر فى عبارات قد شبهها

---

(١) الدكتور أحمد شلبى - الاسلام ص ٣٣
(٢) الاستاذ عباس محمود العقاد - الله ص ١١١

التحريف والضياع .

وقد وجدت في هذه المرحلة تواريخ ولكنها غير دقيقة تماما (١).

القسم الثالث : وهو شباب الجنس البشرى :

وذلك حيث رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن الدعوة أصبحت عامة لكل البشرية ، وأصبح محمد رسولا للعالمين قال الله تعالى : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٢)

وشملت هذه الدعوة الأبيض والأسود والأصفر ، ولم يحس أحد من هؤلاء أن الدعوة لا تناسبه ولا أنها مستوردة اليه من صنف آخر من الناس بل أحس كل واحد أن الدعوة له وأنها تنظم حياته وسلوكه .

وأصبح لهذه الدعوة كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فقد مرت السنون وكثر أعداء الاسلام ولكن القرآن نص دون تحريف " " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٣) وقال أيضا : " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " (٤) وقال ايضا : " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (٥) .

وهكذا كانت حياة محمد صلى الله عليه وسلم وحياة دعوته كلها وضوح وضوء ونور وتواريخ محددة وأحداث ثابتة وتطور مستقيم راجح (٦)

من هنا فقد قسم الدكتور أحمد شلبى التاريخ الى ثلاثة أنواع حيث كان لكل نوع من هذه الأنواع ملامح خاصة وان التاريخ للأديان لم يتم الا بالنوع الثالث حيث رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهى رسالة الاسلام .

---

(١) الدكتور احمد شلبى ـ الاسلام ص ٣٢
(٢) سورة سبأ ـ آية رقم ٢٨
(٣) سورة الحجرات ـ آية رقم ٩
(٤) سورة البروج ـ آية رقم ٢١ ، ٢٢
(٥) سورة البقرة ـ الآية الثانية
(٦) الدكتور احمد شلبى ـ الاسلام ص ٣٤

العصر الاسلامي :

لقد أحاط بالبشرية ظلام حالك قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كان ظلام مطبقا وكان الليل طويلا لعبت فيه الخرافات والأساطير وانزوت الأفكار الصالحة ودب الجهل واكتنف العلم هم اليأس وقل الأمل وأوشكت الانسانية أن تفقد كل ما حققته الأجيال القديمة من تقدم .

ظهر الاسلام في أوائل القرن السابع الميلادي ، وانبثق الفجر من مكة المدينة المقدسة التي تربض في منتصف الطريق الواصل بين شمال الجزيرة وجنوبها تقريبا ، ولم يكن أحد يعرف حينما ولد محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الوليد اليتيم سيكون ذلك الأمل الذي ترقبه الملايين والذي سيهدي العالم الى سواء السبيل .

ولد محمد صلى الله عليه وسلم في ضوء التاريخ لا شكوك حول أسرته ولا غموض حول تاريخ مولده ، ولا ظلام حول نشأته ولا تردد حول بعثته ومبادئه .. وانما هي كلها وضوح ويقين يؤمن بها من يشاء ويكفر بها من يشاء ولكن اذا كانت الثانية فهو كفران ناشيء عن التحدي أو العصبية (١) .

كان الاسلام خاتمة الاديان الكبرى تدين به الملايين من أبناء البشرية في أقطار الارض شرقها وغربها ، ولان كانت ديانة اليهود تتميز بالروح التي تؤثر بني اسرائيل من دون خلق الله جميعا وتسميهم شعب الله ، وجاءت المسيحية وأثرت رفض هذه العصبية ونادت بالحب والتسامح .

---

(١) الدكتور احمد شلبي — من سلسلة مقارنات الاديان الاسلام ص ٤٨

جاء الاسلام بدين الانسانية الخالدة دين الاخاء والمساواة (١)

وذلك ما ينطق به القرآن الكريم فى سورة النساء حيث يقول الحق تبارك وتعالى

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام

ان الله كان عليكم رقيبا " (٢).

ذلك أن الحياة الاسلامية التى جاء بها النبى محمد صلى الله

عليه وسلم ليست سوى القرآن فمن النظر فى قوانينه العملية نشأ

علم الفقه ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقا نشأ علم الكلام

ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة ، ومن النظر فيه

ككتاب للأديان نشأ علم الأديان ، ذلك أن تطور العلوم الاسلامية جميعها

انما ينبغى أن تبحث فى النطاق القرآنى فيه نشأت وفيه نضجت وترعرعت

وفيه تطورت وواجهت علوم الأمم تؤيدها أو تنكرها (٣).

ذلك أن القرآن صدر الصادر يتراءى على طريق التاريخ البشرى

المتصل ورسالته واحدة بهدى واحد يضم هذه الصفوة المصطفاة من البشر

لنوح ، ابراهيم ، اسماعيل .... الخ ، حتى جاء الرسول محمد صلى

الله عليه وسلم .

وجاء الاسلام وكان موقفه بالنسبة للاديان الاخرى ينطوى على

اتجاهين :

الاتجاه الاول : الناحية النظرية : فمن هذه الناحية يعلن الاسلام أنه

الحلقة الاخيرة فى سلسلة الاديان ، وأنه بالتالى ورث

---

(١) الدكتور محمد جابر الحيني ـ الديانات الكبرى المعاصرة ص ٢٥٣ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والاسلام للدكتور احمد شلبى ص ٣٦ ، ٣٧

(٢) سورة النساء ـ آية رقم ١

(٣) الدكتور على سامى النشار ـ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ ١ ص ٢٢٧

أهم ما في الأديان السابقة وأضاف اليها ما تحتاجه البشرية الى العموم يقول الله تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين " (١).

الاتجاه الثاني : الناحية الواقعية :

ومن هذه الناحية يعترف الاسلام بالوجود الفعلى لجماعات غير مسلمة ويتحدث عن أهل الكتاب والذمة وينظم حقوقهم وواجباتهم وفى ضوء هذا وجد علم مقارنة الأديان (٢).. بل نجد أن القرآن الكريم يضع جذور هذا العلم عندما يقول : " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن " (٣). وعلى هذا ظهر الباحثون المسلمون فى هذا العلم وكتبوا فيه منذ وقت مبكر وه والذى يهمنا هنا أن نبين :

* أثر العرب المسلمين فى علم تاريخ الاديان :

وعلى ضوء هذا فانا نشير الى أن اثر العرب المسلمين كان يمتاز بطابعين جديدين لم يسبق اليهما أحد كما يقول الدكتور عبد الله دراز :

الطابع الاول :

فهو أن الحديث عن الأديان بعد أن كان فى العصور السابقة اما مغمورا فى لجة الحديث عن شئون الحياة ، واما مدفوعا فى تيار البحوث النفسية أو الفلسفية أو الجدلية أو على الأقل محدودا بحدود العقائد الموضوعية وما يشاركها . ولكنه فى كتب العرب دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون شامل لكل الأديان المعروفة فى عهدهم فكان لهم بذلك فضل السبق فى تدوينه علما مستقلا قبل ان تعرفه اوروبا الحديثة بعشرة قرون .

(١) سورة الشورى ـ آية رقم ١٣
(٢) آدم متز ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٨٤
اليهودية للدكتور احمد شلبى ص ٢٧
(٣) سورة العنكبوت ـ آية رقم ٤٦

الطابع الثانى :

ذلك أن العرب المسلمين فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب ولا على الخيالات والخزعبلات الشائعة فى الطبقات الجاهلية والتى قد تنحرف قليلا أو كثيرا عن حقيقة دياناتها ولكنهم كانوا يستمدون أصالتهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها ويستقونها من منابعها الأولى ، وذلك بعد أن اختطوا علما مستقلا اتخذوا له منهجا علميا سليما (١).

وقد ذكر لنا بعض المؤلفات العربية المشهورة فى هذا الصدد

١ - كتاب " جمل المقالات لأبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (القرن العاشر الميلادى) ".

٢ - كتاب " المقالات فى أصول الديانات " للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (القرن العاشر الميلادى).

٣ - كتاب " الفصل فى الملل والنحل " لابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (القرن الحادى عشر الميلادى).

٤ - كتاب " الملل والنحل " للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية (القرن الثانى عشر الميلادى).

.. .. أبعد كل هذا يقال عن الاسلام أنه لم يصنع شيئا فى تاريخ الاديان (٢) وعلى ما يبدو لنا بعد هذا ان المسلمين كانت لهم اليد الطولى فى هذا الفن حيث ذكر أيضا " ان المسلمين كانوا اول من وضع بعض القواعد المنهجية فى دراسة الملل والنحل وذلك قبل ظهور علم الديانات المقارن عن الغربيين فى العصر الحديث المعروف باسم ـ

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز - الدين ص ١٤

(٢) المرجع السابق - نفس المكان .

ومن هذه القواعد اثبات ما يقوله أصحاب الملل المختلفة والتزام الحيدة فى تقرير وجهة نظرهم دون أية محاولة للرد عليها أو اظهار بطلانها او اتهامها بالنسبة لما يدين به الباحث فى عقائدهم وأصدق مثال على ذلك كتاب " مقالات الاسلاميين " لأبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٠ هجرية ـ وكتاب " الملل والنحل " للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ(١)

وعند بعض الباحثين يعتبر النوبختى ٢٠٢ هجرية مؤلفا لأول كتاب فى هذا المجال فقد كتب كتابا عن الآراء والديانات وكتب المسعودى (٣٤٦ هـ) كتابين عن الديانات ثم جاء المسبحى (٤٢٠ هـ) فكتب كتابه " درك البغية فى وصف الاديان والعبادات " وكثر بعد ذلك التأليف فى هذا المجال ، ومن أبرز الكتب التى كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنوانا لها كتاب " الملل والنحل " لأبى منصور البغدادى (٤٢٩ هجرية) وكتاب الفصل فى الملل والنحل " لابن حزم الاندلسى (٤٥٦ هـ) وكتاب الملل والنحل " للشهرستانى (٥٤٨ هـ)(٢)

ولكن مبدأ الاشتغال بهذا الفن يعود بنا حتى اذا ما رسخت قدم الاسلام وتوطدت أركانه وثبت بنيانه ولم يبق بعد ذلك مجال للخوف من الرجوع الى الشرك بالله ، فلما زالت العلة وانحسمت مادة ذلك الخوف ، حينئذ توفر للعلماء على تلقف الروايات من هنا ومن هنا فجمعوا كل ما وصلوا اليهم من المعلومات من تلك الديانات القديمة فكان محمد بن اسحاق (صاحب المغازى والسير) المتوفى فى أواسط القرن الثانى للهجرة أول من ألم بشىء من أمر عباداتهم القديمة .. ولكن

---

(١) الاستاذ عبد العزيز عبد الحق ـ مقدمة الرد الجميل للامام الغزالى ص ٧٨ طبعة مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٤ .

(٢) الدكتور احمد شلبى ـ اليهودية ص ٢٩

كتابه السير هذا .. ضاع من الوجود .. ولكن ابن الكلبي المتوفى بعد ابن اسحاق بنصف قرن تقريبا كان اول من أفرد لهذا الموضوع سفرا خاصا به أسماه "كتاب الأصنام" (١).

ومن ذلك العهد أقدم علماء الاسلام على الدخول في غمار هذا الموضوع فألفوا فيه كتبا لم يصلنا منها شيء سوى الاسم .

فمن ذلك أن الكاتب أبا الحسن علي ابن الحسين بن فضيل ابن مروان (وأصله فارسي) له كتاب (الأصنام وماكانت العرب والعجم تعبده من دون الله) وللجاحظ أيضا كتاب في هذا الموضوع سماه "كتاب الأصنام" ذكره في مقدمة كتاب الحيوان ، ثم جاء فيلسوف الاسلام "أبو زيد البلخي" فألف كتابا في الرد على عبدة الأصنام (٢).

(وقد ألف أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع كتابا في أديان العرب وآرائهم اسمه "آراء العرب وديانتها" وقف عليه ابن الحديد وأشار الى بعض هفوات رآها فيه وللجاحظ مؤلف اسمه "أديان العرب" استفاد منه أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني) (٣)

ولعله بعد كل هذا قد آن لنا أن نقرر في يقين واطمئنان أن المسلمين هم الذين أسسوا وأنشئوا هذا العلم .. ومن هؤلاء مؤرخنا أبو الفتح الشهرستاني .. الذي أقام بمفرده ، مدرسة فلسفية في تاريخ الأديان ومذاهبها .

ولكن لما جاءت الحروب الصليبية بأهوالها وأذنابها أدرك المسلمون

---

(١) الاستاذ احمد زكي — كتاب الاصنام لمحمد بن السائب الكلبي ص ٣٢ طبعة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م — الدار القومية للطباعة والنشر .
(٢) المرجع السابق ص ٣٣ — والدكتور جواد علي — المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٦ ص ١٢
(٣) الدكتور جواد علي — المفصل في تاريخ العرب ج ٦ ص ١٣ دار العلم للملايين مكتبة النهضة ببغداد

أن اتباع الديانات الأخرى لا يتحلون بالتسامح الديني فخفت صوت هذا العلم ، ولكن اخفاق الصليبيون فى السيطرة على المسلمين بالوسائل العسكرية جعلهم يلجأون الى الوسائل السلمية وفى مقدمتها حركة التبشير الذى يستلزم معرفة شيء عن الاسلام (١).

وبناء على هذا نشط هذا العلم من جديد ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية .

علم تاريخ الاديان حديثا

ان الحضارة التى تعيش عليها أوروبا الغربية فى عالم اليوم ليست من صنع الغرب وحده ، كما أنها ليست وليدة عصر واحد من عصور التاريخ وهو العصر الحديث .. وانما هى نتاج خبرات أمم الشرق والغرب على السواء وثمرة جهود شاقة طويلة قامت بها أجيال متلاحقة من الانسانية عاشت على مر العصور قديمها ووسطها وحديثها فلما بدأت أوربا تستيقظ رويدا رويدا فى القرنين الثالث والرابع عشر ، كانت تنظر الى الشرق الذى كان يبعث نورها ، فأخذت ترسل البعثات من رجال الدين الفرنسيسكان والدومينيكان حتى وصلوا الى بلاد الهند والصين واطلعوا على دياناتهم .

وفى القرنين الخامس والسادس عشر وهما اول العصر المسمى (عصر البعث) اوالنهضة) أرسلوا البعثات الى بلاد اليونان للاطلاع على علومهم باللغة اليونانية ، وكانت باكورة نشاطها فى هذا الشأن تنقيبها عن الآثار الاسطورية وتفسير ما ترمز اليه من عقائد اوحوادث تاريخية (٢).

---

(١) الدكتور احمد شلبى — اليهودية ص ٣٠
(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز — الدين ص ١٦

ولئن كانت حركة التنقيب ودراستهم قد رجعت بالعلماء الى الماضي البعيد وجعلتهم يتجهون في انتاجهم الى المحاكاة والتقليد اكثر من الابتكار والتقليد الا أنها من ناحية أخرى بصرتهم وبصرت قراءهم والمطلعين على انتاجهم بالحضارات العظيمة التي ظهرت قبل قيام المسيحية وأتاحت لهم فرصة مقارنة هذه الحضارات بحضارة العصور الوسطى التي عاشوا فيها والتعرف على مبادئ وأفكار واتجاهات لم يألفها الفكر البشري في العصور الوسطى ، ولعل أهم هذه الاتجاهات والافكار والمبادئ احترام ذاتية الفرد وتمجيده والاعتراف بحقه في التعبير عن رأيه في امور الحياة المختلفة ، ودراسة الأنظمة والتقاليد ، ولهذا اخذ المفكرين يسلطون العقل والمنطق على الكنيسة وعلى غيرها من الأنظمة ، وقد اشتد هذا الاتجاه في المانيا وهولندا وانجلترا وفرنسا بصفة خاصة ، فقد اشتدت الرغبة في دراسة الأصول الدينية وكتب القديسون الأوائل وظهر التراجم للانجيل من اللاتينية الى الألمانية وأخذ المفكرين يقارنون بين حقائق دينهم وبين ما وصلت اليه الكنيسة من الانحطاط ، وكان لذلك أثره في تفكير الناس في ضرورة التغيير والاصلاح (١) وكان من أبرز حركة الاصلاح والتجديد في أوروبا ، حركة الاصلاح الديني وانقسام العالم المسيحي الى فريقين كبيرين أو مذهبين رئيسيين هما :

أولا : المذهب الكاثوليكي . ثانيا : المذهب البروتستانتي

فكانت حركة البروتستانتية مكملة لجانب من هذه النهضة العلمية في أوروبا بما مهدت له من الدراسات في اللغة العبرية واللغات السامية الأخرى بغية التفهم لنصوص التوراة والانجيل التي كان رجال الاصلاح الديني يتمسكون بحرفيتها وبينما كان الكاثوليك " من أسبان وبرتغال وفرنسيين " يقومون باكتشاف بعض المسيحية واكتشاف حركة الأقاليم (٢) .

---

(١) أصول العالم الحديث ص ٢٧ ـ طبع الجهاز المركزي للكتب الجامعية ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م .

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين ص ١٦

وكان من أهم العلوم التى ظهرت فى عصر النور والتوعية ، وهى حركة فكرية اجتاحت اوروبا فى القرن الثامن عشر ، ويرجع بداية ظهورها الى عصر الاصلاح والنهضة ظهرت اولا فى هولندا ومن روادها " سبينوزا " و " جروشيوس " ، ثم انتشرت فى انجلترا فى عام ١٧٦٠ م تقريبا وكان من المروجين لها ، لوك ، هيوم ، ود يسموس ، ونيوتن ، ومن هناك امتدت الى فرنسا حيث حمل لواءها فولتير (١).

وكان من العلوم التى عادت الى الظهور مع حركة النور والتوعية هذه هو علم تاريخ الاديان ، وكان اول من استعمل هذا التعبير فى ذلك العصر هو العالم الالمانى " ماكس موللر " وذلك عندما كتب فى عام ١٨٦٧ م مقدمة الجزء الاول من كتابه (٢).

ومنذ ذلك اليوم أصبح علم تاريخ الأديان يسير فى اتجاهين :

الاول : اتجاه قديم نالـه شيء من التجديد ؛

الثانى : اتجاه جديد .

أما الاتجاه الأول :

فهو نوع من الدراسة الوصفية التحليلية الخاصة بكل ملة على حدة وهى التى يمكن ان تعرفنا نشأة كل ديانة على حدة وحياة مؤسس هذه الديانة وعقائدها واسبابانتشارها الى غير ذلك من الافكار التى اصبحت مجالا لحديث الناس منذ أن خلقت مذاهبهم .. وهذا الاتجاه هو المسمى باسم تاريخ الأديان .. ولو انصفت التسمية لكانت تواريخ الأديان(٣)

(١) الدكتور محمد عبد الغنى شامة ـ هامش بحوث علم الاديان المقارن ص ٧
(٢) المرجع السابق ص ٩
(٣) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين ص ١٧

ذلك أن التجديد الذى نالها هو ما دتها ومسائلها جميعا ، فبعد أن كانت لا تتجاوز فى الغالب حوض البحرين الابيض والأحمر ، اتسعت حتى شملت القارات الخمس ، وبعد أن كانت تكاد محصورة فى نطاق الامم المتدينة ذات التاريخ المدون والآثار الخالدة تناولت أيضا الشعوب الهمجية والأمم البائدة ، ولكن اتساع هذا المجال أمام المؤلفين المحدثين قد بعد بهم عن المنهج السليم الذى انتهجه مؤلفو العرب المسلمين الذين نقدم منهجا لواحد منهم .

أما الاتجاه الثانى : وهو الاتجاه الجديد :

فهو نوع من الدراسات النظرية والاستنباطات الكلية التى تهدف الى اشباع نهمة العقل فى التطلع الى أصول الأشياء ومبادئها العامة (١) وبناء على هذا الاتجاه نشط هذا العلم من جديد ليكون من وسائل التبشير ونشر المسيحية وقد خاض فيه علماء أوربا وأدباؤها ، وكان التبشير احد وسائلهم ، الذى هو هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة فى البلاد التى يتوجه اليها المبشرين المسيحيون للتبشير فيها خصوصا الاسلام كما قال " غاردنر " ... " انه وان كان قد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الاسلامى ، ولكن الحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت تكن لتدمير الاسلام " (٢)

لذلك كان من أهم أهداف التبشير هو تحويل مجال التفكير فى الوحدة الاسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين وتعمل على

---

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين ص ١٨

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوى ـ التبشير والاستشراق ـ الطبعة الاولى مجمع البحوث الاسلامية ص ١

تفريقهم والقضاء على الاسلام حتى يمكن استعباد أهله والبلاد التى هو فيها (١).

ومن هنا فانا نرى أن علماء أوروبا لم يفردوا لهذا العلم كما فعل علماء العرب المسلمين ذلك لأن منهم من أدخل مسألة من هذا العلم فى طى بحوثه الأدبية أو نظرياته الفلسفية العامة ومنهم من وضع فى مقدمة دراسته لدين معين ومنهم من ألم بهذه او تلك فى مدخل تأليفه عن تاريخ الأديان العام ، ومنهم من ساقها نكتة عابرة ، ومنهم من اطنب فى الشكل والمظهر وكان اقل عناية بالصميم والجوهر (٢)

ومن هنا فانه يبدو لنا أن المسلمين هم الذين وضعوا القواعد المنهجية لهذا العلم "أى علم تاريخ الأديان" وأن ما وجد فى ساحة الفكر اليونانى والرومانى والمسيحية فى العصور الوسطى والأفلاطونية الحديثة ما هو نتفات يسيرة لا تكون منهجا ولا ترسم خطة وذلك لأنهم كما قلنا سابقا كانوا يتناولون هذا العلم من خلال بحوثهم ونظرياتهم .. ولكن اذا نظرنا الى العلماء المسلمين نجد أنهم قد أفردوا لهذا العلم المؤلفات ، ولأول مرة فى تاريخ الفكر البشرى نجد أن المسلمين أفردوا للبحث فى تاريخ الأديان ومن هؤلاء مؤرخنا أبو الفتح الشهرستانى .. فما هوا لمنهج الذى سار عليه فى تأريخه للأديان والمذاهب ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٥

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٩

* البـــاب الأول *

* أصـــول منهـج الشهرستانـــى *

* الفصـــل الأول *

* مفهــــــوم المنهـــــج *

ويدور هذا الفصـل حـول التعريف بالمنهـج وأنواعـه ثـم بيـان المناهـج الرئيسيـة والمنهـج التاريخـــــى بالاضافـة الـى أثـر المسلمين فى هذه المناهـــــج

* * * *

* مفهوم المنهج *

جاء في مختار الصحاح " نهج " النهج بوزن الفلس ..
والمنهج بوزن المذهب والمنهاج : الطريق الواضح . ونهج الطريق:
أبانه وأوضحه ونهجه أيضا سلكه ، وبابهما قطع والنهج بفتحتين
البهر وتتابع النفس وبابه طرب (١).

وجاء في المعجم الفلسفي المنهج والمنهاج في الفرنسية
في الانجليزية هو الطريق الواضح وجميع الكتب
العربية التي سميت بهذا الاسم تشير الى أن معنى المنهج أو المنهاج
عند مؤلفيهما : هو الطريق الواضح والسلوك البين والسبيل المستقيم (٢)

اذا المنهج في اللغة هو الطريق الواضح في أمر ما من علم
أو عمل ومناهج البحث العلمي هي الدراسة الفكرية الواعية للمناهج
المختلفة التي تطبقها العلوم تبعا لاختلاف موضوعات هذه العلوم

وليس المنهج سوى خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة
الموضوعات التي يقوم بدراستها الى ان يصل الى نتيجة معينة وبهذا
يكون في مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ او العكس (٣).

فالمنهج بمعناه العام : هو الطريقة التي يسلكها العقل
في دراسة موضوع أي علم من العلوم بغية الوصول الى قضاياه
الكلية التي تسمى بالقوانين . والمراد بالعلوم المعارف عامة سواء كانت
مادية أو عقلية .

---

(١) الامام الرازي - مختار الصحاح ص ٧٤ مادة نهج - ط عيسى الحلبي
(٢) الدكتور جميل صليبا - المعجم الفلسفي ج ٢ ص ٥ ٤٣
(٣) الدكتور عبد اللطيف العبد مناهج البحث العلمي ص ٧ - ١٣٩٨ هـ
١٩٧٩ م - مكتبة النهضة المصرية .

والمنهج اما ان يكون عاما لا يتقيد بموضوع معين بل يتعلق بالتفكير العقلي السليم وبيان الطريقة الصحيحة التي يستخدمها الباحث في كسب المطالب العلمية مطلقا سواء كانت تصورية أو أحكاما يجب التصديق بها وذلك هو المنهج المنطقي . لا حيث أنه يتعلق بعمليات الفكر العقلية العامة التي لا تتقيد بموضوع دون آخر بل بجميع العلوم .

واما ان يكون المنهج فنيا خاصا يعالج فيه الباحث موضوع بحثه على نحو معين بحسب طبيعة الموضوع الذي يبحثه والموضوعات كثيرة ، وتتنوع العلوم بتنوع موضوعاتها فطريقة البحث في علم الكيمياء هي غيرها في علم الفلك ... الخ .

أنواع المنهج :

ان الانسان في هذه الحياة على تعدد ثقافاته واختلاف هواياته لا يعيش بدون منهج يسلكه في تفكيره ، ولكنه يصدر منه هذا المنهج ازاء مواجهة الحياة ومشاكلها من أبسطها الى أدقها وأعقها ذلك أن مسألة المنهج لا تختص بجيل دون جيل أو بفرد دون فرد بل يكاد يكون لكل فرد من الأفراد منهجا يسير عليه وفقا لاسلوب معين يتبعه في حياته .. وعلى هذا تنوع المنهج أساسا الى نوعين :

الاول : المنهج التلقائي

وهو المنهج الآلي ، ويكاد يزاوله أغلب الناس في حياتهم ويصلون منه الى نتائج أعمالهم وذلك بدون أن تكون لهم خطوات ثابتة تقرر سير الطريق الذي يسلكونه ، بل يعملون طبقا لتكيف الظروف التي يكونون فيها بدون ان يكون لهم ما يسمى بالتجريب العقلي قبل العقل

وهذا المنهج غير مدرك ، وقد يؤدى هذا المنهج الى نتائج صحيحة وقد تنبه مناطقة بسورت روسال الى هذا المنهج وقرروا " ان عقلا سليما يستطيع ان يصل الى الحقيقة فى نطاق البحث الذى يقوم به بدون أن يعرف قواعد الاستدلال " (١).

الثانى : المنهج التأملى أوالادراكى :

وهو المنهج الذى يسير عليه الانسان فى تفسيره وفق مجموعة من القواعد والنظم التى تكونت لدى الانسان ، ويؤدى السير على سياق هذه القواعد والنظم الى الحقيقة فهو اذن منهج واع وشعورى

المناهج الرئيسية :

لما كان المنهج هو الطريق الذى يسلكه الانسان وفق قواعد عامة تهديه وتقوده الى الطريق السليم فى أى نطاق من أنطقة المعرفة الانسانية .. ذلك أن المنهج العلمى السليم :

" هو حصيلة التأمل الدقيق الذى يحدد القواعد ويخلص الى قوانين"

وان الفيلسوف المنهجى هو الذى يتجاوز حدود التخصص المصون ويستقرئ المناهج المختلفة للعلوم محاولا الاتجاه نحو التعليم حتى يقدم لنا صورة اجمالية للمناهج التى يسلكها العقل الانسانى للكشف عن العلوم (٢).

حيث ان الباحثين فى علم المناهج العامة يرون ان المناهج العلمية على تعددها ترجع الى مناهج رئيسية ، فمثلا يذهب الاستاذ

---

(١) الدكتور على سامى النشار ـ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ ١ ص ٣٥ دار المعارف .

(٢) الدكتور جلال محمد موسى ـ منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال الطبيعية ص ٥٦ سنة ١٩٧٢م ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت

الوثيق بالله عبد المنعم أحمد في كتابه " المنطق ومناهج البحث العلمي " الى أن المناهج جميعها ترجع الى منهجين اساسيين هما :(١)

الاول : المنهج الاستقرائي :

وفيه يصل الباحث الى النتائج من المقدمات .. وهذه المقدمات ليست فرضية صورية ولكنها مقدمات طبيعية موضوعها الأشياء المحسوسة ويعتمد الباحث في دراستها على الملاحظة والتجربة .. وهذا المنهج عنده يستعمل في العلوم الطبيعية كمعظم العلوم الانسانية .

الثاني : المنهج الاستنباطي :

وهو المنهج الصوري الذي يفرض مقدمات يصل منها الباحث الى نتائج حسب قوانين الفكر الصحيح . ويتضح هذا النوع في صورتين :

أ ـ الاستدلال الرياضي . وتستخدمه العلوم الرياضية وينحصر موضوعها في الكميات المجردة .

ب ـ الاستدلال القياسي . ويستخدمه المنطق الصوري . وينحصر موضوعه في صورة الفكر وقوانينه .

ولكن اندريه لالاند مؤرخ المنهج التجريبي قد قسم علم المناهج العامة الى الأقسام الاتية :

١ ـ المنهج الاستنباطي .

٢ ـ المنهج الاستقرائي .

٣ ـ المنهج التكويني او الاستردادي .

---

(١) نقلا من كتاب مناهج البحث الخلقي في الفكر الاسلامي ـ للدكتور احمد عبد الحميد الشاعر ص ٢٣ طبعة اولى ـ ١٩٧٩م.

٤ ـ المنهج الجدلى (١).

فهذه المناهج الأربعة ترجع اليها جميع المناهج العلمية وأن هذا التظنيف الأخير أوضح من التصنيف الأول وذلك لأنه جاء بالمنهج الجدلى .. وهذا المنهج له أهمية فى مجال البحث العلمى والمناظرات العلمية، كما أن هذا التصنيف حدد منهج البحث فى العلوم التاريخية الذى هو مجال بحثنا وهو المقصود عنده بالمنهج الاستردادى ، وهذا المنهج يقوم فيه الباحث باسترداد الماضى حسب الآثار التى خلفها ويستعمل هذا المنهج فى العلوم التاريخية والأخلاقية (٢) لذا فاننا نشير الى المنهج التاريخى :

المنهج التاريخى :

ان المنهج التاريخى هو أحد المعالم الرئيسية للأمم الحضارية حيث أنه من العلوم الأساسية ، وأن أغلب العلوم التى تسبقه انما هى مقدمات له ذلك أن الذين حركوا هذا المنهج التاريخى وحددوا مساره .. انما هم خلاصة فكر الأمة ممثلين فى أنبيائها وعلمائها ومفكريها وفلاسفتها .. وغير هؤلاء كثيرين ، لذا فان ابن خلدون يرى أن صاحب هذا الفن يكون على علم " باختلاف الأمم والبقاع والأعصار فى السير والأخلاق والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعى كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره " (٣).

(١) الدكتور على سامى النشار ـ مناهج البحث العلمى عند مفكرى الاسلام ص ٣٧٥ دار المعارف سنة ١٩٦٥م

(٢) الدكتور احمد عبد الحميد الشاعر مناهج البحث الخلقى ص ٢٤

(٣) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٢٧ طبعة دار الشعب

ذلك أن لفظ التاريخ يدل على معان : حيث أنه في اللغة يعني الاعلام بالوقت ، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت ، وموضوعه الانسان والزمان ، ومسائله أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للانسان في الزمان " (١) .

وابن خلدون يقول في ذلك : " ان التاريخ انما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والاجيال والأعصار فهو أمر للمؤرخ تنبني عليه اكثر مقاصده وتتبين به أخباره (٢) .

ومن هنا فان مهمة المؤرخ المنهجي هي محاولة استرداد ما كان قد وقع في الزمان الماضي من حوادث وأقوال وذلك بطريقة عقلية لا تدخل له فيها الا من حيث اختياره للالفاظ التي يستخدمها و المنهج الذي يسلكه مستندا في ذلك على ما خلفته الوقائع والاحداث الماضية من وثائق وآثار وذلك بطريقة مباشرة ، ولكن هناك ظواهر وحوادث لا تلاحظ بطريقة مباشرة فهي تلك التي تتلخص في السماع عن الآخرين والنقل عنهم أو الأخذ عن بعض الوثائق التي دونها أشخاص شاهدوا هذه الظواهر أو الحوادث .. أو سمعوا بها (٣) .

ذلك أن هذه الحوادث وتلك الظواهر فيها التشيعات للآراء والمذاهب ولكن النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه أو كذبه ، واذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع

---

(١) الدكتور حسن عثمان ـ منهج البحث التاريخي ص ١٢ الطبعة الرابعة نقلا من الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي جـ ١ ص ٧ ـ ١٣٤٩ هـ
(٢) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص ٣٠
(٣) الدكتور محمود قاسم المنطق ومناهج البحث العلمي ص ٤٤٥ ط ٥ ـ ١٩٦٨ م دار المعارف .

غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص ، ذلك أن كل حادثة من الحوادث ذاتا كانت أم فعلا لابد لها من طبيعة تخصها فى ذاتها وفيما يعرض لها من أحوال ، فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال فى الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك على تمحيص الخبر فى تمييز الصدق من الكذب ، وهذا ابلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض (١).

وهذا هو مؤرخنا كان حريصا على الامانة فى النقل وتسجيل ما وجده بلا تزيف ولا تحريف فى تتبعه للاحداث التى كانت جارية فى عصره يسجلها فى موسوعته اذ يقول على زعيم الباطنية فى عصره ، وهو الحسن بن محمد بن الصباح : " وكان بدء صعوده على قلعة الموت فى شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وذلك بعد ان هاجر الى بلاد امامه ".(٢) وهذا يدل على أن أبى الفتح الشهرستانى كان عارفا بطبائع الحوادث والظواهر التى يؤرخ لها ، ولكن الحقائق التاريخية تبدو فى درجات متفاوتة ، وعلى ذلك فلا يمكن فهم الماضى او تفسير ظواهره وحوادثه الا اذا اعتمد المؤرخ المنهجى على مرحلتى التحليل والتركيب :

المرحلة الاولى : التحليل : وتتكون هذه المرحلة من خطوات تدريجية تبدأ بجمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصية أصحابها وتنتهى هذه المرحلة الى تحديد الحقائق التاريخية الجزئية (٣).

ويبدو لنا ان مؤرخنا أشار الى هذه المرحلة فى منهجه التاريخى حيث قال : (عن الحكماء السبعة) وقد اغفل المتأخرون من فلاسفة الاسلام ذكرهم وذكر مقالتهم رأسا :٠٠ ونحن تتبعناها وتعقبناها نقدا " (٤).

(١) ابن خلدون ــ المقدمة ص ٣٣
(٢) الشهرستانى ــ الملل والنحل ج ١ ص ١٩٥
(٣) الدكتور محمود قاسم ــ المنطق ومناهج البحث ص ٤٦٤ ، ٠
(٤) الشهرستانى ــ الملل والنحل ج ٢ ص ١١٩

وهكذا نجد أن الشهرستانى ألم بهذه الخطوات فى منهجه للتاريخ للأديان والمذاهب .

المرحلة الثانية : التركيب : ذلك أن المؤرخ يأخذ فى تصنيف هذه الحقائق الجزئية وتحديد شروط الاستدلال التركيبى ، وتعيين بعض الصيغ العامة (١).

ويشير الشهرستانى الى هذه المرحلة وذلك فى ترتيب النفوس الانسانية والارواح الملكية فيقول : (غير أنا بهذا الجنس استدللنا على ذلك النوع كما استدللنا بنوع من الحدث فى الامور الفائية على نوع من الحدس فى أمور الغيب الى أن يصل الكمال الى حد من الخليقة فيقف الترتيب فى المراتب فيستدل بذلك على ان امر من له الخلق والامر فوق الأوامر النطقية الانسانية والفكر العقلية (٢)).

وعلى ذلك فالشهرستانى اشار الى هذه الخطوات فى منهجه التاريخى الذى أشاد به القدماء والمحدثين .. يقول البيهقى : " من كلمات من شرط المصنف أن يحترز عن الزيادة على ما يجب والنقصان مما يجب وتقديم ما يجب تأخيره ، وتأخير ما يجب تقديمه " (٣) .

---

(١) الدكتور محمود قاسم ـ المنطق ومناهج البحث العلمى ص ٤٤٦
(٢) الشهرستانى نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ٢٧٨
(٣) البيهقى ـ تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٤

أثر المسلمين في هذه المناهج :

بعد أن تعرضنا لهذه المناهج العلمية على إختلافها ، نرى أن المفكرين المسلمين قد عرفوها قبل أن يعرفها علماء أوروبا بقرون طوال ، ذلك أن الثقافة الانسانية والحضارة العربية والفكر الاسلامي قد انتقل الى اوروبا ابان الحروب الصليبية وعن طريق الجامعات الاسلامية في الاندلس .. يقول بريفولت في كتابه " بناء الانسانية " " ان روجر بيكون "(١) درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الاندلس وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق في أن ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم ، والمنهج الاسلامي الى أوروبا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة ، ويقول أيضا .. ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه الينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة .. بل يدين هذا العلم الى الثقافة العربية بأكثر من هذا انه يدين لها بوجود نفسه (٢) .

بالاضافة الى هذا نجد ان مفكرى الاسلام عرفوا المنهج التجريبي ، وأن هذا المنهج لم يقتصر على العلوم الطبيعية فقط ، بل تعداها الى بعض العلوم الانسانية .. يقول محمد اقبال : " في كتابه " التقريب في حدود المنطق" يؤكد ابن حزم أن الحس أصل من أصول العلم ، وابن تيمية يبين في كتابه المسمى " نقد المنطق " أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة لليقين

---

(١) فرنسيس بيكون (فيلسوف انجليزى ١٥٦١ - ١٦٢٦م - يعتبر همزة الوصل بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة .

(٢) محمد اقبال - ترجمة عباس محمود - تجديد التفكير الديني في الاسلام ص ١٤٩ .

وهكذا قام المنهج التجريبي القائل : بأن الملاحظة والتجربة هما اساس العلم ، وأصله لا التفكير النظري المجرد ، وكشف البيروني كما تسميه زمان الانفعال .. وكشف الكندي لتناسب الحس مع الوجد وأنه مثلا على تطبيق هذا المنهج التجريبي على علم النفس ، فالزعم بأن اوروبا هي التي استخدمت المنهج التجريبي زعم خاطيء (١) .. يقول الدكتور النشار : قسم اندريه لالاند مؤرخ المنهج التجريبي علم المناهج العامة الى : المنهج الاستنباطي .. والمنهج الاستقرائي .. والمنهج التكويني او الاستردادي ... والمنهج الجدلي .. وقد كان المنهج الثاني وهو المنهج الاستقرائي طريق الحضارة الاوروبية الحديثة ، وقد توصل المسلمون قبل اوروبا بقرون طوال الى كل عناصره ، اما المنهج الاستنباطي فقد عرفوه أيضا : عرفوه باسم المنهج القياسي .. وهاجموه اشد الهجوم ورأوا أنه عقيم لا يصل الى علم نافع ، اما اذا انتقلنا الى المنهج الثالث وهو المنهج الاستردادي .. فانا نرى أن المسلمين قد أقاموه على اسس علمية دقيقة فيما يعرف بعلم مصطلح الحديث ، وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية .. هي هي منهج البحث التاريخي الحديث .. وقد توصل المسلمون الى كل ما توصل اليه علماء مناهج البحث التاريخي من نقد النصوص الداخلي والخارجي كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية وفحص الوثائق ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف .. واذا انتقلنا الى المنهج الرابع وهو المنهج الجدلي وجدنا أصوله أيضا في كتب أدب البحث والمناظرة والجدل منهجا كاملا يشبه المنهج الجدلي الحديث ، كما يطبق في اعظم المجامع والأكاديميات العلمية ومازال هذا المنهج مبثوثا في الكتب التي طال عليها الزمن وهي منسية مطوية (٢) .. وهكذا يبدو لنا ان مفكري الاسلام قد عرفوا هذه المناهج العلمية على اختلافها وذلك قبل ان يعرفها علماء اوروبا بقرون طوال .

لذا نشير الى منهج أحد هؤلاء الاعلام في التأريخ للاديان والمذاهب .

---

(١) نقلا من المرجع السابق ص ١٤٨

(٢) الدكتور علي سامي النشار : مناهج البحث العلمي عند العرب ص ٣٧٦

* الفصــل الثانـي *

روافـد الشهرستاني في التأريخ للاديان والمذاهب

وقد تضمن هذا الفصل مصدرين أساسين ، ثم بيان المصــادر المباشرة والغير مباشرة .

* * * *

روافد ثقافة أبى الفتح الشهرستانى
فى تاريخه للأديان والمذاهب

بعد أن طوف الشهرستانى فى انحاء الرقعة الاسلامية فى زمنه طالبا العلم وقاصدا الافادة والاستفادة وعقد المجالس العلمية وحلقات الدرس والتدريس ، وضع لنا تلك الموسوعة العلمية الهائلة التى حققت بكثير من جوانب الفكر البشرى ، كما أنه قدم جهدا كبيرا وآراء مستقلة فى كثير من المواقف خصوصا وأنه وضع لنا تلك الموسوعة بعد أن اكتملت مكانته العلمية وكثفت سنه من التجربة والتعمق فى الامور ودقة الاستنتاج العلمى .

ومع ذلك فليس فى وسع الباحث أن يحصى المصادر المتعددة التى استعان بها تاج الدين والملة فى تلك الموسوعة الفكرية الحافلة بكثير من الآراء والأقوال ، وعنيت بصفة خاصة بأديان العالم ومذاهبهم وآرائهم .

يقول استاذنا المرحوم الدكتور محمد بن فتح الله بدران : " وما ظنك بأمواج متلاطمة من الكتب يريد صاحبنا أن يسبر أغوارها جميعا ليقدم منها فى كتاب واحد مقالات أهل العالم من لدن آدم الى وقته مؤكدا انه انما يعتمد دائما على كتب كل طائفة ومقالات كل فرقة فرقة بعد الاختيار والتحرى بل والفحص الشديد " (١).

ولكنا نستطيع أن نقول ان ابا الفتح الشهرستانى قد استمد ثقافته التى كونت شخصيته وكمؤرخ وفيلسوف حضارة اسلامية تنقسم الى : مصادر غير مباشرة ٠٠ ومصادر مباشرة .

---

(١) الدكتور محمد بن فتح الله بدران — المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ١٩٤ تحت رقم ١٢٠ فى مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة .

غير أن هناك مصدرين أساسين قد انتظما الاتجاهين السابقين وأثرا فيهما معا .. لذا نشير اليهما أولا :

أولا : القرآن الكريم :

وهو مصدر الصادر عند الشهرستاني وفيصل التفرقة بين الحق والباطل فيما نشأ بين الفرق من خلاف ذلك أن الشهرستاني كان من اكثر المفكرين استيعابا لأصل الفكر الاسلامي .. ذلك أن التاريخ او بتعبير القرآن الكريم .... " أيام الله " (١) كما جاء في قوله تعالى : " ولقد ارسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٢). وقوله تعالى : " قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون (٣).. ذلك ان القرآن الكريم دائب الاشارة الى الامم الخالدة ، داع الى الاعتبار بتجارب البشر في ماضيهم وحاضرهم : .. يقول الله تعالى : " وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون (٤) ويقول ايضا : " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (٥) .. ويقول ايضا : " ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس " (٦) ويقول ايضا : " ولكل امة أجل) .(٧)

---

(١) محمد اقبال ـ ترجمة عباس محمود ـ تجديد التفكير الديني في الاسلام ص ١٥٩ ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة ـ ط ٢ ـ ١٩٦٨.
(٢) سورة ابراهيم ـ آية رقم ٥
(٣) سورة الجاثية آية رقم ١٤
(٤) سورة الاعراف اية رقم ١٨١
(٥) سورة آل عمران ـ آية رقم ١٣٧
(٦) سورة آل عمران ـ اية رقم ١٤٠
(٧) سورة الاعراف ـ آية رقم ٣٤

من هنا نجد ان عناية القرآن بالتاريخ بوصفه مصدرا من مصادر المعرفة الانسانية تذهب الى اكثر من مجرد الاشارة الى تعليمات تاريخية ، وهذه الآية الاخيرة مثل من أمثلة الأحكام التاريخية العامة يتجلى فيها التمون والتحديد وهى فى صيغتها البالغة الايجاز توحى امكان دراسة حياة الجماعات البشرية دراسة علمية باعتبارها كائنات عضوية ، وعلى هذا فمن يزعم أن القرآن يخلو من بذور المذهب التاريخى يكون على ضلال مبين (١).

وعلى ذلك فليس التاريخ الحق الا من الله الحق كما جاء فى قوله تعالى : " وبالحق انزلناه وبالحق نزل " (٢) .. لأنه سبحانه وتعالى هو العليم الخبير : " الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور " (٣).

فاذا قال القرآن فقد قال .. واذا أرخ فقد أرخ .. واذا قص فقد قص (٤) .. يقول الله تعالى : " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء " (٥).

ذلك ان القرآن الحق من الله الحق تحدث عن اخبار السابقين وتاريخهم حديثا تعجز الانسانية عن الوصول اليه من ناحية وتؤخذ منه العبر كل العبر علاجا لكل انحراف ، وتوحيدا لكل اختلاف ، وبلسما لكل داء وقاء وطبا وشفاء من كل شر أو سوء او بلاء .. صدق الله العظيم اذ يقول عن اهل الكهف " نحن نقص عليك نبأهم بالحق " (٦) .. وعن يوسف واخوة يوسف فى أول سورة يوسف : " انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن " (٧).

---

(١) محمد اقبال ـ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ١٦٠
(٢) سورة الاسراء ـ آية رقم ١٠٥
(٣) سورة غافر ـ آية رقم ١٩
(٤) الدكتور محمد بن فتح الله بدران ـ الفلسفة الحديثة فى الميزان وتأسيس القواعد من القرآن ص ٣٧٢ ـ الطبعة الاولى ١٩٦٨ م مكتبة القاهرة الحديثة
(٥) سورة يوسف ـ آية رقم ١١١
(٦) سورة الكهف ـ آية رقم ١٣
(٧) سورة يوسف ـ آية رقم ٢ و ٣

وهكـذا فقـد قص القـرآن علـى العرب اخبار أمم من العرب ، ذلك أن العرب اعمـق الناس واعرقهـم تاريخـا قص عليهم رسلهم وهم اوثق الناس بالرسـل وأكـذب الناس للرسـول .. قص عليهـم أديانهم وهم أكـرم الناس على ديـــن وأكرم الناس بديـن .. ثم تحداهم وكانوا مكابريـن متعنتين فأعنتهم وأعجزهـــم فكانوا هم العاجزيـن ثم قـعو عمـن حولهـم من الأمم وما حولهم من الدول ، وتحـدى وأثار وأعجـز فسكتت الدنيا وعجـزت ، وروعـت الجماعات وزلزلـــت، ولكنهـا ما ثـارت ولا نطقـت بل اقرت باجماع ويقـين هذا التاريـخ الذى نطق بـه الكتاب المبـين ، كتاب (١) " لا يأتيـه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـــه تنزيل من حكيم حميـد " (٢) .. وهذا مؤرخنـا يقول : (ان ما جادل نوحـا ، وهودا ، وصالحـا ، وابراهـيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسـى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعيـن .. كلهم نسجوا على منوال اللعين الاول فى اظهـار شبهاتـه وحاصلها يرجـع الى رفع التكاليـف عن أنفسهم وجحـد اصحاب الشرائـع والتكاليـف بأسرهـم .. اذ لا فرق بين قولهـم " أبشـر يهدوننـا " (٣) وبيـن قولـه : " أأسجـد لمـن خلقـت طينـا " (٤) وعن هذا صار مفصل الخـــلاف وحـز الافتراق ما هو فى قولـه تعالـى : " وما منـع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهـدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا " (٥)) (٦) .

وعلى ما يبـدو للباحـث ان الشهرستانى يعتبر القـرآن الكريـم مصـــدر المصادر الاساسيـة الاوليـة فى تأريخـه للفـرق والمذاهـب ، وذلك واضح فـى تقريره أن اساس الشبهات كلهـا التى وقعت فى الخليقـة وبين سبب صدرهـا

(١) الدكتور محمد بن فتح الله بدران ـ الفلسفة الحديثة فى الميزان ص ٢٧٤
(٢) سورة فصلت ـ آيـة رقم ٤٢
(٣) سورة التغابن ـ آية رقم ٦
(٤) سورة الاسراء ـ آية رقم ٦١
(٥) سورة الاسراء ـ آية رقم ٩٤
(٦) الشهرستانى الملل والنحل ج ١ ص ١٧

وظهورها ، نجده يستدل بالقرآن الكريم حيث قال : " ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " (١) .

من هنا فالقرآن الكريم واضح بذاته ويوضح بعضه بعضا او يقتبسون من السنة النبوية الشريفة .

ثانيا : السنة النبوية الشريفة :

من المصادر الاساسية عند الشهرستانى السنة النبوية الكريمة ، وان اهميتها واضحة وبينة بذاتها عند مؤرخنا حيث أنه أخذ بها فى منهجه فى عد الفرق والمذاهب حتى بلغت الثلاث وسبعين فرقة كما أشار الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " افترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى وعلى اثنتين وسبعين فرقة والمسلمين على ثلاث وسبعين فرقة ، والناجية أبدا من الفرق واحدة "(٢) .

ذلك أن السنة النبوية الشريفة هى نفسها تاريخ اذ أنها تسجل الحوادث اليومية لحياة النبى صلى الله عليه وسلم .

بالاضافة الى ذلك نجد أن الشهرستانى يبين أول تنازع وقع فى مرضه عليه السلام حيث قال : " فأول تنازع وقع فى مرضه عليه السلام فيما رواه الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : " لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه : قال : أئتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى أبدا " فقال عمر رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله ! وكثر اللغط : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قوموا عنى لا ينبغى التنازع عندى .. قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٣) .

(١) سورة البقرة — آية رقم ١٦٨
(٢) الشهرستانى — الملل والنحل — تحقيق الاستاذ عبد العزيز الوكيل ج ١ ص ١١
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢١

ويشير مؤرخنا الى ان هذه الخلافات كانت خلافات اجتهادية غرضهم منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين .. وغير ذلك كثير أخذه الشهرستانى من السنة النبوية الشريفة حيث كون به فكره مما جعل هذا المصدر من مصادر المعرفة عند مؤرخنا .

وان هذين المصدرين الشريفين قد افادا مؤرخنا من ناحيتين هما :

١ ـ ناحية المادة التاريخية التى تتعلق بتاريخ الامم السالفة أو بمدة الوحى

٢ ـ وناحية منهج البحث . ذلك ان التدقيق فى رواية الحقائق التى تكون مادة التأريخ شرط لا غنى عنه للتأريخ بوصفه علما . ذلك ان اول قاعدة من قواعد النقد التاريخى . هى القاعدة التى تقرر ان اخلاق الراوى عامل هام فى الحكم على روايته (١).

وعلى ما يبدو للباحث ان هذين المصدرين الكريمين لهما تأثير خاص فى الفكر التاريخى عند الشهرستانى . ذلك الخبر المنزل واقوال الرسول صلى الله عليه وسلم .. أى الكتاب والسنة هما أهم المصادر قاطبة عند الشهرستانى . فهما مآل كل المصادر ويقينها ويطلق عليهما اسم الشرع ويقول : (من الشرع المبدأ واليه المعاد) (٢).

ذلك ان العلوم التى تؤخذ من الكتاب والسنة هما أساس المصادر وأصل الحكمة والموعظة الحسنة . ومنها علم الظاهر وعلم الباطن أو علم التنزيل وعلم التأويل .. يقول مؤرخنا فى مفاتيح الأسرار : " العلوم التى تتلقى من الكتاب والسنة كجنة بربوة هى ربوة النبوة يصيبها وابل فهو وابل الوحى فأتت أكلها ضعفين) (٣) أكل الحكمة والموعظة واليه

(١) محمد اقبال ـ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ١٦١
(٢) الدكتورة سهير محمد مختار ـ الرسالة ص ١٥٥ نقلا من مفاتيح الاسرار خ ل (٦٨) .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٦٨

يضاعف لمن يشاء والضعفان ضعف التنزيل والتأويل والظاهر والباطن ، فان لم يصبهما وابل فطل هو طل الالهام فأتت أكلها ضعفا هو ضعف التنزيل والتأويل أو الظاهر والباطن أو حكم الاول والآخر ، وذلك كله لأن مبنى علمهم على الرسوة ومصدر علمهم الكتاب والسنة) (١).

لقد كان الشهرستانى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة .. يرى أن الكتاب والسنة .. هما منبع العلم الحقيقى .. ذلك أنهما من عند الله تعالى وهما يؤديان الى طريق الحكمة التى هى أساس المعارف العقلية ذلك أن الايمان بالشرع المنزل من عند الله أمر فطر على قبوله وأخبر الله تعالى بذلك عن طريق أنبيائه ورسله ، فأخبرنا عن هذه الفترة كما أخبرنا بضرورة الاعتماد على الشرع فى معارفنا .. يقول الشهرستانى : (كل انسان يعرف بفطرته انه اما خلق نفسه ، أو أنه محتاج الى خالق خلقه فابتدأ التعريف من الفطرة وأخبر عن كل فطرة ما لا يسوغ له انكاره .. وهكذا تعريف الأنبياء عليهم السلام عن فطرة الانسان .. يقول الله تعالى : " .. واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين " (٢) فدعوتهم كلمة واحدة وكلمتهم دعوة واحدة (٣).

ومن هنا نجد أن الشهرستانى اعتبر الشرع الممثل فى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هما أصل المصادر ويقينهما الى درجة اعتماده عليهما فى تأريخه للفرق الاسلامية وغير الاسلامية وذلك حيث يقول (اذا كان الحق فى كل مسألة عقلية واحدة فالحق فى جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة ، وانما عرفنا هذا بالسمع وعنه اخبر التنزيل

---

(١) الدكتورة سهير مختار ـ نقلا من المخطوط ـ اللوحة ٤٠٧
(٢) سورة الشعراء ـ آية رقم ١٨٤
(٣) الدكتورة سهير مختار ـ المخطوط صفحة ١٥٧

فى قوله عز وجل : " وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "(١)
وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم : " ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة
الناجية منها واحدة والباقون هلكى "(٢).

وهكذا كان هذان المصدران ذات تأثير خاص فى الفكر التاريخى عند
الشهرستانى حيث انهما من الركائز الكبرى فى الفكر الاسلامى كله .

---

(١) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٨١
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل ج ١ص ١١

* المصادر غير المباشرة *

مما لا ريب فيه أن المصادر التى أوردها الشهرستانى لا تمثل الصورة الحقيقية للقدر الكبير الذى رجع اليه وأعانه على وضع منهجه ، ذلك لأن المصادر التى أوردها وجاءت عرضا فى منهجه تعتبر قليلة بالنسبة للقدر الكبير الذى رجع اليه . وسبب ذلك راجع الى الطريقة التى كان يسلكها قدامى المؤلفين ولا يهتمون فيها غالبا بذكر مصادرهم المكتوبة التى اعتمدوا عليها ، فضلا عن الجهد الكبير الذى اعتمد عليه الشهرستانى فى احيان كثيرة مما يجعله مبتكرا ومبتدعا لمنهجه هذا وعلى ذلك فان المصادر غير المباشرة هى :

١ — المكتبات :

لقد كان فى العالم الاسلامى قبل ابو الفتح مكتبات كثيرة ، فقد كان فى الاسكندرية مكتبة ، وكان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة درس فيها العلوم السريانية واليونانية أشهرها وأهمها ، الرها وقنسرين ونصيبين ، وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات (١).

اذ يقول بروكلمن : "ان الجزيرة العربية والعراق كانا منذ أيام الاسكندر متأثرين بالحضارة اليونانية وكان فى الأديار السريانية كثير من الكتب المترجمة لا فى الآداب النصرانية وحدها بل كان من ذلك أيضا تراجم لمؤلفات أرسطو وجالينوس ، وبقراط ، اذ كان هؤلاء محور الدائرة العلمية فى هذا العصر وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية الى الامبراطورية الفارسية أيام الساسانيين ، وأخذت هذه البذرة اليونانية فى الازدهار حتى أيام العباسيين (٢).. وقد ذكر ان الفرس فى حملاتهم على مصر واليونان

---

(١) الاستاذ احمد امين — ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٩ الطبعة التاسعة ١٩٧٢ مكتبة النهضة المصرية .

(٢) نقلا من المرجع السابق عن دائرة المعارف البريطانية مادة ص ٦٠

كانوا يحملون معهم بعض الكتب وهم عائدون من الغزو ، وان اكبر مكتبة في ذلك العصر هي خزانة الحكمة أو بيت الحكمة ، بالاضافة الى هذه المكتبات كانت أنواع الثقافات التي كانت موجودة في عصره ساعدته على ثقل ذهنه وأداء مهمته وان لم يشر اليها نصا ، ولكنه أشار اليها ضمنا ويقول استاذنا المرحوم الدكتور بدران : " ولعل من السهل ان نقرر كما قرر هو أنه اعتمد على كتب طائفة طائفة في كلامه عند كل فرقة او مذهب أو فرد ، ولم يشأ بعد هذا الاجمال المخل ان يبين لنا هاتيك الكتب ولكنه اذا اضطر الى الاعتماد على كتب أخرى ذكرها غالبا أو أشار الى ذلك بصيغة البناء للمجهول كأن يقول وحكى ويحكى " (١).

وهكذا كانت المكتبات وغيرها من أنواع الثقافات التي كانت موجودة في عصر مؤرخنا في خدمة هذا العمل الجليل ، حيث ظهرت بصماتها جلية في اسلوبه ومنهجه وعلى فكره وثقافته .

٢ ـ مجالس المناظرة :

كذلك كانت مجالس المناظرة من أهم الثقافات في عصر ابي الفتح الشهرستاني حيث كانت تدور هذه المجالس في الدور والقصور والمساجد وبين العلماء وفي حضرة الخلفاء ، وكانت هذه المجالس تلقى في أغلب العلوم وبالأخص في المسائل الدينية .

وان هذه المناظرات ازدهرت في هذا العصر تبعا لازدهار الشغف العلمي وطمعا في منائح الخلفاء والامراء ونيل الحظوة عندهم ورغبة في الوصول الى الحق وكان الخلفاء والامراء يساهمون في الحركة العلمية ويشتركون في الرأى ويؤيدون بعضا ويفندون بعضا (٢).

---

(١) الدكتور محمد بن فتح الله بدران ـ المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ١٩٤
(٢) الاستاذ احمد امين ـ ضحى الاسلام جـ ٢ ص ١٥٤ .

وقال الشهرستاني في ذلك : (وكم ناظرت القوم على المقدمات المذكورة وكم ساهلت القوم) (١). ولقد قال أحد معاصري الشهرستاني : " .. ورأيت له مجلسا مكتوبا عقده بخوارزم " (٢).

وقال أيضا عنه : " وقد جمعني وإياه الامام أبو الحسن بن حمويه في مجلس وحضر المجلس الامام أبو منصور العبادي وموفق الدين أحمد النبي وشهاب الدين الواعظ الشنوركاني وغيرهم من الافاضل " (٣)

وعلى ذلك فقد كانت مجالس المناظرة نوعا من أنواع الثقافات التي كان لها الاثر البليغ في فكر مؤلفنا .

٣ ـ الكتب المقدسة :

وهي التوراة والانجيل وكتب الملل الاخرى ، ذلك أن كتابه الملل والنحل حافل بالنقول من هذه المصادر .. حيث قال : (.. وتلك الشبهات مستورة في شرح الاناجيل الاربعة .. انجيل لوقا ، ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات) (٤) .

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل تحقيق الاستاذ الوكيل ج ١ ص ١٩٨
(٢) البيهقي ـ تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٢
(٣) المرجع السابق ص ١٤٢
(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل × ج ١ ص ١٥

* المصادر المباشرة *

بجانب هذه المصادر الغير المباشرة فان هناك مصادر مباشرة ، ولكن أبا الفتح الشهرستاني صار كأغلب كتاب عصره الذين اكتفوا بالاشارة العابرة الى المصادر التي اعتمد عليها وأغلب الظن أنه اعتمد على مصادر مخطوطة لم يشر اليها ، وكتب وروايات مشافهة من المشايخ أو المجاورين وتواتر شائع يقترب من الاجماع ، ومعاصرة شخصية للاحداث وكذلك الكتب التي تأتيه من الثقات ، وعلى ذلك فمصادره المباشرة يمكن أن نشير اليها في نوعين هما :

النوع الاول : مصادر اسلامية :

١ ـ شيوخه الذين تلقى عليهم العلم .. وهم من المصادر التي صرح بها الشهرستاني ، حيث قال في كتابه نهاية الاقدام في علم الكلام : (وكثيرا ما كنا نراجع استاذنا وامامنا ناصر السنة " صاحب الغنية وشرح الارشاد " أبا القاسم سليمان بن ناصر الانصاري (١) ويقول أيضا الدكتور بدران " ومن بين هاتيك المصادر التي صرح بها نستطيع أن نقول أنه اعتمد على المختصين دائما ان اعوزته المراجع الأصلية " (٢) .

٢ ـ كتاب أديان العرب للجاحظ .. استفاد منه أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٣) .

٣ ـ كتاب الأصنام .. لمحمد بن السائب الكلبي .. يقول الشهرستاني : (قال محمد بن السائب الكلبي : كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها) (٤)

---

(١) الشهرستاني ـ نهاية الاقدام في علم الكلام ص ٣٨
(٢) الدكتور بدران ـ المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ١٩٥
(٣) الدكتور جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ١٢
(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ جـ ٣ ص ٩٥

٤ ـ رسالة الحسن البصرى فى القدر .. يقول الشهرستانى : (ورأيت رسالة نسبت الى الحسن البصرى كتبها الى عبد الملك بن مروان) (١) .

٥ ـ ما كتبه الكعبى .. يقول الشهرستانى : (وحكى الكعبى عن الجعفريين انهما قال : وما نقرأه فهو حكاية عن المكتوب الاول فى اللوح المحفوظ) (٢)

٦ ـ ما حكاه ابن الراوندى .. يقول الشهرستانى : (انه قال ان للقرآن جسدا يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوان) (٣)

٧ ـ تصانيف احمد الكيال .. يقول الشهرستانى : (قال الكيال العوالم ثلاثة العالم الأعلى والعالم الادنى والعالم الانسانى) (٤)

٨ ـ ما كتبه الاشعرى .. يقول الشهرستانى : (قال أبو الحسن البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة) (٥) .

٩ ـ ما حكاه غسان .. يقول الشهرستانى : (ومن العجيب ان غسان كان يحكى عن أبى حنيفه رحمه الله مثل مذهبه) (٦)

١٠ ـ ما حكاه أبو عيسى الوراق .. يقول الشهرستانى : (حكى محمد بن هارون المعروف بأبى عيسى الوراق أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين) (٧) .

١١ ـ كتب الحسن بن الصباح .. يقول الشهرستانى : (ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولا معاب على الناقل والموفق من اتبع الحق) (٨) .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل ج ١ ص ٤٧
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٧٠
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٧٦
(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٨١
(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٩٥
(٦) المرجع السابق ج ١ ١٤١
(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٩
(٨) المرجع السابق ج ١ ص ١٩٥

١٢ ـ نقول فلاسفة الاسلام عن ارسطوطاليس .. يقول الشهرستانى : (قد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس فى جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى افلاطون والمتقدمون ، ولما كانت طريقة ابن سينا ادق ونظرته فى الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار ، كأنها عيون كلامه ومتون مرامه .. وأعرضت عن نقل طرق الباقين " وكل الصيد فى جوف الفراء) (١)

١٣ ـ ما نقله المتأخرين من فلاسفة الاسلام عن ثامسطيوس .. يقول الشهرستانى (ونحن اخترنا فى نقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذى اعتمده مقدم المتأخرين ورئيسهم .. أبو على ابن سينا وأوردنا نكتا من كلامه فى الالهيات) (٢).

١٤ ـ حكاية أبى حامد الزوزنى .. يقول الشهرستانى : (وحكى ابو حامد الزوزنى أن الناووسية زعمت أن عليا باق وستنشق الارض عنه يوم القيامة) (٣)

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل جـ ٣ ص ٢
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٧٩
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٧

النوع الثانى : مصادر يونانية :

بالاضافة الى ما اطلع عليه الشهرستانى فى الفكر الاسلامى نجد أنه قرأ من الفكر اليونانى ما يلى :

١ ـ رسالة فولوس التى كتبها الى اليونانيين .. يقول الشهرستانى : (ورأيت رسالة فولوس التى كتبهما الى اليونانيين) (١).

٢ ـ راموز لأفلاطون .. يقول الشهرستانى : (ورأيت فى راموز له أنه قال) (٢)

٣ ـ كتاب النواميس لأفلاطون .. يقول الشهرستانى : (وقال افلاطون فى كتاب النواميس ان الاشياء التى لا ينبغى للانسان أن يجهلهما منهما ....) (٣).

٤ ـ نقول أهل المظال عن افلاطون .. قال الشهرستانى : (ونقلوا عن أفلاطون استاذهم لما كان الواحد لا بدأ له صار نهاية كل متناه) (٤) .

٥ ـ نقول ثامسطيوس .. حيث قال الشهرستانى : (ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وثاون وأفلاطون وثار فرسطيس وفوريوس وفلوطرخيس) (٥).

٦ ـ نقول ارسطوطاليس .. يقول الشهرستانى : و(ووجدت كلمات وفصول للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة .. فنقلتها على الوجه الذى وجدت) (٦)

٧ ـ رسالة فرفوريوس الى ابانو .. يقول الشهرستانى : (قال فى رسالته الى ابانو وأما ما قذف به افلاطون عندكم ..) (٧).

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل تحقيق الاستاذ الوكيل ج ٢ ص ٢٦
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٦
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٢
(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ١٧٧
(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٣
(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ١٩٤
(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٥

٨ ـ ما حكاه فلوطرخيس .. يقول الشهرستاني : (وحكى فلوطرخيس .. أن هيرقليطس زعم ان الاشياء انما انتظمت) (١).

٩ ـ ما حكاه طيماوس وثاوفرسطس .. يقول : (وحكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطوطاليس وطيماوس وثاوفرسطيس أنه قال ..) (٢).

١٠ـ ما حكاه بقراط .. يقول الشهرستاني : (وحكى قعن بقراط قوله المعروف) (٣)

١١ـ كتاب الاسكندر الأفروديسي في النفس .. يقول الشهرستاني : (وقال في كتابه في النفس ان الصناعة تتقبل الطبيعة ..) (٤) .

١٢ـ شروح فورفريوس لارسطوطاليس .. يقول الشهرستاني : (وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس ايضا وانما يعتمد شرحه ..) (٥).

١٣ـ كتاب قدم العالم لبرقلس .. يقول الشهرستاني : (صنف برقلس المنتسب الى افلاطون في هذه المسألة كتابا أورد فيه ...) (٦)

١٤ـ كتاب زند أوستا لزرادشت .. حيث قال الشهرستاني : (ومما اخبر به زردشت في كتاب زند اوستا انه قال ..) (٧).

بالاضافة الى ذلك فقد قرأ مؤرخنا ايضا لأهل الهند ونقل من كتبهم وذلك حيث يقول : (ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة) (٨).

وغير هؤلاء كثيرون اخذ عنهم ابا الفتح الشهرستاني وأرخ لهم ذلك أن مـا

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل ج ٢ ص ١٥٥
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٦
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٩
(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٤
(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٥
(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٨
(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٤
(٨) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٥

ذكرناه يعتبر قليلا جدا بالنسبة للقدر الكبير الذى رجع اليه .. وان دل هذا على شئ فانما يدل على ان مؤرخنا مبتكرا ومبتدعا لمنهجه.

وفى كثير من المواقف وفى اكثر من موضع نجد هذه العبارات تسبق الروايات التاريخية .. فنجد مثلا (ويحكى عنه ايضا) (١) .. (وحكى جعفر بن حرب عنه انه قال) (٢) ، (قال كما نقل عنه) (٣) (وزعم قوم وزعم فلان) (٤) .. (وزعمت طائفة) (٥) .. (زعمت فرقة) (٦) (وقال بعضهم ومنهم من يقول) (٧) .. (وحكى عن قوم وحكى جماعة) (٨) (ثم منهم من يقول) (٩) .. (ونقل عنه ايضا) (١٠) .. (ونجد ايضا هذه العبارات .. ومما يقول) (١١) .. (ومما يؤثر عنه) (١٢) .

بجانب هذا نجد ان ابى الفتح الشهرستانى يعتمد على الرؤية والمشاهدة وتراث الشهرستانى يعتمد عليها فى كثير من المواضع .. ونجد ايضا الاخبار الشائعة التى تقترب من حد التواتر .. وان تراث مؤرخنا ملئ بعشرات من هذه المواضيع.

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل ج ١ ص ٦٨
(٢) المرجع السابق ـ نفس المكان
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٥
(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١١٢
(٥) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٠
(٦) المرجع السابق نفس المكان
(٧) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧
(٨) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٨
(٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٩
(١٠) المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٥
(١١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٣
(١٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٦

* الفصل الثالث *

* مدخل الشهرستاني في التأريخ للأديان والمذاهب *

ويدور هذا الفصل حول الحديث المأثور الذي أخذ به الشهرستاني وغيره في افتراق الامة ، مع بيان الشبهة الاولى وما نشأ عنها من الشبهات ،

* * * *

ان الحديث الذى أخذ به الشهرستانى وغيره فى افتراق الأمة قد حدث فيه اختلاف ولكننا نورد روايات هذا الحديث ليظهر لنا مدى قوته

فلقد جاء فى سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب افتراق الامم تحت رقم ٣٩٩١ أنه قال : " حدثنا أبوبكر بن أبى شيبه حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمر عن أبى سلمه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة " .

وذكر أيضا تحت رقم ٣٩٩٢ انه قال : " حدثنا عمر بن عثمان ابن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى حدثنا عباد بن يوسف حدثنا صفوان بن عمر عن راشد بن سعيد عن عوف بن مالك قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فاحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة ، والذى نفس محمد بيده لتفترقن امتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة واثنتان وسبعون فى النار .. قيل يارسول الله من هم .. قال : الجماعة .

وذكر ابن ماجه أنه قال ايضا فى الزوائد اسناد حديث عوف ابن مالك فيه مقال وراشد بن سعد قال فيه ابو حاتم صدوق وعباد ابن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجه وليس له عند سوى هذا الحديث ، قال ابن عدى روى احاديث تفرد بها وذكره ابن حبان فى الثقات وباقى رجال الاسناد ثقات .

وذكر أيضا تحت رقم ٣٩٩٣ أنه قال : حدثنا هشام ابن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو عمر حدثنا قتادة عن أنس بن مالك

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان امتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة : فى الزوائد اسناد صحيح ورجال ثقات (١).

وجاء ايضا فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد فى باب افتراق الأمم واتباع سنن من مضى انه قال : " عن انس بن مالك قال : ذكر رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم له نكاية فى العدو واجتهاد .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لا اعرف هذا .. قال : بل نعته كذا وكذا .. قال : ما أعرفه .. فبينما نحن كذلك اذ طلع الرجل فقال هو هذا يا رسول الله .. قال : ما كنت أعرف هذا .. هذا أول قرن رأيته فى امتى .. ان فيه لسفعة(٢) من الشيطان فلما دنا الرجل سلم فرد عليه السلام فقال له رسول الله : انشدك هل حدثت نفسك حين طلعت علينا ، ان ليس فى القوم احد افضل منك .. قال اللهم نعم .. قال فدخل المسجد .. فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر قم فاقتله فدخل أبو بكر فوجده قائم يصلى فقال أبو بكر فى نفسه .. ان للصلاة حرمة وحقا ، ولو أنى استأمرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء اليه فقال له النبى .. قتلته .. قال لا ، رأيته قائم يصلى ورأيت للصلاة حرمة وحقا .. وان شئت أن اقتله قتلته .. قال : لست بصاحبه .. اذهب أنت يا عمر فاقتله .. فدخل عمر المسجد فاذا هو ساجد فانتظره طويلا ثم قال عمر فى نفسه .. ان للسجود حقا .. ولو انى استأمرت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد استأمره من هو خير منى .. فجاء الى النبى فقال : اقتلته .. قال : لا رأيته ساجد ورأيت للسجود حقا وان شئت ان اقتله قتلته فقال رسول الله

---

(١) سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ج ٢ ص ١٣٢١ ، ص ١٣٢٢ طبعة عيسى الحلبى

(٢) أى ضربة من الشيطان

صلى الله عليه وسلم : لست بصاحبه .. قم يا على انت صاحبه .. ان وجدته ، فدخل فوجده قد خرج من المسجد .. فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال : اقتلته .. قال : لا .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لو قتل ما اختلف رجلان من امتى حتى يخرج الدجال .. ثم حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامم فقال : " تفرقت امة موسى على احدى وسبعين ملة سبعون فى النار وواحدة فى الجنة وتفرقت امة عيسى على اثنتين وسبعين ملة .. احدى وسبعين منها فى النار وواحدة منها فى الجنة .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تعلو امتى على الفرقتين جميعا بملة اثنتان وسبعون وواحدة فى الجنة قال : من هم يا رسول الله قال : الجماعات .

قال يعقوب بن زيد .. وكان على بن أبى طالب اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قرآنا حيث قال : " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " (١) .. ثم ذكر امة عيسى فقال : " ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات نعيم " (٢) .. ثم ذكر امتنا فقال : " وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون " (٣) .

رواه أبو يعلى وفيه أبو معشر وفيه ضعف .. وعن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تفرقت بنوا اسرائيل على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وامتى تزيد عليهم فرقة كلهم فى النار الا السواد الاعظم .

---

(١) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٥٩
(٢) سورة المائدة ـ آية رقم ٦٥
(٣) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٨١

رواه الطبراني في الاوسط والكبير بنحوه .. وفيه ابوغالب بسن
معون وغيره .. ولقبه رجال الاوسط ثقات وكذلك احد اسنادي الكبير .

وعن سعد يعني بن ابي وقاص قال .. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين ملة ولم تذهب الليالي
والايام حتى تفترق امتي على مثلها .. رواه البزار وفيه موسى بن
عبيدة الزبيري وهو ضعيف (١).

وجاء في سنن أبي داود كتاب السنة باب شرح السنة أنه قال :
حدثنا وهب بن تقيه عن خالد عن محمد بن عمر عن أبي سلمه عن
أبي هريرة أنه قال .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود
على احدى أوثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى اوسنتين
وسبعين فرقة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة .. وجاء ايضا
أنه قال : " حدثنا احمد بن حنبل ومحمد بن يحيى قال .. حدثنا
أبوالمغيرة حدثنا صفوان وحدثنا عمر بن عثمان حدثنا تقية قال ..
حدثني صفوان قال .. قال حدثني ازهري بن عبد الله الحرازي عن ابي
عامر الهوزني عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال : ألا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : ألا ان من قبلكم من
أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة .. وان هذه الملة ستفترق
على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة(٢)

وجاء في مسند الامام احمد بن حنبل انه قال حدثنا عبد الله
حدثنا أبي محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمر وحدثنا أبوسلمه عن

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٧ ص ٢٥٨ و ٢٥٩
(٢) سنن أبي داود تعليق الشيخ احمد سعد علي ج ٢ ص ٥٠٤ ط ١ ـ ١٣٧١
ـ ١٩٥١م طبعة عيسى الحلبي .

أبـى هريرة رضى الله عنـه قال : دخـل اعرابـى على رسول الله صلى اللـه عليـه وسلـم فقال رسول الله : هل اخذتك أم ملـدم قـط قال : ومـا أم ملـدم .. قال : حريكـون بين الجلـد واللحـم .. قال .. ما وجـدت هذا قـط .. قال : فهل أخذك هذا الصداع قـط .. قال وما هـذا الصداع قال : عرق يضرب على الانسان فى رأسـه .. قال : فما وجدت هذا قـط فلمـا ولـى قال : من أحـب ان ينظـر الى رجـل من أهـل النار فلينظر الـى هذا .. وباسناده عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلـم : " افترقت اليهـود علـى احـدى اواثنتين وسبعين فرقـة وتفـترق امـتى علـى ثـلاث وسبعين فرقـة (١).

بالاضافـة الى ذلك فلقـد جاء فى تلبيـس ابليس قال صاحبـه :
" اخبرنا عبد الملك الكروخـى اخبرنا ابوعامر الاذدى وأبو بكـر النورجـى قالا .. اخبرنا الحراجـى حدثنـا المحبوبـى حدثنـا الترمـذى حدثنـا الحسين بـن جريـس حدثنـا الفضل بن موسـى عن محمـد بن عمـر عن أبـى سلمـة عن ابى هريرة رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تفرقـت اليهـود علـى احـدى وسبعين فرقـة أو سنتين وسبعين فرقـة والنصـارى مثـل ذلك وتفترق امـتى علـى ثـلاث وسبعين فرقـة كلهم فـى النار الا واحـدة قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال ما انا عليـه واصحابـى قال الترمـذى هذا حديث صحيح (٢).

اخبرنا ابن الحسين اخبرنا ابن المذهـب اخبرنا احمـد بن جعفـر اخبرنا عبد الملك بن احمـد قال : حـدثنى أبى حدثنا حسن بن لهيعـة

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٣٢ ـ المكتب الاسلامى للطباعة والنشر دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ .
(٢) ابن الجوزى تلبيس ابليس ص ١٨ ادارة الطباعة المحمدية بالمنيـرة

حدثنا خالد بن زيد عن سعيد بن هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان بني اسرائيل تفرقت على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة يهلك احدى وسبعون فرقة قالوا يارسول الله ما تلك الفرقة ؟ قال : الجماعة (١).

وجاء في الفرق بين الفرق للبغدادي أنه روى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ان بني اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة (٢).

وقال ايضا صاحب الفرق بين الفرق : للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي أمامة وواثلة بن الاسقع وغيرهم .. وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الامة بعدهم فرقا . وذكروا ان الفرقة الناجية فرقة واحدة وسائرها على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة .

وانا نجد ان صاحب الفرق بين الفرق يتخذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم بنجاة فرقة واحدة سندا لأن تكون الفرقة المقصودة هي فرقة أهل السنة والجماعة .

---

(١) ابن الجوزي تلبيس ابليس ص ١٨
(٢) عبد القادر بن طاهر البغدادي ـ الفرق بين الفرق ص ٧

وعلى ذلك فهو لم يرد بالفرق المذمومة التى هى من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا فى فروع الفقه مع اتفاقهم فى اصول الدين ذلك ان المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين :

أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع وفرق الفقه كلها عندهم صيبون .

الثانى : قول من يرى فى كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطىء فيه (١) .

وعلى ذلك فاختلافات الفقهاء لا تكشف عن اختلاف عقائدى يضر بالدين بل هى نتيجة الاجتهادات فى الآراء ، ولكل وجهة نظره فى التحليل والتحريم والتحسين والتقبيح وذلك على حسب تفسير معين وقاعدة معينة وفهم خاص للفكرة التى يعبر عنها . وان هذا الاجتهاد لا يؤدى الى الاضلال والتضليل والبعد عن الدين .

واذا نظرنا مع البغدادى والشهرستانى للبحث عن الفرق المذمومة وذلك بموجب حديث افتراق الامة الذى اخذوا به فى الافتراق لوجدنا ان البغدادى والشهرستانى يقصدون بفرق الاهواء الضالة هم ..

" الذين خالفوا الفرقة الناجية فى أبواب ، العدل ، التوحيد ، اوفى الوعد والوعيد ، أو فى القدر والاستطاعة ، اوفى تقدير الخير والشر ، اوفى باب الهداية والضلال ، اوفى باب الارادة والمشيئة اوفى باب الرؤية والادراك ، اوفى باب صفات الله عز وجل وأسمائه واوصافه ، أوفى باب من أبواب التعجيز والتجويز ، اوفى باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التى اتفق عليها اهل السنة والجماعة من

---

(١) البغدادى ـ الفرق بين الفرق ص ٩ ، ١٠

فريقى الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى مجراهم من فرق الضلال . فان المختلفين فى العدل والتوحيد والقدر والاستطاعة وفى الرؤية والصفات والتعديل والتجويز وفى شروط النبوة والامامة يكفر بعضهم بعضا فصح تأويل الحديث المروى فى افتراق الامة ثلاث وسبعين فرقة الى هذا النوع من الاختلاف دون الانواع التى اختلف فيها أئمة الفقه من فروع الاحكام فى أبواب الحلال والحرام وليس فيها بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من احكام الفروع (١)

كذلك نجد من المثبتين للحديث والاخذين به قديما (ابى المظفر الاسفراينى .. صاحب التبصير فى الدين) المتوفى سنة ٤٧١ هـ وعضد الدين الايجى .. صاحب المواقف والعقائد العضدية . المتوفى سنة ٧٥٦ هـ .

وكان ذلك بالنسبة للقدامى من العلماء اما من المحدثين فانا نجد أن من المفكرين الاسلاميين فى العصر الحديث من لهم رأى بصحة اسناد الحديث ومن هؤلاء الشيخ محى الدين عبد الحميد وهو محقق لكثير من كتب الفرق .. ومن بين هؤلاء الكتب كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى وهو يرى ان الاختلاف المقصود بهذا الحديث هو الاختلاف فى اصول العقيدة فان هذا وحده هو الذى يكون سببا فى النجاة ان وافق ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .. ثم ان اختلاف الامة فى اصول العقيدة قد حدث فعلا بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى وان الناجى من هؤلاء المختلفين فرقة واحدة هى المستمسكة بكل ما كان

---

(١) البغدادى ـ الفرق بين الفرق ص ١١

عليه الرسول وأصحابه وما عدا هذه الفرقة فى ضلال وتبتير (١).

وإذا كان البغدادى والشهرستانى ومن رأى رأيهم بشأن هذا الحديث وصحة اسناده ، فان هناك من المفكرين من كان يرى ان هذا الحديث فيه ضعفا ولا يجوز الاستدلال به .. ومن هؤلاء المفكرين قديما (ابن حزم الاندلسى صاحب الفصل فى الملل والنحل المتوفى سنة ٤٥٦ هـ حيث قال فى معرض حديثه عن الكلام فيمن يكفر ولا يكفر قال ابو محمد " ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة حاشى واحدة فهى فى الجنة قال : هذا حديث لا يصح أصلا من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به (٢).

وحديثا استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود الذى اشار فى كتابه التفكير الفلسفى فى الاسلام ان الشهرستانى تقيد بهذا الحديث ولم يتقيد به ابن حزم ، ثم ذكر ان هذا الحديث لم يرو فى واحد من الصحيحين البخارى ومسلم ، ولكنه عاد يقول : حقيقة انه قد رواه أبو داود والترمذى والحاكم وابن حبان صححوه عن ابى هريرة وكان لفظه عندهم افترقت اليهود على احدى او اثنتين وسبعين فرقة والنصارى كذلك وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : ما انا عليه واصحابى .

وعاد يقول مرة اخرى ان ما يدعو الى الارتياح ويثلج الصدور ان .. الشعرانى فى ميزانه قد روى من حديث ابن النجار وصححه الحاكم بلفظ غريب

---

(١) هامش الفرق بين الفرق للمحقق ص ٨

(٢) ابن حزم الاندلسى - الفصل فى الملل والنحل ج ٣ ص ٢٤٨ طبعة بيروت.

وهو " ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا واحدة
وفى رواية عن الديلمى " الهالك منها واحدة " .

وفى هامش الميزان عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ تفترق
" تفترق امتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا الزنادقة .

ويقول : وما فى هامش الميزان هذا مذكور فى تخريج مسند الفردوس
للحافظ بن حجر ولفظه " تفترق على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة
الا واحدة وهى الزنادقة " اسنده عن أنس (١).

وهكذا يرى ان هذا الحديث ضعيف ولا يصح الاستدلال به .

وهناك فريقا آخر لم يتعرض لهذا الحديث اثباتا ولا نفيا ومن هؤلاء
الامام ابو الحسن الاشعرى صاحب مقالات الاسلاميين المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .

وعلى ذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع لنا الميزان الصحيح
الذى تعرض عليه المعتقدات ليظهر صحيحها من باطلها ، فان خالف
ما كان عليه الرسول وأصحابه فهو رد على صاحبه غير مقبول منه ،. .. وذلك
يقتضى ألا نأبه لما تزعمه كل فرقة لنفسها من أنها هى الناجية ومن عداها
هالك .. فما من فرقة من الفرق حتى الذين ألهوا البشر الا وان تتبجح
بأنها على الحق وان ما عداها باطل ، ولكن فيصل التفرقة بين الحق
والباطل هو الدستور الذى أنزله الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
صح من قول الرسول وأصحابه فان وافقها فهو على الحق الذى يجب ان نعض
عليه بالنواجز ولا نفارقه او نحيد عنه .

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٩٨ — ١٠١

* الشبهة الاولى وما نشأ عنها من شبهات *

فى المقدمة الثانية من المقدمات العامة التى ذكرها الشهرستانى يبين فيها اول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها فى الاول ومن مظهرها فى الآخر .

ذلك ان ابليس اللعين هو سبب كل تفرقة وبعد عن الدين ، والاقتراب من البدع والضلال .. وقد قال الله تعالى : " قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين " (١).

جاء فى تفسير ابن كثير ان الله تبارك وتعالى اجابه الى ما سأل لما له فى ذلك من الحكمة والارادة والمشيئة التى لا تخالف ولا تمانع ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (٢).

وجاء ايضا فى تفسير قوله تعالى : " قال فبما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين (٣).

يخبرنا الله تعالى انه لما انذر ابليس " الى يوم يبعثون " واستوثق ابليس بذلك أخذ فى المعاندة والتمرد فقال : " فبما اغويتنى لاقعدن لهم طرا طك المستقيم " اى كما اغويتنى .. قال ابن عباس اى كما اضللتنى وقال غيره كما اهلكتنى لاقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذى أبعدنى بسببه على " صراطك المستقيم " اى طريق الحق وسبيل النجاة

---

(١) سورة الاعراف - آية رقم ١٤ ، ١٥

(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٤

(٣) سورة الاعراف - آية رقم ١٦ ، ١٧

ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب اضلالك اياى ، ولقد روى عن الامام احمد انه قال : حدثنا هاشم ابن القاسم حدثنا ابو عقيل عبد الله بن عقيل حدثنا موسى بن المسيب اخبرنى سالم بن ابى الجعد عن سبرة ابن الفاكهة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه وفى رواية بأطرقة " فقعد له بطريق الاسلام فقال : اتسلم وتذر دينك ودين ابائك قال : فعصاه واسلم قال : وقعد له بطريق الهجرة .. فقال : اتهاجر وتدع ارضك وسماءك ، وانما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال .. فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة .. ويقسم المال قال : فعصاه وجاهد (١).

وقوله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم " يشككهم فى آخرتهم "ومن خلفهم" ارغبهم فى دنياهم " وعن ايمانهم " اشبه عليهم امر دينهم " وعن شمائلهم "أشهى لهم المعاصى (٢).

وجاء فى صحيح مسلم عن عياد بن حمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : " انى خلقت عبادى كلهم حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم .

ومن هنا بدأ اللعين ينفث سمومه ويبث شبهاته حتى صارت مذاهب بدعة وضلال ذلك أن اول حادثة وقعت فى الخليقة وما تفرع عنها من شبهات هى شبهة ابليس اللعين .. ويبين الشهرستانى سببها بقوله : (.. استبداده بالرأى فى مقابلة النص واختياره الهوى فى معارضة الامر واستكباره

---

(١) سنن النسائى كتاب الجهاد باب ثواب السرية التى تخفق ج ٦ ص ١٩ طبعة عيسى الحلبى .

(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤ .

بالمادة التى خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات و ثارت فى الخليقة وسرت فى اذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال " (١).

يقول الشهرستانى : " قال كما نقل عنه انى سلمت ان البارى تعالى الهى واله الخلق ، عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته وانه مهما اراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا انه يتوجه على مساق حكمته أسئلة ، قالت الملائكة ما هى ؟ وكم هى ؟ قال لعنه الله .. هى سبعة .

الشبهة الاولى : ان الله تعالى قد علم قبل خلقى أى شئ يصدر عنى ويحصل منى فلم خلقنى أولا ؟ وما هى الحكمة فى خلقه اياى ؟

الشبهة الثانية : اذا كان الله تعالى قد خلقنى على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة فى هذا التكليف ؟ بعد ان لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية ؟

الشبهة الثالثة : اذا كان الله تعالى خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة ، فعرفت وأطعت فلم كلفنى بطاعة آدم والسجود له ؟ وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى اياه ؟

الشبهة الرابعة : اذا خلقنى وكلفنى على الاطلاق وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم أسجد لآدم ، فلم لعننى واخرجنى من الجنة ؟ وما الحكمة فى ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحا الا قولى لا أسجد الا لك .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٤

الشبهة الخامسة : اذ خلقني وكلفني مطلقا وخصوصا فلم أطع فلعنني وطردني .. فلم طرقني اى جعل لى طريقا الى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستى .. فأكل من الشجرة المنهى عنها وأخرجه من الجنة معى ؟ وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو منعنى من دخول الجنة لاستراح منى آدم وبقى خالدا فيها ؟

الشبهة السادسة : اذا كان الله خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ولعننى ثم طرقنى الى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين آدم .. فلم سلطنى على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروننى وتؤثر فيهم وسوستى .. ولا يؤثر فى حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم .. وما الحكمة فى ذلك ؟ بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم " أى يحولهم ويصرفهم عنها " فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين .

الشبهة السابعة : سلمت هذا كله .. خلقنى وكلفنى مطلقا ومقيدا واذا لم أطع لعننى وطردنى .. واذا اردت دخول الجنة مكننى وطرقنى .. واذا عملت عملى اخرجنى .. ثم سلطنى على بنى آدم .. فلم اذ لنا استمهلته (اى سألته المهلة) أمهلنى .. فقلت : " انظرنى الى يوم يبعثون "(١) ، قال : " فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم "(٢) .

وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو اهلكنى فى الحال ، استراح آدم والخلق منى وما بقى شر فى العالم (٣) .

وهكذا يرى الشهرستانى ان كل شبهة وقعت لبنى آدم فان مصدرها الشيطان الرجيم .. يقول الشهرستانى : (من المعلوم الذى لا مرية فيه

(١) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٤
(٢) سورة الحجر ـ آية رقم ٣٧ ، ٣٨
(٣) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٥

أن كل شبهة وقعت لبنى آدم فانما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه ونشأت من شبهاته ، فاذا كانت الشبهات محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات الى سبع ولا يجوز ان تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات ، وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور لها وترجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى فى مقابلة النص) (١)

ذلك ان اللعين الاول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق او حكم الخلق فى الخالق والاول غلو والثانى تقصير .

وعلى هذا ثار من الشبهة الاولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا فى حق شخص من الاشخاص حتى وصفوه بأوصاف الاله .. وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم أعور بأى عينيه شاء (٢).

وهكذا نرى ان هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الاول وتلك فى الاول مصدرها وهذه فى الاخر مظهرها واليه اشار التنزيل فى قوله تعالى : " ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " (٣).

وقال عليه السلام : " لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " (٤).

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٦
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٨
(٣) سورة البقرة ـ آية رقم ١٦٨
(٤) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ ـ كتاب الفتن باب افتراق الامم .

وهكذا يرى الشهرستانى ان الشبهات التى وقعت فى اول الزمان هى نفسها الشبهات التى وقعت آخر الزمان .. ويشير الشهرستانى الى ذلك ويرى ان زمان كل نبى ودور صاحب كل ملة وشريعة فقال : (ان شبهات امته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والملحدين واكثرها من المنافقين ، وان خفى علينا ذلك فى الامم السالفة لتمادى الزمان ، فلم يخف فى هذه الامة ان شبهاتها كلها من شبهات منافقى زمن النبى صلى الله عليه وسلم اذ لم يرضو بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه (١).

وعلى ما يبدو لنا يرى الشهرستانى ان الشبهات التى وقعت فى الاسلام كان مصدرها اللعين الاول واتخذها الكفار والمنافقون الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم محبوا للتفكير فيما لا يجوز التفكير فيه والجدال فيما لا يجوز الجدال فيه .

والدليل على ذلك حديث ذو الخويصلة التميمى .. اذ قال اعدل يا محمد .. فانك لم تعدل حتى قال عليه السلام : ان لم اعدل فمن يعدل ؟ فعاود اللعين وقال : هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى .. وهذا خروج صريح على النبى صلى الله عليه وسلم حتى قال عليه الصلاة والسلام : " سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " (٢).

من هنا اثير كثير من الاختلافات التى كانت محل الجدال والنزاع والكلام منها :

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٩

(٢) صحيح مسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ج ٢ ص ٧٤٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

القول برجعة النبى صلى الله عليه وسلم .. والخلاف فى موضع دفنه وأمر فدك .. وقتال مانعى الزكاة ، وكتابة السنة ، وأمر الشورى والاختلاف حول الاصول من مسائل القدر والخير والشر مما كان سببا لظهور فرق القدرية والمرجئة وغير ذلك من الفرق (١).

ولكن الشهرستانى يرى ان للعقل حدودا يجب ان لا يحيد عنها فى تفكيره وجداله ، ولكن هؤلاء ساروا وراء تفكيرهم واستبدوا بعقولهم وآرائهم آخذين ما اثاره اللعين الأول ثم اتخذه الكفار والمنافقين والملاحدة ذريعة لهم ولآرائهم وذلك على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

على هذه الطريقة اقام الشهرستانى القسم الثانى فى الفكر البشرى وسماه اهل النحل والأهواء وذلك مقابل القسم الاول وهو اهل الديانات والملل .. حيث قال : (ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والى اهل الاهواء (٢).

ونرى ان الشهرستانى جعل المصدر الاساس لهذا القسم الذى هو أهل النحل والأهواء هو شبهات اللعين الاول ومنافقى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مقابل مشكاة النبوة كمصدر لافكار الاديان والملل .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ٢١ ، ٢٢

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٦

* الفصـــل الرابـــــع *

* أســاس التقسيم لتاريخ الأديان والمذاهــب *

يدور هذا الفصل حول التقسيم الذى ذكـره الشهرستانـــى ، وهو التقسيم الجغرافـى ، والتقسيم المرقـى ثم التقســـم العقـدى الذى انفرد بـه الشهرستانى .. ثم الاشارة الــى قواعـد انقسام الفرق الاسلامية مع بيان المقدمة الخامسـة وآراء العلماء فيهـا .

* * * *

* أساس التقسيم لتاريخ الأديان والمذاهب *

فى المقدمة الاولى من المقدمات العامة التى ذكرها الشهرستانى تقسيما لأهل العالم وذلك لكى يصل الى اساس التقسيم لتاريخ الأديان والمذاهب وهو ما انفرد به فذكر لنا التقسيمات الاتية :

أولا : التقسيم الجغرافى :

لقد ذكر الشهرستانى فى نفس المقدمة السابقة تقسيما جغرافيا لأهل العالم حيث ان شكل الارض كروى وانها محفوفة بعنصر الماء من البحار والمحيطات والانهار الكبيرة والصحاريات وغير ذلك .

ووراء كل هذا العمران الجغرافى فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانه فقال فى ذلك : (من الناس من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة واعطى أهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التى تدل عليها الالوان والالسن (١) ذلك ان المحدثين عن هذا المعمور وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال وذلك مثل بطليموس فى كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده ، قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها بالاقاليم السبعة يحدونها بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية فى العرض مختلفة فى الطول ، فالاقليم الاول اطول مما بعده ، وهكذا الثانى الى آخره .. فيكون الاقليم السابع اقصر وذلك لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة (٢) .

وجاء فى مقدمة ابن خلدون أيضا ان الحكماء : " قسموا هذا المعمور

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٠
(٢) ابن خلدون ـ المقدمة ص ٤٢ طبعة دار الشعب .

على سبعة اقسام من الشمال الى الجنوب يسمون كل قسم منها اقليما ٠٠ فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة أقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب الى الشرق على طوله (١).

ثم ان هذه الكرة الأرضية يقسمها خط الاستواء شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فهى بذلك تنقسم الى الاقطار الاربعة وذلك كما قال الشهرستانى حيث قال : (ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التى هى الشرق والغرب والشمال والجنوب ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع) (٢)

وان ازمنة الليل والنهار تتفاوت فى هذه الاقاليم وهذه بدورها تؤثر على اختلاف الطبائع البشرية وهذا بمؤداه يؤثر ايضا على تباين الشرائع واختلافها وتعدد انواعها ٠

ثانيا : التقسيم العرقى :

بجانب هذا التقسيم السابق الذى ذكره الشهرستانى قدم لنا تقسيما آخر يقوم على أساس عرقى ٠٠ حيث يرى أن امة العرب والهنود من جهة ان فكرهم وطبيعتهم تتجه الى معرفة خواص الاشياء ٠ وأن أمة الروم والعجم يتقاربان ايضا من ناحية انهم يتجهون الى معرفة الطبائع والحكم بأحكام الكيفيات ٠

فالغالب على الامتين الاوليين الفطرة والطبع والغالب على الامتين الاخريين الاكتساب والجهد وذلك حيث قال : (كبار الامم اربع العرب والعجم والروم والهند) ثم زاوج بين امة وامة ، فذكر ان العرب

(١) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص ٤٨
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٠

والهند يتقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية ، والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية " (١).

ولكن الجاحظ يرى فى المقارنة بين العرب وغيرهم وذلك حيث يقول : " ان الهند لهم معالم مدونة وكتب مجلدة لا تضاف الى رجل معروف ولا الى عالم موصوف وانما هى كتب متوارثة ، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة ، وليونان فلسفة خاصة ومنطق وفى الفرس خطباء الا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فانما هو على طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال .. وكأنه الهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة وانما هو ان يصرف همه الى الكلام فتأتيه المعانى ارسالا " (٢).

وعلى ما يبدو للباحث ان كل امة من هذه الامم فيها ميزاتها وعيوبها وكل واحد منها لها مؤشراتها فى عقليتها وآدابها وتاريخها .

ثالثا : التقسيم المقدى :

بالاضافة الى القسمين السابقين هناك تقسيم من نوع آخر يقوم على اساس غير الذى ذكر ، وهذا التقسيم لاهل العالم ابدع واحسن التقسيمات التى ذكرت حيث انه يقوم على قاعدة مذهبية ومنهجية فى نفس الوقت .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٠
(٢) الاستاذ احمد امين ـ فجر الاسلام ص ٣١ نقلا من البيان والتبيين ج ٣ ص ١٥

فنجد أن مؤرخنا قد قسم أهل العالم وذلك بحسب الآراء والمذاهب حيث قال : (وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل) (١)

وهذا هو ما قصد اليه أبى الفتح الشهرستانى من هذه المقدمة من كتابه فى الملل والنحل حيث ذهب فى تقسيمه لأهل العالم الى قسمين :

١ ـ أهل الديانات والملل : وهم أصحاب الديانات المنزلة وغير المنزلة ٠

٢ ـ أهل الاهواء والنحل وهم أهل الاتجاهات العقلية والمذاهب الفكرية ٠

ويحصل مؤرخنا أرباب الديانات فى أربع : المجوس ، اليهود النصارى والمسلمون ٠

ويرى أن اهل الأهواء والآراء خمسة : الفلاسفة ، الدهرية ، الصابئة البراهمة ، عبدة الكواكب والاوثان ٠

ويشير الشهرستانى الى أن القسمين السابقين لأهل العالم انما يفترق كل قسم منها الى عدة فرق ، ولكن الفارق بينهم ان أهل الاهواء والنحل لا تنضبط ولا تنحصر مقالتهم فى عدد محدود معلوم ٠

ولكن أهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم وذلك بحكم الخبر الوارد فيها ٠٠ يقول الشهرستانى : (افترقت المجوس على سبعين فرقة ، ٠٠ والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة ، والناجية أبدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة) (٢) .

وعلى ما يبدو للباحث ان الشهرستانى اعتمد فى منهجه على تقسيم فرق اهل الديانات والملل وذلك على ما اشتهر من خبر الانقسام على نحو ما

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٠

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١١

جاء في مضمون الحديث النبوي .

ولكنه بجانب هذا يشير الى الدليل العقلي الذى يقوى رأى الشهرستاني في تقسيمه لفرق اهل الديانات اذ يقول : (اذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحدا فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة) (١)

ذلك أن من قضايا المنطق التى تتعلق بالاستدلال ، في انه لا يجوز أن تكون قضيتان متناقضتان ومتقابلتان الا وان تقتسما الصدق والكذب بمعنى أنهما لا يصدقان معا ولا يكذبان ، وكأن الحق والصدق لابد وان يكونا في احدى القضيتين دون الاخرى ، واذا كان هذا ضروريا بالنسبة لقضيتين متناقضتين فانه واولى بالنسبة لاكثر من قضيتين .. وعلى ذلك فانه لا يمكن أن يصدق الا مذهب واحد او فرقة واحدة من سائر الفرق التى تتفرع وتتفرق حول مسألة ما من المسائل .. وهذه الفرقة هى ما يقال عنها انها الناجية دون الاخريات .

وهذا هو ما أشار اليه الشهرستاني بقوله وانما عرفنا هذا بالمسموع وعنه أخبر التنزيل في قوله تعالى : " وممن خلقنا أمة يهدون الى بالحق وبه يعدلون) (٢) .

ثم يعود الشهرستاني ويقسم اهل العالم قسمة أخرى من ناحية أخرى وذلك من حيث الافادة والاستفادة ، ذلك ان طبيعة كل امة من الامم تختلف عن الاخرى من حيث المشورة او الاستبداد بالرأى ومن حيث التسامح والتعصب وذلك حيث قال الشهرستاني : (ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا .. ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١١
(٢) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٨١

الى أهل الديانات والى أهل الأهواء ، فان الانسان اذا اعتقد عقدا او قال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره واما ان يكون مستبدا برأيه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع ، والدين هو الطاعة والمسلم المطيع هو المتدين ، والمستبد برأيه محدث مبتدع) (١).

وعلى ما يبدو لنا أن الشهرستانى قد قسم الجميع الى أهل الديانات والى أهل الأهواء وكأنهما متقابلات دائرة بين اثبات الدين ونفيه فى الفكر البشرى كله .. وهو منهج وطريقة الشهرستانى فى تقسيمه لأهل العالم ومذاهبهم .

ثم نجده اى الشهرستانى يفرق بين نوعين من هذا التقسيم :

أولا : المستبدون بالرأى مطلقا " وهم المنكرين للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهؤلاء لا يقولون بشرائع واحكام أمرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكن التعايش عليها " (٢).
ولعل الشهرستانى يقصد بهؤلاء الذين يستغنون عن الدين والشرائع ولكنهم يحكمون العقل فى كل شىء لديهم .

ثانيا : المستفيدون .. وهم القائلون بالنبوات ، ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس .

ومن هنا نرى أن الشهرستانى قد ربط بين العقل والشرع وترتب الاول على الثانى وذلك لأن المعقولات نتيجة طبيعية للاحكام الشرعية وان دل هذا على شىء فانما يدل على مدى قوة عقلية الشهرستانى المنهجية.

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١١
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٧

كذلك قسم الشهرستانى اهل العالم الى من يقول بالشرائع والأديان والى من يقول برأيه وهواه وذلك على أساس من المحسوس والمعقول والأديان وشرائعهما ، فنجد ان الشهرستانى قد قسمهم الى ما يأتى :

١ ـ من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهؤلاء هم : السوفسطائية
٢ ـ ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم : الطبيعية .
٣ ـ ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم : الفلاسفة الدهرية .
٤ ـ ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم : الصابئة .
٥ ـ ومنهم من يقول بهذه كلها وشريعة ما واسلام ولا يقول بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المجوس واليهود والنصارى .
٦ ـ ومنهم من يقول بهذه كلها وهم : المسلمون (١) .

وبالرغم من هذا التقسيم نجد ان الشهرستانى يبين هذه الانواع وذلك حسب مبادئ فكرية وقضايا عقلية ، فنجده انه حدد للفرق الاسلامية مبادئ عرض عليها اساس الفرق وبين أيضا للفرق التى اعتمدت على الرأى واستبداده مبادئ عرض عليها فرقهما ومذاهبهما وذلك حيث قال : " من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى والمسلمين .. وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ، وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الفلاسفة الاولى ، والدهرية ، وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة .. نذكر اربابها وأصحابها " (٢) .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ تحقيق الاستاذ الوكيل جـ ٢ ص ٦٣
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٦

وهكذا نجد ان الشهرستانى قد قسم أهل العالم من حيث الأديان والمذاهب الى .. أديان وملل ، والى نحل وأهواء .. وذلك حسب مبادئ دينية ومذاهب فكرية فى الفكر البشرى كله ، وكان هذا التقسيم يقوم على اثبات الدين ونفيه وهو منهج وطريقة الشهرستانى .

* * *

* المقدمة الخامسة *

في هذه المقدمة من المقدمات العامة التي ذكرها أبو الفتح الشهرستاني أشار فيها الى فكرة طريفة ، وهي أنه ليس على المتخصص أن يقضي في غير تخصصه ، ولما كان غرضه من وضع كتابه في الملل والنحل (حصر المذاهب مع الاختصار) وذلك هو مبنى الحساب .. من هنا اراد الشهرستاني أن يؤرخ للملل والنحل والمذاهب ويحصر عدد هذه الفرق كما أشار الى ذلك حيث قال : (اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا وقدرت أغراض على مناهجه تقسيما وتبويبا) (١).

وعلى ما يبدو لنا أن الشهرستاني أراد أن يحصر عدد الفرق مستوفيا كل أنواعها ومذاهبها وكأن الوسيلة الى تحقيق هدفه في ذلك هو علم الحساب لوجود وجه الشبه بين ما يريد ان يصل اليه وبين ما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي أخذ به الشهرستاني وغيره في عد الفرق الاسلامية وغيرها حيث قال : (افترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة) .

ولعل الشهرستاني اراد خوض غمار هذا العلم وذلك لكي يحقق بهذا حصر الفرق والمذاهب ويوفق بين ما يقصد اليه وبين ما جاء في الحديث النبوي الشريف .

ولعل مما يشير الى ذلك قوله في هذه المقدمة : (ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا ، حتى يعرف لما وضع ذلك اللفظ لذلك

---

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ج ١ ص ٣٢

الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم اصنافها مذهبا واعتقادا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن أصحابه ونستوفى أقسام الفرق الاسلامية ثلاثا وسبعين فرقة ونقتصر فى اقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنفية على ما هو أشهر وأعرف أصلا وقاعدة فنقدم ما هو أولى بالتقديم ونؤخر ما هو أجدر بالتأخير) (١).

من هنا يصر أبو الفتح الشهرستانى على أنه رياضى بجانب كونه متكلما وفقيها .. ويبين ذلك بقوله : (وأردت أن ابين طرق هذا العلم وكمية أقسامه لئلا يظن بى أنى من حيث أنا فقيه ومتكلم اجنبى النظر فى مسالكه ومراسمه اعجمى القلم بمداركه ومعالمه فآثرت من طرق الحساب احسنها وأحكمها (٢)).

وعلى ضوء ذلك استطاع الشهرستانى ان يقسم أهل العالم من حيث المذاهب الى أهل الديانات والملل وأهل الاهواء والنحل اما ما جاء فى هذه المقدمة بالنسبة لخصوصيات الحساب من حيث ان مراتب الحساب تبتدئ من واحد وتنتهى الى سبع ، ومن حيث صدره وشكله ، المحقق منه والمطموس والممج وكيفية صوره نقشا وكمية ابوابه ، ولم انحصرت الاقسام فى سبع .. ولم صار العدد الاول فردا لا زوج له فى الصورة ، ولم انحصر الاصل منها فى قسمين واختلاف العلماء فى علم العدد والحساب واختلافهم فى الواحد أهو من العدد ام ليس داخلا فيه فان ذلك متروك لأهل الرياضيات.

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل ج ١ ص ٣٥
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٢

* آراء العلماء المتخصصين فى هذه المقدمة *

١ ـ رأى هاربركر الالمانى :

هاربركر عالم المانى ترجم كتاب الملل والنحل الى اللغة الالمانية عام ١٨٥٠م وأتم طبع هذا الكتاب .. يقول استاذنا المرحوم الدكتور بدران عن رأى هاربركر فى هذه المقدمة : " ولقد ظننته فهم شيئا من تلك المقدمة ولكنه لم يستطع ذلك رغم اتصاله بالكثير من المستشرقين والشرقيين فى زمنه مما اضطره الى اسقاط تلك المقدمة من صلب الكتاب متنا وشرحا وان اثبتها فى الملاحظات " (١) .

٢ ـ رأى كيورتن :

كيورتن عالم انجليزى حقق كتاب الملل والنحل عام ١٨٤٢م وأحد أعضاء جمعية نشر النصوص الشرقية وأمين قسم المخطوطات بالمتحف البريطانى بلندن .. يقول الدكتور بدران عنه : " فوجدته قد اظهر عجزه عن فهم محتويات المقدمة " (٢)

٣ ـ رأى الدكتور احمد زكى بك :

يرى ان ما ذكر فى هذه المقدمة لا يقصد منها الا التعمية والاعجاز وذلك كما يفعل كتاب الكيمياء فى هاتيك العصور وهو مدير عام مصلحة الكيمياء وهو الحجة فى مثل هذا ومع هذا الابهام فقد دخل فى مثل هاتيك الرموز كثير من الشعوذة المبنية على خواص الاشياء .

ويرى ان ما ذكره الشهرستانى فى هذه المقدمة قد يكون من علم التنجيم لا الحساب الذى نعرفه الان او من علم الحساب التنجيمى ويبين سبب ذلك بما يلى :

---

(١) الدكتور محمد ابن فتح الله بدران ـ لمدخل الى كتاب الملل والنحل ص ٨١ فى مكتبة كلية اصول الدين بالقاهرة تحت رقم ١٢٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٣

أ ـ ان الشهرستاني يقول أن مراتب الحساب تنتهى الى سبع ومسألة السبعة تنحو نحو النجوم .. السماوات السبع .. والكواكب السيارة السبع .. اما علم الحساب فدورانه على العشرة .

ب ـ يبين الشهرستاني النقش والشكل والحساب لا شكل له ولا نقش يعمل تكتب اعداده والقدماء كانوا يصورون النجوم بالاشكال .

جـ ـ وحتى ادخال التذكير والتأنيث على العدد مجردا عن المعدود ما ذهب اليه الشهرستاني في هذه المقدمة يحتم علينا ان نفهم أن هذا كلام في السماء .

وأخيرا يرى صاحب هذا الرأى ان الشهرستاني يريد ان يتكلم في الحساب التنجيمي أولا ثم في علم الحساب ثانيا ثم يدمج هذا كله في علم اللاهوت(١) ولكن استاذنا المرحوم الدكتور محمد بن فتح الله بدران يرى أن هناك صلة قد تكون وثيقة بين ما جاء في هذه المقدمة وبين الرياضيات الفيثاغورية التي تحتاج الى كثير من الدرس والتعمق واذا كان لهذا التحليل وجه من الصحة استطعنا ان نفهم ذلك من قول الشهرستاني في مبدأ هذه المقدمة " وقد رتبها على علم العدد وكان الواضع الاول منه استمداده العدد " (٢).

وعلى ذلك فان ما جاء في هذه المقدمة بخصوص علم الحساب متروك لأهله كما أشار الى ذلك العلماء المتخصصون فيهما .

---

(١) الدكتور بدران ـ المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ٨٥
(٢) المرجع السابق نفس المكان .

* قواعد تقسيم الفرق الاسلامية *

لقد ذكر الشهرستاني في مقدمته الثانية من مقدماته الخامسة قانونا اساسيا يبني عليه تحديد الفرق الاسلامية حيث اشار مؤرخنا الى ايضاح منهجه بالتفريق بينه وبين اصحاب المقالات الذين تعددت طرقهم في حصر الفرق الاسلامية وذلك دون اعتمادهم على قانون مستند الى اصل ونص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ولذلك لم يتفق اثنان منهم على منهج واحد في تحديد الفرق الاسلامية .. ذلك ان الشهرستاني قال: (اعلم ان لأصحاب المقالات طرقا في تحديد الفرق الاسلامية لا على قانون مستند الى اصل ونص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود ، فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تحديد الفرق) (١)

وذكر أن هؤلاء استرسلوا في ايراد مذاهب الامة كل على رأيه وعلى الطريقة التي يراها وذلك بدون قانون مستقر واصل مستمر ومن هنا كان للشهرستاني دوره في الاجتهاد حيث صرح بمنهجه فقال : (فلابد من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة ، وما وجدت لاحد من ارباب المقالات عنايته بتقرير هذا الضابط الا انهم استرسلوا في ايراد مذاهب الامة .. كيف اتفق وعلى الوجه الذي وجد لا على قانون مستقر واصل مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها في اربع هي الاصول الكبار) (٢)

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ الوكيل جـ ١ ص ١٢
(٢) المرجع السابق نفس المكان .

وعلى ما يبدو للباحث أن الشهرستانى أشار الى نقطة هامة فى منهجه الا وهى وضع ضابط للمسائل والامور التى يؤرخ لهما ذلك أن هذا التقسيم للاصول الكبار على قواعد اساسية فى الفكر العقائدى الاسلامى كان بناء على انقسامهم فيما بينهم حول هذه القواعد حتى حصرها فى اربع كبار ضمنها سائر الموضوعات والمسائل الكلامية التى كانت مشهورة آنذاك .

وعلى هذا فان الشهرستانى يسمى هذه القواعد الاربع بالاصول الكبار وهى :

القاعدة الاولى : الصفات والتوحيد فيهما :

وهى تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل ، وما يجب لله تعالى ، وما يجوز عليه وما يستحيل ، والشهرستانى جعل الخلاف فى مسائل هذه القاعدة بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة .

القاعدة الثانية : القدر والعدل فيه :

وهى تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب والمقدور والمعلوم اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة ، والشهرستانى جعل الخلاف فيها بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية والكرامية .

القاعدة الثالثة : الوعد والوعيد والأسماء والأحكام :

وهى تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية .

القاعدة الرابعة : السمع والعقل والرسالة والامامة :

وهى تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعا عند جماعة ، وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيهما بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية (١).

ويبدو لنا ان الشهرستانى حاول ان يضع هذه القواعد لكى تتسق مع المبدأ الذى اشار اليه وهو (وضع ضابط للمسائل والامور التى يؤرخ لها)(٢) وذلك ليتسم التقسيم الذى وضعه وتعميما للفائدة يقول الشهرستانى : (فاذا وجدنا انفرادا واحدا من أئمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة ، وان وجدنا واحدا انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة .. بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقى مقالاته الى الفروع التى لا تعد مذهبا مفردا فلا تذهب المقالات الى غير النهاية ، فاذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف تبينت اقسام الفرق الاسلامية)(٣).

وهكذا نرى أن الشهرستانى حاول ان يضع القواعد الرئيسية للفرق الاساسية وذلك لكى يتمشى مع المنهج الذى اتبعه فى عملية التقسيم وتعداده للفرق الاسلامية .

وبناء على تحديد الشهرستانى للقواعد الاساسية فى الفرق الاسلامية نراه يحصر اقسام الفرق الاسلامية ويبين كبارها ، ثم اشار الى أنه توجد

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٢
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣
(٣) المرجع السابق

تشعبات وتفريعات داخل كل فرقة من هذه الكبار الاربع بحيث يمكن الوصول الى الثلاث وسبعين فرقة محافظة بذلك على مدلول الحديث النبوي الشريف .

الاقسام الرئيسية للفرق الاسلامية :

ومن هنا ذهب الشهرستاني الى عد الفرق الاسلامية وحصرها فى اربع فرق رئيسية وهى ما يسميها بالاصول الكبار وهى :

١ ـ القدرية

٢ ـ الصفاتية

٣ ـ الخوارج

٤ ـ الشيعة

وعلى ذلك فان الشهرستانى قد قسم الفرق الرئيسية الى هذه الاربع وذلك بناء على انقسامهم حول القواعد الاساسية فى الفكر العقائدى الاسلامى ومن هنا يظهر وضع الشهرستانى ضابطه للمسائل والامور التى يؤرخ لها ثم ايراد اقوالهم كما وجدها دون ان يبين صحيحها من باطلها وهذا من اساسيات منهجه فى التأريخ للاديان والمذاهب .

طريقته فى ترتيب الفرق :

وبالرغم من هذا التقسيم الذى وضعه الشهرستانى لأصول المسائل الكبرى فى الفكر الاسلامى يشير الى الطريقة التى سار عليها فى ترتيبه للفرق وهى وضع الرجال واصحاب المقالات اصولا ثم ايراد مذاهبهم فى كل مسألة مسألة بخلاف ما يراه بعضهم من وضع المسائل اصولا ثم ايراد مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة فى كل مسألة (١).

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٤

* الفصل الخامس *

* الاطار العام لمنهج الشهرستاني *

وقد تضمن هذا الفصل اهتمام الشهرستاني بالمقدمات
والاصطلاحات والخواتيم ثم امانته في العرض والنقل

* * *

* الاطار العام لمنهج الشهرستاني *

ان الحديث عن منهج الشهرستاني في التأريخ للاديان والمذاهب يتطلب منا ان نذكر الاطار العام لمنهج ذلكم العالم الثبت الذى قدم لنا موسوعته في الملل والنحل وضمنها واسع معلوماته وارفع ثقافاته المترامية الاطراف ذلك ان كتابه الملل والنحل من أجل الكتب واعظمها التى تناولت هذا المنهج وذلك لما اشتمل عليه من صنوف المعارف والوانها من اربا ب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل وذلك بعد وقوفه على مصادرها وموارد ها واقتناصه لاوانسها وشواردها بحيث يشمل هذا الكتاب جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون .

من هنا فقد وضع ابو الفتح الشهرستاني لنفسه منهاجا يسير عليه في تأريخه للاديان والمذاهب حيث أنه اعتنى بالترتيب المنطقي فنراه يضع لنفسه المقدمات والمصطلحات والخواتيم ثم يأتي بعد ذلك بما يريد ان يصل الى حقيقته وحجتنا في ذلك انه وضع في بداية موسوعته خمس مقدمات عامة اودعها خلاصة علمه وعصارة ثقافته .

أ ـ الاهتمام بالمقدمات :

بالاضافة الى تلك المقدمات العامة التى ذكرها مؤرخنا ابان تأريخه للاديان والمذاهب لم يكتف بهذه المقدمات التى ذكرها ، بل نجد المقدمات امام كل باب من ابواب كتابه تمهد له وتهدي اليه حيث اراد القول فيما يريد القول فيه ونراه .

ونراه يودع هذه المقدمات عصارة علمه وخلاصة تجاربه بحيث يجمع فيها شتات ما تفرق ونجد مثلا المقدمة امام المعتزلة يبحث فيها عن اسماء

المعتزلة واتباعهم وما يعمهم من الاعتقاد فتراه يقول : (ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا .. لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة اللقب " (١) .

وهناك أيضا المقدمة امام الجبرية يتحدث فيها عن الجبر وعن اصناف الجبرية الجبرية الخالصة ، والجبرية المتوسطة ، والجبرية فى نظر المعتزلة وذلك حيث قال : (الجبر هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، واضافته الى الرب تعالى والجبرية أصناف ، فالجبرية الخالصة : هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا ، والجبرية المتوسطة : وهى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة اصلا .. والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة اثرا فى الابداع والاحداث استقلالا جبريا) (٢) .

ونجد ايضا المقدمة امام الصفاتية يبحث فيها عن السلف والصفات الازلية ويفرق فيها بين صفات الذات وصفات الفعل وسبب تسمية السلف صفاتية والمعتزلة معطلة فقال : (اعلم ان جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله صفات أزلية من العلم والقدرة والارادة .. ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل .. بل يسوقون الكلام سوقا واحدا .. ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمى السلف صفاتية والمعتزلة معطلة) (٣)

ونجد ايضا المقدمة امام اليهود يشير فيها الى معنى هاد وسبب تسميتهم بهذا الاسم وانهم امة موسى وكتابهم التوراة وذلك حيث قال : (هاد الرجل : أى رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام " انا هدنا اليك ") (٤) أى رجعنا وتضرعنا وهم امة موسى عليه السلام

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٤٣
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٨٥
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٩٢
(٤) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٥٧

وكتابهم التوراة وهو اول كتاب نزل من السماء ، أعنى أن ما كان ينزل على ابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابا بل صحفا (١) .

وهناك ايضا المقدمة امام الفلاسفة يبحث فيها عن معنى كلمة فلسفة ومعنى كلمة فيلسوف والحكمة وانواعها ا لقولية والفعلية ويبين فيها ايضا اختلاف الفلاسفة فى الحكمة القولية والفعلية اختلافا كثيرا وذلك حيث قال (الفلسفة باليونانية : محبة الحكمة ، والفيلسوف هو: هو فيلا وسوفا وفيلا هو الحب وسوفا : الحكمة : أى هو محب الحكمة ، والحكمة قولية وفعلية .. ثم ان الفلاسفة اختلفوا فى الحكمة القولية والعقلية اختلافا لا يحصى كثرة) (٢)

وهكذا نجد اهتمام الشهرستانى بالمقدمات ابان تأريخه للاديان والمذاهب وذلك فى الغالب الاعم من منهجه ، وما ذكرناه يعتبر اشارة بالنسبة لما جاء فى موسوعته المترامية الاطراف .

ب ـ الاهتمام بالمصطلحات :

ومع اهتمام الشهرستانى البالغ بالمقدمات نراه يهتم ايضا بالمصطلحات وذلك بتحديد المصطلحات الصعبة او الغامضة التى ترد فى منهجه اثناء تأريخه للاديان والمذاهب .

فمثلا نجد فى التمهيد الذى ذكره الشهرستانى امام ارباب الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب يقول : (نتكلم هنا فى معنى الدين ،، والملة ، والشرعة ، والمنهاج ، والاسلام ، والحنفية والسنة ، والجماعة ، فانها عبارات وردت فى التنزيل ولكل واحدة منها معنى يخصها .

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ١٦
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٦

وحقيقة توافقها لغة واصطلاحا ، وقد بينا معنى الدين انه الطاعة والانقياد وقد قال الله تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام " (١).

وقد يرد بمعنى الجزاء يقال كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى (٢) بالاضافة الى ذلك نجد ان ابا الفتح الشهرستانى يفرق بين معانى الايمان والاسلام والاحسان حيث قال فى ذلك : (قد ذكرنا معنى الاسلام ونفرق هنا بينه وبين الايمان والاحسان .. ونبين ما المبدأ وما الوسط وما الكمال بالخبر المعروف فى دعوة جبريل عليه السلام حيث جاء على صورة اعرابى وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما الاسلام ؟ فقال : ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة .. ثم قال : ما الايمان ؟ قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر .. ثم قال ما الاحسان ؟ قال : عليه الصلاة والسلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .. قال : صدقت .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاءكم يعلمكم امر دينكم (٣).

ثم نجده ايضا يحدد معانى المصطلحات الاتية :

الاصول ، الفروع ، التوحيد ، العدل ، الوعد ، الوعيد ، السمع العقل حيث قال : (نتكلم هنا فى معنى الاصول والفروع وسائر الكلمات (٤)

ويحدد المصطلحات المتعلقة بأهل الاهواء والنحل وذلك مثل الطبيعيون والدهريون ، الفلاسفة الدهرية ، الصابئة الاولى ، والسوفسطائية ، والمجوس والنصارى ، واليهود .. فقال مثلا : (فمن معطل بطال لا يرد عليه فكره

(١) سورة آل عمران ـ آية رقم ١٩
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٣٧
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٤٠ (رواه البخارى ايمان ج١ ص ٢٠ ط دار الشعب)
(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤١

بسواد ولا يهديه عقله الى اعتقاد ولا يرشده فكره وذهنه الى معاد ، قد الف المحسوس وركن اليه وظن أنه لا عالم سوى ما فيه من مطعم شهي ومنظر بهي ولا عالم وراء هذا المحسوس وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون لا يثبتون معقولا) (١) .

ثم يشير ايضا الى المصطلحات الخاصة بفلاسفة الاسلام وبالخصوص ابن سينا وكلامه فى المنطق فقال : (ثم ان كل واحد من الحد والقياس مؤلف من معان معقولة بتأليف محدود فيكون لها مادة منها الفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من احدى جهتين وقد يعرض من جهتيهما معا ، فالمنطق هو الذى تعرف به من أى المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد الذى يوقع يقينا) (٢) .

وهكذا كانت عناية مؤرخنا بتحديد المصطلحات فى تأريخه للاديان والمذاهب .

ج ـ الاهتمام بالخواتيم :

بجانب اهتمام الشهرستانى بالمقدمات والمصطلحات فى اغلب منهجه فى التأريخ للاديان والمذاهب نجده ايضا يهتم بالخواتيم حيث انه يودعها من علمه الفياض ما قد نسى او تناسى .

فنجده مثلا بعد ان انتهى من ذكر مقدماته العامة يفرد خاتمة لها يقول فيها : (فاذا نجزت المقدمات على اوفى تقرير واحسن تحرير شرعنا فى ذكر مقالات اهل العالم من لدن آدم الى وقته لعله لا يشذ من اقسامها مذهب (٣)) .

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ٢ ص ٦١
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٤
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٥

ونجده ايضا بعد ان انتهى من ذكر آراء الشيعة وأشهر فرقهم وتشعباتهم افرد لهم خاتمة ذكر فيها رجال الشيعة ومصنفي كتبهم من المحدثين والمتأخرين وذكر فيها اشهر اسماء فرقهم فقال : " ومن الامامية وسائر اصناف الشيعة سالم ابن ابي الجعد وسالم ابن ابي حفصة وسلمة ابن كهيل .. ومن مؤلفي كتبهم هشام ابن الحكم وعلي ابن منصور ويونس ابن عبد الرحمن والشكال والفضل بن شاذان .. ومن المتأخرين جعفر الطوسي " (١).

ونجده أيضا بعد ان انتهى من الكلام عن اليهود وذكر اشهر فرقهم وآرائهم افرد لهم خاتمة يشير فيها الى ما أجمع عليه اليهود فقال : (وهم بأسرهم أجمعوا على ان في التوراة بشارة بواحد بعد موسى وانما افتراقهم اما في تعيين ذلك الواحد اوفي الزيادة على ذلك الواحد) (٢)

ونجده ايضا بعد ان انتهى من الكلام على النصارى وآرائهم وأشهر فرقهم وتفريعاتهم أفرد لهم خاتمة ذكر فيها ما أجمع عليه النصارى فقال : (وأجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز ان يتحد بالمحدث الا أن الأقنوم الثاني الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الاقانيم وأجمعوا كلهم على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم عليها السلام وقتل وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك ..) (٣) .

ونجده ايضا بعد ان انتهى من الكلام على المجوس أفرد لهم خاتمة ذكر فيها بيوت النيران التي للمجوس فقال : (والمجوس انما يعظمون النار لمعان فيها ، منها انها جوهر شريف علوي ، ومنها انها احرقت الخليل

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٩٠
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٣١

ابراهيم عليه السلام) (١) .. ونراه أيضا بعد أن انتهى من الكلام على الصابئة وآرائهم ومذاهبهم أفرد لهم خاتمة فى اعمال الصابئة كلهم وهياكلهم فقال : (فهذه نهاية مذهبى الصابئة والحنفاء وفى الفصول التى جرت بين الفريقين فوائد لا تحصى) (٢) .

بالاضافة الى ذلك أيضا .. نجده بعد ان انتهى من الكلام على الفلاسفة وعن مذاهبهم أفرد لهم خاتمة يشير فيها الى اختلاف الاوائل فى الابداع والمبدع والارادة فقال : (ثم ان الاوائل فى الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد ؟ ام للابداع نسبة الى المبدع ونسبة الى المبتدع ، وكذلك الارادة .. انها لمراد ام المريد ؟ على حسب اختلاف متكلمى الاسلام فى الخلق والمخلوق والارادة انها خلق ام مخلوقة ؟ ام صفة فى الخالق ؟) (٣) .

وعلى ذلك .. فاننا قد اشرنا الى بعض الامثلة التى تمثل اهتمام مؤرخنا بالمقدمات ، والمصطلحات ، والخواتيم التى تشير الى الاطار العام لمنهج والشهرستانى فى التأريخ للاديان والمذاهب .

د ـ أمانته فى العرض والنقل :

ان من اساسيات منهج الشهرستانى زه امانته فى عرضه ونقله لآراء الآخرين لأنه كثيرا ما يشير الى هذا المعنى .. حيث انه مؤرخ لا ناقد فقال : (وشرطى على نفسى ان أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على الافهام الذكية فى مدارج الدلائل

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ٢ ص ٦٠
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٢
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٢

العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل) (١).

وان هذا الشرط الذى اخذه الشهرستانى على نفسه فى التأريخ للاديان والمذاهب يعتبر بحق دستورا لمؤرخ المقالات والآراء ، ذلك أن الشهرستانى كان أمينا فى تنفيذه ، فاكتفى بعرض آراء الاخرين وذلك دون التعرض لصحة أقوالهم ، وان كنا لا نبرئه كانسان من الميول الشخصية ولذلك نجده فى كثير من المواقف لم يكتب الا لما قرأ او سمع دون نقد او تصرف فى النقد وكثيرا ما يشير الى نفس المعنى فيقول : (ولولا انى التزمت على نفسى فى هذا الكتاب ان ابين مصادر المذاهب وموارد ها واشتراك منتهيا اقدام العقول فى مسائل الاصول والا لما همنى كشف الأسرار وهتك الأستار) (٢).

وكثيرا ما يكرر نفس هذا المعنى وهذا الشرط الذى أخذه على نفسه مما يشير الى أمانته فى نقله وعرضه لآراء الغير فى تاريخه للأديان والمذاهب فقال : (وشرطت على نفسى ألا اناقضه بغير صنعته ولا على أعانده على لفظ توافقنا على معناه وحقيقته ، فلا اكون متكلما جدليا او معاندا سوفسطائيا فابتدئ فى بيان التناقض فى نصوص نصوصه لفظا ومعنى وأردفه بكشف مواقع الخطأ فى متون ببراهينه مادة وصورة) (٣).

وهكذا نجده حتى فى مصارعة الفلاسفة يتخذ لنفسه منهجا يسير عليه ذلك أنه لا يناقض ابن سينا بغير طريقته ، فابن سينا فيلسوف لذا رأى الشهرستانى ان يكون نقده لبراهينه وذلك بمنهج الفيلسوف الذى يحكم العقل ويعضد بالنقل حتى لا يقال انه يحتج عليه بغير صنعته ولكنه

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ ج ١ ص ١٤
(٢) الشهرستانى ـ نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ١٦٣
(٣) الشهرستانى ـ مصارعة الفلاسفة ص ٣٧

ولكنه رغم ذلك يشير الى الالتزام بالموضوعية التى أخذها على نفسه فى الملل والنحل وذلك مما يدل على موضوعيته فى التأريخ للاديان والمذاهب يقول مؤرخنا : (لقد اورد ابن سينا تقسيما فى مبدأ الهيات " النجاة " وادعى انه حاصر لجميع اقسام الموجودات فأنقله على وجهه ثم ابين وجه الخطأ فيه) (١).

فمن هنا رأى الشهرستانى أن يصارع ابن سينا وذلك بنفس منهجه حتى يكون رده عليه حجة وذلك دون زيادة لما يقول لأن الشهرستانى بحكم موضوعيته فى المنهج ليس ناقدا وانما هو مؤرخ .. لذا جاء فى كتابه (.. انه فى هذا الكتاب يقف موقفا منهجيا فى الاثبات والدحض و فهو لا يتخذ لنفسه موقفا مسبقا فلا يعاند لمجرد المعاندة لأنه ليس سوفسطائيا كما قال ولا يجادل بوصفه متكلما ، وهو فى معرض مصارعة فيلسوف ، انما يريد اظهار الحق سواء كان معه او عليه .. ولذلك قال انه لن يفاوض ابن سينا بغير صنعته ، أى أنه سيناقشه مناقشة الفيلسوف للفيلسوف) (٢)

وعلى ما يبدو لنا ان الشهرستانى حدد منهجه النقدى الذى يعتمد على صنعة الفلاسفة وعلى الاصطلاحات والمعانى والحقائق المسبقة لديهم ذلك ان منهجه النقدى هذا لم يكن النقد فيه لذاته بل كان نقدا لبناء مفهوم معين وذلك لابطال مذهب الخصم واظهار ما فيه من خطأ فقال (والاولى ان نسلك فى حل الاشكال طريقة ابطال مذهب الخصم ثم نشير الى ما يلوح للعقل من معنى الايجاد) (٣)

---

(١) الشهرستانى ـ مصارعة الفلاسفة ـ تحقيق الدكتورة سهير مختار ص ٢١
(٢) المرجع السابق ص ٣٩
(٣) الشهرستانى ـ نهاية الاقدام فى علم الكلام ص ٣٩ه

وعلى ذلك فالشهرستانى فى منهجه هذا يسلم لهم بما يريدون ويبنى عليه براهينه ليصل بذلك الى الموقف المتوسط بين المغالى والمقصر فى الدين فقال فى ذلك : (فاضرب الدهرى بالجسمى و الجسمى بالدهرى واطلب دين الله تعالى من المغالى والمقصر وجلال الله تعالى فوق الاوهام والعقول فضلا عن المكان والزمان) (١)

وعلى ذلك فالشهرستانى ينظر الى العقائد الايمانية على أنها أساسية فى منهجه عامة وعلى كل ، فان أبا الفتح ليس ناقدا او حاقدا على الفلاسفة بل كان مؤرخا وصاحب منهج وصاحب تصور ، وعلى هذا الاساس كانت طريقة الشهرستانى فى منهجه محافظا بذلك على العقيدة الاسلامية وانه التزم الموضوعية التى تجعله بحق مؤرخ للاديان والمذاهب حيث قال : (، هذا ما وجدته من مقالات أهل العالم ونقلته على ما وجدته) (٢).

---

(١) الشهرستانى ـ مصارعة الفلاسفة ص ١١٧
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٣ ص ١١٠

« الباب الثاني »

« تطبيقات ومقارنات »

* الفصل الأول *

* عرض عام لكتاب الملل والنحل *

وقد ذكرت فى هذا العرض تقسيم الشهرستانى للفكر البشرى الى قسمين وهما أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل وذلك باختصار .

* * * *

* تقسم أهل العالم *
* من حيث الأديان والمذاهب *

لقد قسم الشهرستانى أهل العالم من حيث الأديان والمذاهب الى أهل الديانات والملل والى أهل الأهواء والنحل ، وان هذا هو المنهج الذى سار عليه فى تأريخه للأديان والمذاهب ، حيث أنه قسم الفكر البشرى كله الى هذين القسمين ومن هنا فاننا نشير الى تقسيمات كل قسم على حده :

القسم الأول
* أهل الديانات والملل *

لقد ذكر الشهرستانى فى مقدمته الاولى من مقدماته العامة ، ان أهل الديانات والملل هم : المجوس ، واليهود ، والنصارى ، والمسلمون حيث قال : (الخارجون عن الملة الحنفية والشريعة ممن يقولوا بشريعة وأحكام وحدود وأعلام وهم قد انقسموا الى من له كتاب محقق مثل التوراة والانجيل ومن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب ، والى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية)(١).

ومن هنا فقد قسم الشهرستانى أهل الديانات والملل الى نوعين :

النوع الاول : من له كتاب محقق منزل .

النوع الثانى : من له شبهة كتاب .

وعلى ذلك فاننا نشير الى الامة ذات الكتاب المنزل المحقق أولا حيث قال الشهرستانى : (فنحن نقدم ذكر أهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب)(٢)

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ١٣
(٢) المرجع السابق نفس المكان

النوع الاول : من له كتاب منزل محقق :

أ ـ المسلمون :

مضى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والأمة وحدة لم تنفصم عراها
حيث كان الرسول مرجعهم في أمور دينهم ودنياهم وان كان التساؤل
والجدل يلح على بعض المسلمين في زمنه الا ان الوحي كان ينزل على
الرسول صلى الله عليه وسلم ناهيا عن المراء والجدال في الدين حيث قال
الله تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "(١) وقال
أيضا : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
منكم .. فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول " (٢) .

ولكن كان هناك بعض خلافات التي وقعت بين المسلمين في حال مرضه
عليه السلام وبعد وفاته ولكن هذه الخلافات كانت اجتهادية كان الغرض
منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين وقد أورد مؤرخنا هذه
الخلافات .

نذكر منها على سبيل المثال : من ذلك ما رواه الامام مسلم باسناده
على عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال : لما حضر الرسول صلى الله
عليه وسلم وفي البيت رجال ، فيهم عمر ابن الخطاب فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : " هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ،
فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا

---

(١) سورة الحشر ـ آية رقم ٧
(٢) سورة النساء ـ آية رقم ٥٩

اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله : " قوموا عني لا ينبغي التنازع عندي " قال عبد الله فكان ابن عباس يقول : " ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم " (١)

ومن الخلافات أيضا ذلك الخلاف الذي وقع في موته عليه السلام حيث قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من قال ان محمدا قد مات قتلته بسيفي هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وقال ابو بكر بن قحافة رضي الله عنه : من كان يعبد محمد فان محمدا قد مات ومن كان يعبد اله محمد فان اله محمد حي لن يموت وقرأ قول الله تبارك وتعالى : " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " (٢).

فرجع القوم الى قوله وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : " كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر " .

الى غير ذلك من الخلافات التي وقعت وكانت هذه الخلافات اجتهادية كان الغرض منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين ولكن حدث أن اختلف الناس بعد نبيهم فصاروا فرقا متباينين واحزابا مشتتين الا أن الاسلام يجمعهم ويشتمل عليهم " (٣).

ولكن أعظم خلاف وقع بين المسلمين بعد نبيهم هو اختلافهم في الامامة ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما قبضه الله عز وجل ونقله الى جنته ودار كرامته اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول صلى الله

---

(١) صحيح مسلم باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه جـ ٣ ص ٢٥٩ الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م مطبعة عيسى الحلبي .
(٢) سورة آل عمران ـ آية رقم ١٤٤
(٣) الاشعري ـ مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٣٤

عليه وسلم وأرادوا عقد الامامة لسعد بن عبادة ، وبلغ ذلك أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما فقصدوا نحو مجتمع الانصار فى رجال من المهاجرين فأعلمهم أبا بكر ان الامامة لا تكون الا فى قريش واحتج عليهم بقول النبى صلى الله عليه وسلم : " الخلافة فى قريش والحكم فى الانصار والدعوة فى الحبشة والهجرة فى المسلمين والمهاجرين بعد " (١). فأذعنوا لذلك منقادين ورجعوا الى الحق طائعين ، بعد ان قالت الانصار منا امير ومنكم أمير وبعد ان جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال انه جذيلها المحكك وعذيقها المرجب من يبارزنى ، وبعد ان قام قيس بن سعد بنصرة ابيه سعد ابن عبادة حتى قال عمر بن الخطاب فى شأنه ما قال .. ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على امامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته فقاتل اهل الردة على ارتدادهم كما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ارتدادهم وأظهره الله عز وجل عليهم اجمعين ونصره على جملة المرتدين وعاد الناس الى الاسلام اجمعين (٢).

وهكذا لم يحدث نزاع من شأنه ان يثير فرقة المسلمين فى زمن الخليفة الاول ابو بكر والخليفة الثانى عمر بن الخطاب الى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة حيث اتفقوا على بيعته وانتظم الامر له واستمرت الدعوة فى ايامه وكثرت الفتوحات فى زمانه واستمر الحال هكذا الى ان وقعت اختلافات كثيرة واخذوا عليه احداثا كلها محالة على بنى امية :

منها : رده الحكم ابن امية بعد ان طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما أيام خلافتهما فما اجاباه الى ذلك ونفاه عمر من مقامه لليمن اربعون فرسخا (٣)

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ج ٤ ص ١٨٥ ـ دار صادر بيروت للطباعة والنشر .

(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٢٢ ، ٢٣ ومقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١ ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٢٤

يقول صاحب تاريخ الخلفاء .. أول ما نقم عليه أنه آثر أقاربه بالولايات حيث كره نفر من الصحابة ولاية عثمان لأنه كان يحب قومه وكان كثيرا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة ، فكان يجيء من امرائه ما ينكره أصحاب محمد وكان عثمان يستغيث فيهم فلا يعزلهم (١).

منها .. ايواء عبد الله بن سعد بن ابى سرح وكان وضعه بعد أن أهدر النبى عليه الصلاة والسلام دمه وتوليته اياه مصر بأعمالها .. وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث الى غير ذلك مما نقموا عليه وكان أمراء جنوده .. معاوية بن أبى سفيان عامل الشام ، وسعد ابن ابى وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن ابى سرح عامل مصر.

وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه وقتل مظلوما فى داره وثارت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ولم يكن بعد (٢).

ثم بويع امير المؤمنين على بن أبى طالب بالخلافة ، ويقال ان طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين ، ثم خرجا الى مكة وعائشة رضى الله عنها فأخذاها وجريا بها الى البصرة يطلبون بدم عثمان (٣)

ومن هنا اختلف الناس فى أمره " فمن بين منكر لامامته ومن بين قاعد عنه ، ومن بين قائل بامامته معتقد لخلافته وهذا الاختلاف بين الناس الى اليوم " (٤).

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ٦٠ بدون تاريخ .
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٢٥
(٣) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ٦٦ ـ والشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٢٥
(٤) الاشعرى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٥٥

ثم كانت موقعة الجمل وهي اول معركة يقتتل فيها المسلمون بسبب دم عثمان حيث كانت السيدة عائشة رضي الله عنها على رأس المطالبين بالقصاص وساهمت باليد الطولى في هذه المعركة لما لها من الهيبة ، وبمجرد ظهور الحقيقة امام كل من طلحة والزبير كفا عن القتال .. اما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد صاحبها الندم الى آخر حياتها على اشتراكها في هذه الحروب ، واعتكفت بعدها لا تشارك في الحياة السياسية ولهذا فانها كانت عندما تقرأ قول الله تبارك وتعالى " وقرن في بيوتكن " (١)، تبكي حتى تبل خمارها .

الشيعة :

وفي ظل هذه الفتن افرخ المذهب الشيعي ، ذلك ان عبد الله ابن سبأ اليهودي المعروف بابن السوداء الذي اصطنع الاسلام وهو يضمر ان يكيد له كان اول من احدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه بالامامة " فعلي وصي الرسول وخليفته على أمته بالنص ، وكان اول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه الى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اول من أحدث القول بأن عليا لم يقتل وأنه لا يزال حيا وأنه يسكن السحاب وان الرعد صوته وان البرقة سوطه وان فيه جزءا الهيا وأنه لابد أن ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا (٢).

ومن هذه الآراء التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثيرة من فرق الشيعة ، فمن تعاليمه .. تشعبت أقاويل الغلاة من الرافضة

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ص ٢٧ ـ المقالات الاسلاميين للاشعري ج ١ ص ١١

ذلك أن كثيرا منهم يذهبون الى ان الامامة موقوفة على قوم بأعينهم كقول الامامية : انها محصورة في الأئمة الاثنى عشر .. وكقول الاسماعيلية انها محصورة في ولد جعفر الصادق (١).

وان الشيعة كما يقول مؤرخنا هم الذين شايعوا عليا وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية .. اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم من غيره او بتقية من عنده (٢).

ويحصر الشهرستاني كبار فرقهم فيقول : وهم خمس فرق :

١ ـ الكيسانية .
٢ ـ الزيدية .
٣ ـ الامامية .
٤ ـ الغلاة .
٥ ـ الاسماعيلية .

ثم تشعبت من كل فرقة من هذه الكبار فرق فأشهر فرق الكيسانية كما ذكرهم الشهرستاني هي :

١ ـ المختارية ٢ ـ الهاشمية
٣ ـ البيانية ٤ ـ الرزامية

وذكر ان اشهر فرق الزيدية هي :

١ ـ الجارودية ٢ ـ السلمانية
٣ ـ الصالحية والبترية

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٩١
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٦

وأشهر فرق الامامية هي :

١ ـ الباقرية والجعفرية الصادقة
٢ ـ الناووسية
٣ ـ الافطحية
٤ ـ الشمطية
٥ ـ الاسماعيلية الواقفة
٦ ـ الموسوية والمفضلية
٧ ـ الاثنا عشرية

ومن فرق الغلاة تفرعت أيضا هذه الفرق وهي :

١ ـ السبائية
٢ ـ الكاملية
٣ ـ العلبائية
٤ ـ المغيرية
٥ ـ المنصورية
٦ ـ الخطابية
٧ ـ الكيالية
٨ ـ الهاشمية
٩ ـ النعمانية
١٠ ـ اليونسية
١١ ـ النصيرية والاسحاقية

ثم الفرقة الخامسة وهي فرقة الاسماعيلية (١).

الخـــــوارج :

ولم يكد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه يفرغ من أمر الجمل حتى علم باعلان معاوية ابن أبي سفيان العصيان في الشام وسار اليه والتقيا بصفين .. وقاتله علي حتى انكسرت سيوف الفريقين ونصلت رماحهم . حتى اذا كان النصر قاب قوسين أو أدنى من علي فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها من مكيدة عمرو بن العاص ثم يقول أهل الشام لأهل العراق .. يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم .. التقية التقية .. فان اجابك الى ما تريده خالفه

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٤٧

أصحابه وان خالفك خالفه أصحابه .. فاضطرب أهل العراق على على" (أبو عليه الا التحكيم وان يبعث على بن أبى طالب حكما ويبعث معاوية حكما وأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق .. ثم افترق الناس ورجع معاوية الى الشام ورجع على الى الكوفة (١).

فخرجت على على" الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا : لا حكم الا لله تعالى .. وذلك حيث قال الله تعالى : " فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله " (٢). ولم يقبل حاكمهم وهم البغاة وعسكروا بحروراء (٣).

فان عدت الى قتالهم وأقررت على نفسك بالكفر اذ أجبتهم الى التحكيم .. والا نابذناك وقاتلناك .. فقال على رضوان الله عليه : قد ابيت عليكم فى أول الأمر فأبيتم الا اجابتهم الى ما سألوا فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق وليس يسوغ لنا الغدر فأبوا الا خلعه واكفاره بالتحكيم .. وخرجوا عليه فسموا خوارج لأنهم خرجوا على على بن ابى طالب رضوان الله عليه وصار هذا اختلافا الى اليوم (٤). يقول الشهرستانى : (وكل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج فى ايام الصحابة على الائمة الراشدين اوكان بعدهم على التابعين باحسان .. وأول من خرج على أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه جماعة ممن كانوا معه فى حرب صفين وأشدهم خروجا ومروقا من الدين الاشعث ابن قيس الكندى ، ومسعد بن فدك التميمى ، وزيد بن حصين الطائى

---

(١) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ٦٧
(٢) سورة الحجرات ـ آية رقم ٩
(٣) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ٦٧
(٤) الاشعرى ـ مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٦٤

حين قالوا : القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الى السيف (١)

وان كبار فرقهم كما حصرهم الشهرستانى :

١ ـ المحكمة

٢ ـ الازارقة

٣ ـ النجدات

٤ ـ البيهسية

٥ ـ المجاردة

٦ ـ الثعالبة

٧ ـ الاباضية

٨ ـ الصفرية

ويجمعهم القول بالتبرئ من عثمان وعلى ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا (٢)

ولقد تفرعت المجاردة منهم تفريعات هى :

١ ـ الصلتية ٢ ـ الميمونية

٣ ـ الحمزية ٤ ـ الخلفية

٥ ـ الاطرافية ٦ ـ الشعيبية

٧ ـ الحازمية

وتشعبت الثعالبة الى فرق هى :

١ ـ الاخنسية ٢ ـ المعبدية

٣ ـ الرشيدية ٤ ـ الشيبانية

---

(١) الشهرستانى الملل والنحل ـ جـ١ ص ١١٤
(٢) المرجع السابق جـ١ ص ١١٥

٥ ـ المكرمية ٦ ـ المعلومية والمجهولية ١
٧ ـ البدعية

وافترقت الاباضية الى فرق وهى :

١ ـ الحفصية ٢ ـ الحارثية
٣ ـ اليزيدية ٤ ـ الصفرية الزيادية

المرجئة :

ونتيجة لهذين الفرقتين الكبيرتين الذين نبتا فى البيئة الاسلامية كانت نشأة المرجئة نشأة طبيعية فلقد كان فى البيئة الاسلامية " خوارج " يرمون "عليا " ومن تابعه " ومعاوية " ومن تابعه بالكفر والضلال وكان فيها عثمانيون يعلنون ان من عاداهم عليون كانوا أم " خوارج " كفار مارقون وكان الشيعة يكفرون هؤلاء وأولئك (١) .. يقول الشهرستانى عن المرجئة : (انهم صنف آخر تكلموا فى الايمان والعمل الا أنهم وافقوا الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالامامة ") (٢).

ويقول الشهرستانى فى تعريفهم " تأخير على رضى الله عنه عن الدرجة الاولى الى الرابعة .. فعلى هذا تكون المرجئة مقابلة لفرقة الشيعة) (٣)

وهكذا كانت حجج كل فريق من هؤلاء .. أى الخوارج والشيعة تأتى ارسالا وتنثال انثيالا وتأخذ صورة براقة تأخذ بالالباب وتستولى على الأفئدة .. ومن بين هؤلاء وأولئك كان هناك قوم يرون ان الموقف أن نرجىء امرهم الى الله ومن هنا كان اسم المرجئة .

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود التفكير الفلسفى فى الاسلام جـ ١ص ٢٠٣
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ص ١١٤
(٣) المرجع السابق جـ ١ص ١٣٩

وكبار فرقهم كما حصرها الشهرستاني هي :

١ ـ اليونسية

٢ ـ العبيدية

٣ ـ الغسانية

٤ ـ الثوبانية

٥ ـ التومنية

٦ ـ الصالحية

المعتزلة :

وفي أوائل القرن الثاني للهجرة كان شر الخوارج قد استطار حيث انهم قد اعلنوا ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار لا يخرج منها أبدا .. وكان هناك جماعة من المسلمين يقولون : انه مؤمن وان فسق بارتكابه الكبيرة وكان أبو حذيفة واصل بن عطاء يجلس الى الحسن البصري ويتلمذ عليه فجرى يوما ذكر هذه المسألة فقال واصل : أنا أقول في مرتكب الكبيرة من هذه الأمة أنه لا مؤمن ولا كافر ولكنه في منزلة بين المنزلتين .. فغضب الحسن لذلك وطرده من مجلسه فاعتزل عنه وجلس في ناحية المسجد وانضم اليه جماعة قيل لهما ولاتباعهما المعتزلون أو المعتزلة (١).

ويروي لنا صاحب الفرق بين الفرق هذه الحادثة التي كانت سببا في نشأة المعتزلة فيقول .. هم اتباع واصل بن عطاء رأس المعتزلة زعيمهم وداعيهم الى بدعتهم بعد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، وكان واصل من منتابي مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة

---

(١) الاشعري مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧

وكان الناس يومئذ مختلفين فى اصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فـــرق :

١ ـ فرقة تزعم أن كل مرتكب للذنب صغيرة أو كبيرة مشرك بالله وكان هذا قول الازارقة من الخوارج .

٢ ـ زعمت النجدات من الخوارج أن صاحب الذنب الذى اجمعت الامة على تحريمه كافر مشرك وصاحب الذنب الذى اختلفت الامة فيه على حكم اجتهاد اهل الفقه .

٣ ـ وكانت الاباضية من الخوارج يقولون ان مرتكبى ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة وليس بكافر كفر شرك .

٤ ـ زعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق والمنافق شر من الكافر المظهر لكفره .

٥ ـ وكان من علماء التابعين فى ذلك العصر مع اكثر الامة يقولون ان صاحب الكبيرة من أمة الاسلام مؤمن بما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق ولكنه فاسق بكبيرته وفسقه لا ينفى عنه اسم الايمان وعلى هذا القول مضى سلف الامة من الصحابة وأعلام التابعين . فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والأهواز واختلف الناس عند ذلك فى اصحاب الذنوب على هذه الوجوه الخمسة خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والايمان فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هذه التى خالف بها اقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة وانضم اليه قرينه فى الضلال عمرو بن عبيد بن باب كنعمد صريخه أمه . فقال الناس يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة وسمى اتباعهما يومئذ معتزلة (١).

(١) البغدادى ـ الفرق بين الفرق ص ١١٧ ، ١١٨

ويطلق عليهم مؤرخنا أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية (١). ومن اشهر فرقهم كما ذكرها هي : (المعتزلة) .. وكبار فرق المعتزلة هي :

١ ـ الواصلية

٢ ـ الهزلية

٣ ـ النظامية

٤ ـ الخابطية والحدثية

٥ ـ البشرية

٦ ـ المعمرية

٧ ـ المودارية

٨ ـ الثمامية

٩ ـ الهاشمية

١٠ ـ الجاحظية

١١ ـ الجبائية والبهشمية

ومن اشهر فرقهم أيضا (الجبرية) وقد [illegible] الجبرية الى فرق أهمها :

١ ـ الجهمية

٢ ـ النجارية

٣ ـ الضرارية

وهكذا نجد ان هذه الفرقة الكبيرة قد نشأت في العصر الأموى ولكنها قد شغلت الفكر العباسي ردحا طويلا من الزمان حيث كان هناك من

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ١ ص ٤٣

الخلفاء من شايع المعتزلة وناصرهم واعتنق مذاهبهم وتعصب لها وأراد ان يحمل الناس على اعتناقها وهو الخليفة المأمون فالمهدى الذى كان اول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة (١) وقد اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف او محدث مشهور وصاحب ذكرهم البلاء والمحن وشارت العداوة للمعتزلة حتى نسى الناس خيرهم ودفاعهم عن الاسلام وبلاءهم فيه وتصديهم للزنادقة وأهل الأهواء نسوا هذا كله ولم يذكروا لهم الا اغراءهم الخلفاء بامتحان كل امام تقى ومحدث مهدى الى أن جاء الخليفة العباسى المتوكل بالله وأبعد المعتزلة عن حظيرته وأدنى خصومهم منه وفك قيود العلماء والفقهاء والمحدثين .. يقول صاحب تاريخ الخلفاء : " اظهر الميل الى اهل السنة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق واستقدم المحدثين الى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم وامرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية " (٢).

الصفاتيـــة :

لقد كان بين المعتزلة وبين السلف فى كل زمان اختلاف فى الصفات وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامى بل قول اقناعى ويسمون الصفاتية حيث كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا (٣).

ومن هؤلاء الامام ابى الحسن على ابن اسماعيل الاشعرى المنتسب الى ابى موسى الاشعرى رضى الله عنهما (المتوفى ٣٢٤ هـ) وجرى

---

(١) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ١٠٦
(٢) الامام محمد ابو زهرة - تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ١٤٣ دار الفكر العربى .
(٣) الشهرستانى - الملل والنحل ج١ ص ٩٢

بين أبي الحسن الاشعري وبين استاذه مناظرة في مسألة من مسألة الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الاشعري الى جماعة أهل السنة فأيد مقالتهم بمناهج كلامية وبراهين اصولية وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية الى الاشعرية ، ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية (١).

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ١ ص ٩٣

ب ـ أهل الكتاب الخارجون عن الشريعة الاسلامية :

ان أهل الكتاب كما أشار اليهم مؤرخنا هم اليهود والنصارى وذلك قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولقد قال الله تعالى فيهم : " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (١)

وهاتان الامتان كانتا من كبار أمم أهل الكتاب والامة اليهودية أكبرهم لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع أنبياء بني اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة ، وان قبلتهم بيت المقدس وشريعتهم ظواهر الأحكام (٢).

وكان هناك بعض الخلافات بين اليهود والنصارى اذ كانت اليهود تقول " ليست النصارى على شيء " وكانت النصارى تقول : " ليست اليهود على شيء " (٣).

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لهم " لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل " (٤) ويقول الله تعالى فيهم " يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون " (٥) ويقول أيضا "وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" (٦) ويقول ايضا " وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون " (٧).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٤
(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ٢ ص ١٤
(٣) سورة البقرة آية رقم ١١٣
(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٨
(٥) سورة آل عمران آية رقم ٧١
(٦) سورة البقرة آية رقم ١٤٦
(٧) سورة آل عمران آية رقم ٧٨

ذلك أن اليهود والنصارى حرفوا التوراة والانجيل الذين انزلا على سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام ، ويدعون أن التوراة والانجيل لا ذكر ولا انذار فيهما بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول صاحب الفصل " وما تدرى كيف يستحل مسلم انكار تحريف التوراة والانجيل وهو يسمع كلام الله عز وجل " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل " (١)

ويقول أيضا : وقد اجتمعت المشاهدة والنص، حدثنا أبو سعيد الجعفرى حدثنا أبو بكر الأدفوى محمد بن على المصرى ، حدثنا أبو جعفر احمد ابن محمد بن اسماعيل النحاس ، حدثنا احمد بن شعيب عن محمد بن المثنى عن عثمان بن عمر حدثنا على هو ابن المبارك حدثنا يحيى ابن كثير عن سلمة عبد الرحمن بن عوف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : "كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية ويفسرونها لأهل الاسلام بالعربية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا والذى انزل اليكم والهنا والهكم واحد " (٢)

وما كان يمكن اقامتهما الا باقامة القرآن الحكيم وحكم نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم فلما أبوا ذلك وكفروا بآيات الله (٣) "ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٤) .

وعلى ذلك فاننا نشير هنا الى أشهر فرق اهل الكتاب قبل البعثة النبوية الشريفة ..

---

(١) ابن حزم ــ الفصل فى الملل والنحل ح ١ ص ٢١٥
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢١٦
(٣) الشهرستانى ــ الملل والنحل ج ٢ ص ١٥
(٤) سورة البقرة رقم ٦١

١ ـ اليهـــود :

يقول مؤرخنا (هاد الرجل اى تاب ورجع وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام " انا هدنا اليك " (١) أى رجعنا وتضرعنا ذلك أنهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم هو التوراة وهو أسفار " السفر الاول منها فى التكوين وبدء الخلق والاسفار الاخرى للاحكام والحدود والامثال والقصص والمواعظ والاذكار .. وبجانب هذا الكتاب المقدس يوجد " التلمود " وهو عبارة عن مجموع شروح انسانية له توفر عليها بعض اليهود " (٢) ولقد جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احتج آدم موسى .. قال موسى : يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده " (٣) .

فأثبت له اختصاصا آخر سوى سائر الكتب ، ولقد انزل الله تبارك وتعالى على سيدنا موسى الألواح على شبه مختصر ما فى التوراة ، تشتمل على الاقسام العلمية والعملية (٤) . قال الله تعالى : " وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة " اشارة الى القسم العلمى " وتفصيلا لكل شئ (٥) اشارة الى تمام القسم العملى .

ويرى الدكتور احمد شلبى فى كتابه اليهودية أن موسى عليه السلام اول من رسم لليهود السلطة التشريعية ويذكر " هوسمر " ان موسى وضع أسس التشريع فى التوراة فأصبحت المرجع القانونى كما أصبحت حجر الاساس لبناء الدولة اليهودية ويذكر ويل .. ان موسى كان قائدا لبنى اسرائيل وكان بجانب ذلك مرشدا ومشرعا لهم (٦) .

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ١٥٧
(٢) الدكتور محمد البهى ـ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص٦١
(٣) السنن أبى داود جـ٤ص٢٢٨ ، كتاب السنة باب القدر ـ ط الاولى ١٣٧١ ـ ١٩٥١م
(٥) سورة الاعراف ـ آية رقم ١٤٥ (٤) الشهرستانى الملل والنحل جـ١ص١٦
(٦) الدكتور احمد شلبى اليهودية ٢٨٩

ويحدد الشهرستاني مسائل علمهم فيقول : (انها تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واستحالتها (١).

وان من اشهر فرق اليهود وأظهرهم كما اشار اليها مؤرخنا هي :

١ — العنانية :

٢ — اليموسوية ٠

٣ — المقاربة واليوذعانية

٤ — السامرة

وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الالفانية والى كوستانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوستانية معناها الجماعة الصادقة ٠٠ يقول مؤرخنا فهذه أربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق الى احدى وسبعين فرقة (٢).

٢ — النصارى :

هم أمة المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام ٠٠ وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام المبشر به في التوراة وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ودلائل باهرة مثل احياء الموتى وابراء الأكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه اذ قال الله تعالى : " اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ

---

(١) الشهرستاني جـ ٢ ص ١٦

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٤

فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى .. واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين " (١).

وكتابهم هو الانجيل ذلك أن اربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعا سماه الانجيل وهم : متى ، ولوقا ، ومرقس ويوحنا .. وخاتمة انجيل متي انه قال : اني ارسلكم الى الامم كما ارسلني أبي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الاب والابن والروح القدس (٢).

ومن المعلوم ان الكتاب المقدس عند المسيحين هو التوراة والانجيل جميعا ، وتسمى التوراة بالعهد القديم ويسمى الانجيل بالعهد الجديد وان كبار فرقهم كما ذكرها مؤرخنا .. يقول الشهرستاني : (ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاث هي :

١ ـ الملكانية

٢ ـ النسطورية

٣ ـ اليعقوبية

وانشعبت منها الاليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية الى سائر الفرق (٣).

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١١٠

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٦

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٧

النوع الثانى : وهم الذين لهم شبهة كتاب :

ذكر الشهرستانى ان الذين لهم شبهة كتاب هم المجوس والمانوية وسائر فرقهم حيث ان الصحف التى انزلت على ابراهيم عليه السلام قد رفعت لاحداث احدثها المجوس و لكن لا يجوز عقد العهد والزمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى اذ هم من أهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولما كانت هذه الصحف تحتوى على مناهج علمية ومسالك عملية كانت لهما شبهة كتاب :

١ - المناهج العلمية : وتشتمل هذه المناهج على تقرير كيفية الخلق والابداع وتسوية المخلوقات على سنة نظام وقوام تحصل منهما حكمته الازلية وتنفذ فيهما مشيئته السرمدية ثم تقدير التقدير والهداية عليها ليتقدر كل نوع وصنف بقدر المحكوم ويقبل هدايته السارية فى العالم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدو هذين النوعين وذلك هو ما يشير اليه قوله تعالى : " سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى " (١).

لأن القرآن الكريم فى كثير من آياته يقرن بين الخلق والهداية يقول الله تعالى : " الذى خلقنى فهو يهدين " (٢) ويقول ايضا مخبرا عن سيدنا موسى عليه السلام " الذى اعطى "كل شىء خلقه ثم هدى " (٣).

---

(١) سورة الاعلى - آيات رقم ١ ، ٢ ، ٣
(٢) سورة الشعراء آية رقم ٧٨
(٣) سورة طه آية رقم ٥٠

٢ ـ المسالك العملية : فهي الموجودة في صحف ابراهيم عليه السلام التي تشتمل على تزكية النفوس عن النقائص والشبهات ، وذكر الله تعالى باقامة العبادات ورفض الشهوات الدنيوية والاقبال على السعادات الاخروية ولم يحصل الرسوخ الى كمال المعاد الا باقامة هذين الركنين وهما : الطهارة والشهادة .. والعمل كل العمل لا يعدو هذين النوعين (١).

والذي يبين ذلك قول الله عز وجل " قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى " (٢)

ويبدو لنا ان الشهرستاني جعل المصدر الاساسي لهذه الصحف هو القرآن الكريم الذي فيه خبر الاولين والآخرين حيث يشير الى ذلك قوله عز وجل " ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى " (٣).

ذلك أن الشهرستاني بين ان الذي اشتملت عليه هذه الصحف هو الذي اشتملت عليه هذه السورة (٤).

وان من أشهر الفرق الذين لهم شبهة كتاب كما ذكرهم مؤرخنا هم :

١ ـ المجوس :

يقال لها الدين الاكبر والملة الكبرى اذ كانت دعوة الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم عليه السلام ليست كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك مثل ما ثبت للملة الحنفية ذلك أن ملوك العجم كلها كانت على ملة ابراهيم ، وكان الناس جميعا في هذه البلاد على أديان ملوكهم طواعية اوكرها (٥).

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٤
(٢) سورة الاعلى رقم ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧
(٣) سورة الاعلى آية رقم ١٨ ـ ١٩
(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٥ (٥) المرجع السابق نفس المكان

وان مسائل المجوس تدور على قاعدتين هما :

١ ـ بيان سبب امتزاج النور بالظلمة

٢ ـ بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاد (١).

ثم تفرقت المجوس الى فرق أشار اليها مؤرخنا وهى :

١ ـ الكيومرثية
٢ ـ الزروانية
٣ ـ الزردشتية

٢ ـ الثنوية :

من أشهر الفرق الذين لهم شبهة كتاب هم الثنوية أصحاب الاثنين الازليين حيث يرون ان النور والظلمة ازليان قديمان ، ثم تفرقت الثنوية الى فرق أشار اليها الشهرستانى وهى :

١ ـ المانوية
٢ ـ المزدكية
٣ ـ الديصانية
٤ ـ المرقونية
٥ ـ الكينونية
٦ ـ الصيامية
٧ ـ التناسخية منهم (٢).

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ٤٩

(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ٥٨

* القسم الثاني *

* أهل الأهواء والنحل *

لقد وضع الشهرستاني القسم الثاني في الفكر البشري وأطلق عليه أهل النحل والأهواء .

ولقد جاء في القاموس الاسلامي " الأهواء " جمع هوى وهو ميل النفس وانحرافها عن الحقيقة .. قال الله تعالى : " ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق (١) .. وقال أيضا : ولا تتبع أهواء قوم قد ضلوا من قبل (٢) ويقصد بأهل الأهواء أصحاب المعتقدات من غير أرباب الديانات الروحية كالطبيعيين والدهريين ممن يرون في شرائع الدين أمورا مصلحية وفي أحكام الحلال والحرام امورا وضعية ، كما يقصد بأهل الأهواء في تاريخ الفكر الاسلامي أولئك المسلمين الذين انحرفوا عن عقيدة السنة وهو اسم عام يشمل الطوائف والفرق التي اختلفت في مسائل الفروع عن مجموع الامة (٣) .

ولقد جعل الشهرستاني المصدر الأساسي لأصحاب هذا القسم هو شبهات اللعين الاول ومنافقي زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنهم استبدوا بعقولهم وآرائهم ذلك أنهم اعتمدوا على الفطر السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي .

وقد قسمهم الشهرستاني الى نوعين .. نوع لا يقول بالنبوات أصلا .. ونوع آخر يأخذ من مشكاة النبوة ويهتدي بها حيث قال : (.. فالمستبدون بالرأي مطلقا هم ا المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة

---

(١) سورة المائدة - آية رقم ٤٨
(٢) سورة المائدة - آية رقم ٧٧
(٣) الاستاذ احمد عطيه القاموس الاسلامي جـ١ ص٢٠٨ - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣ مكتبة النهضة المصرية .

والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية والمستفيدون هم القائلون بالنبوات " (١).

ولكننا نرى من خلال تتبعنا لآراء الشهرستانى المنهجية نجد أن التقسيم الاساسى عنده يقوم على تقسيم دائر بين النفى والاثبات وهو منهج وطريقة الشهرستانى فى تأريخه للاديان والمذاهب .. يقول مؤرخنا : " أهل الأهواء والنحل " من الصابئة والفلاسفة وآراء العرب فى الجاهلية وآراء الهند هؤلاء يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد (٢) " .

لذلك .. نجد ان الشهرستانى قد قسم الجميع الى ملل واديان والى نحل وأهواء وكأنها متقابلات دائرة بين اثبات الدين ونفيه فى الفكر البشرى كله .

ومن هنا فقد قسم الشهرستانى أهل الأهواء والنحل الى أنواع أربعة وهم : الصابئة ـ الفلاسفة ـ آراء العرب فى الجاهلية ـ آراء الهند وأشار الى أن كل نوع من هذه الانواع يتفرع الى تفريعات وتشريعات ومن هنا فاننا نشير الى كل نوع من هذه الانواع على حدة :

النوع الاول : الصابئة :

جاء فى مختار الصحاح " صبأ خرج من دين الى دين وبابه طبع وصبأ أيضا صار صابئا (٣).

وفى اللغة صبأ الرجل اذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم الصابئة ، وان مدار مذهبهم يقوم الاكتساب والتعصب للروحانيين (٤) .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٣٧
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦
(٣) الامام الرازى ـ مختار الصحاح ص ١٢ مادة صبأ
(٤) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ٢ ص ٦٣

وقد قسمهم الشهرستاني الى نوعين : الاول : هم (قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية وانما اخذوا اصولها وقوانينها من مؤيد الوحي الا انهم اقتصروا على الاول منهم وما نفذوا الى الآخر .. وهؤلاء هم الصابئة الاولى الذين قالوا بعاذ يمون وهرمس وهما : شيث وادريس عليهما السلام ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء) (١).

اما النوع الثاني من الصابئة .. فهم الذين مالوا عن سنن الحق وحادوا عن نهج الانبياء وقد قسمهم مؤرخنا الى أصحاب الروحانيات والى اصحاب الهياكل والاشخاص والى الحرنانية وهؤلاء فرق الصابئة عامة .

النوع الثاني : الفلاسفة :

لقد بدأ مؤرخنا حديثه عن الفلاسفة بمقدمة تتعلق بمعنى الفلسفة والحكمة وتقسيم الحكمة والعلم وغاية الحكماء وقد قسم الفلاسفة الى فلاسفة أوائل وفلاسفة متأخرون من فلاسفة الاسلام والحكماء السبعة والحكماء الأصول ذلك أنه قال : (فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلاً ، ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلون لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر وربما قالوا بالنبوات ومنهم حكماء الروم وهم منقسمون الى القدماء الذين هم أساطين الحكمة والى المتأخرين وهم المشاءون وأصحاب الرواق وأصحاب أرسطوطاليس ، والى فلاسفة الاسلام الذين هم حكماء العجم ، والا فلم ينقل عن العجم قبل الاسلام مقالة في الفلسفة .. اذ حكمهم كلها كانت متلقاة من النبوات اما من الملة القديمة واما من سائر الملل) (٢)

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ٢ ص ٦٢
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١١٨

فهؤلاء هم الفلاسفة الذين أشار اليهم مؤرخنا وهم :

١ ـ الحكماء السبعة :

ان الحكماء السبعة كما ذكرهم الشهرستانى هم : تاليس المالطى ، وانكسا غورس ، وانكسيمانس ، وأنبا دقليس ، وفيثاغورث وسقراط وأفلاطون .

وذكر ان مدار فلسفتهم على مسائل حددها بقوله " وانما يدور كلامهم على ذكر وحدانية البارى تعالى واحاطته علما بالكائنات كيف هى ؟ وفى الابداع وتكوين العالم ، وان المبادى الاول ما هى ؟ وكم هى ؟ وان المعاد ما هو ؟ ومتى هو ؟ وربما تكلموا فى البارى تعالى بنوع حركة وسكون (١).

وعلى ما يبدو لنا ان الشهرستانى .. حينما ذكر هؤلاء الحكماء السبعة الاوائل كأنما يشير الى اتجاه الفكر الفلسفى فى رأيه فذكر الفلاسفة الاول الذين اهتموا بالعناصر ثم ذكر بعد ذلك فيثاغورث الذى نظر الى العالم نظرة رياضية .. واخيرا يشير الى سقراط وافلاطون الذين نهج نهجا جديدا بالبحث فى الماهيات والمثل .

٢ ـ الحكماء الأصول :

بالاضافة الى الحكماء السبعة ذكر الشهرستانى الحكماء الاصول وذلك وفقا للمنهج الذى سار عليه : " الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا أنا لم نجد لهم رأيا فى المسائل المذكورة غير حكم موسلة عملية اوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة " (٢).

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ١١٩
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٥٣

ومن هنا فقد حصرهم مؤرخنا في نوعين وهم :

النوع الاول : الشعراء .. وهم الذين يستدلون بشعرهم دون وزن وقافية .

النوع الثاني : النساك .. وهم الذين نسكهم وعباداتهم عقلية لا شرعية .

وهم على الاجمال فلوطرخيس ، اكسنوفانيس ، زينون الاكبر ، ديمقراطيس ، فلاسفة أكاديميا ، هرقل الحكيم ، أبيقورس ، سولون الشاعر ، أوميروس الشاعر ، بقراط ، ديمقريطيس ، واقليدس ، وبطليموس وأهل المظال .

٣ ـ متأخروا حكماء اليونان :

ويبدو لنا ان الشهرستاني يعني بهؤلاء اى المتأخرين من حكماء اليونان من تلا الحكماء في الزمان وخالفهم في الرأى حيث قال : " وهم الحكماء الذين تلوهم في الزمان وخالفوهم في الرأى مثل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومي والشيخ اليوناني وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم على رأى ارسطوطاليس في المسائل التي تفرد بها عن القدماء " (١) .

وان طريقة الشهرستاني في تناول فلسفة هؤلاء هي نفس المنهج الذي سار عليه وهو تتبع آرائهم وذلك حسب الغرض من المسائل التي شرع فيها الآخرون حيث انه نفس المنهج مع الحكماء الاصول وذلك لانه قال .. " وأوردنا نكتا من كلامه في الالهيات وأحلنا باقي مقالاته في المسائل التي نقل المتأخرين اذ لم يخالفوه في رأى ولا نازعوه في حكم بل هم كالمقلدين له المتهالكين عليه) (٢)

---

(١) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ٢ ص ١٧٨
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٧٩

ويشير النص الى أن رأى أرسطوطاليس هو الرأى السديد ، وذلك لأن تلاميذه ، لم يخالفوه فى المسائل التى تناولها وهم على الترتيب :

أرسطوطاليس بن نيقوماخوس ، الاسكندر الرومى ، ديوجانس الكلبى والشيخ اليونانى ، ثاوفرسطيس ، برقلس ، ثامسطيوس ، الاسكندر الافروديسى فرفريوس .

٤ ـ متأخروا فلاسفة الاسلام :

يعتبر مؤرخنا كل المتأخرين من فلاسفة الاسلام على أنهم متشابهين تشابها تاما ، لذا بدأ بعد اسمائهم وعلمتهم ، ويجعل ابن سينا شيخا لهم لذا اعتبر الحديث عن ابن سينا هو الحديث عنهم حيث قال : " وانما علامة القوم أبو على الحسين بن عبدالله ابن سينا .. لقد سلكوا كلهم طريقة أرسطوطاليس فى جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين ، ولما كانت طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة ونظره فى الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار كأنها عيون كلامه ومتون مرامه وأعرضت عن نقل طرق الباقين " وكل الصيد فى جوف الفراء " (١) .

ومما يبدو للباحث هنا ان الشهرستانى حينما نظر الى آراء ابن سينا اتخذ منحى جديد غير الذى اخذه على نفسه من البحث فى المبادئ وذلك لانه يقسم آراء ابن سينا على حسب اقسام الفلسفة حيث انه يبدأ كلامه عن المنطق ثم الالهيات وقسمها الى عشر مسائل ثم الطبيعيات ثم فى لواحق الاجسام الطبيعية ذاكرا آراؤه باختصار دون اى رد عليه .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٣ ص ٣

النوع الثالث : أنواع العرب في الجاهلية :

يشير الشهرستاني الى ان الغالب على أمة العرب الفطرة والطبع حيث كان اكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات اى أنهم كانوا يميلون الى بيان حقيقة الشيء وأصله .

ومن هنا فقد صنفهم الشهرستاني الى فريقين : الفريق الاول : المعطلة والفريق الثاني : المحصلة :

فأما معطلة العرب فهم :

١ ـ منكروا الخلق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين اخبر القرآن المجيد عنهم " وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) (١) اشارة الى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصرا للحياة والموت على تركبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر (٢) . قال تعالى : " وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم الا يظنون (٣) .

٢ ـ منكروا البعث والاعادة .. وهؤلاء أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وأنكروا البعث والاعادة وهم الذين " اخبر القرآن عنهم فقال "وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم " (٤)

٣ ـ منكروا الرسل .. وهم عباد الاصنام ، ذلك أنهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الدار الاخرة ، حيث انهم حجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا لها القرابين (٥) . ولقد اخبر القرآن عنهم

---

(١) سورة الجاثية ـ آية رقم ٢٤ (٢) الشهرستاني الملل والنحل جـ٣ص٧٩
(٣) الجاثية ـ اية رقم ٢٤ (٤) سورة يس ـ آية رقم ٧٨
(٥) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ ٣ص ٨٠

فقال : " وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا (١) ".

وعلى ما يبدو لنا ان مؤرخنا اخذ هذه التقسيمات للمعطلة من العرب من القرآن الكريم كما هو ظاهر .

وأما محصلة العرب :

وهم في رأي مؤرخنا الذين كان لهم نوع تحصيل في بعض العلوم التي كانت مشهورة أيامهم وأشار الى ثلاثة علوم :

١ ـ علم الانساب والتواريخ والاديان .. وهذا يعتبر علما شريفا عندهم لأن به يعرف نسب وأجداد النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ علم الرؤيا وهو النوع الثاني من العلوم لدى العرب ذلك لأن أبا بكر رضي الله عنه كان ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيها فكانوا يرجعون اليه ويستخبرون عنه (٢) .

٣ ـ علم الأنواء : وهو من العلوم التي كان يتولاها الكهنة والقافة منهم .

النوع الرابع : فرق أهل الهند :

الهند بلاد الاساطير والاسرار ، مجتمع شعوب وطبقات تكثر فيه النحل والآراء الا أن آرائهم مختلفة ونحلهم متعددة لذا يقول مؤرخنا " منهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات اصلا " ، ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى مذهب الثنوية .. ويقول بملة ابراهيم عليه السلام ، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها ، فمن قائل بالروحانيات ومن

---

(١) سورة الفرقان ـ آية رقم ٧ ، ٨

(٢) الشهرستاني ـ الملل والنحل ج ٣ ص ٨٥

قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام .. ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علما وعملا (١)" .

ثم أخذ مؤرخنا يذكر كبار فرقهم على حسب منهجه الذى اتبعه وهو ذكر الفرقة أو المذهب على حسب رأى أصحابها ومقالتها .

وأشار الى أن فرق أهل الهند خمس كبار ثم تتفرع من كل واحدة فرق أخرى وهم :

١ ـ البراهمة .. هم قوم انتسبوا الى رجل من أهل الهند يقال له براهم .. وقد مهد لهم هذا الرجل نفى النبوات أصلا .. ثم قسم الشهرستانى هذه الفرقة الى فرق أخرى فقال .. "ثم ان البراهمة تفرقوا أصنافا فمنهم أصحاب البددة ومنهم أصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ (٢).

٢ ـ أصحاب الروحانيات .. وهم جماعة من أهل الهند أثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله فى صورة البشر من غير كتاب فيأمرهم بأشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود (٣).

ومن تفريعاتهم الباسوية ، الباهودية ، الكابلية ، البهادونية

٣ ـ عبدة الكواكب .. أشار الشهرستانى أنه لم يكن لأهل الهند "مذهب فى عبادة الكواكب" الا فرقتان توجهتا الى النورين الشمس والقمر .. ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئة فى توجههم الى الهياكل السماوية (٤) وهاتان الفرقتان هما : عبدة الشمس وعبدة القمر .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ٣ ص ٩٥
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠١
(٣) المرجع السابق ـ نفس المكان
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٣

٤ ـ عبدة الأصنام .. وهنا يرى مؤرخنا أن أغلب أهل الهند كانوا يرجعون آخر الامر الى عبادة الاصنام ، حيث أنهم كانوا لا يتخذون لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه (١) ومن هذا كانوا يقولون " وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (٢) " .

ومن أشهر فرقهم المهاكالية ، البركسهيكية ، الدهكينية ، الجلهكية " أى عباد الماء " ، الاكنوطرية " أى عباد النار " .

٥ ـ حكماء الهند .. يشير مؤرخنا الى أن مذهب فيثاغورث الحكيم اليونانى قد انتشر فى بلاد الهند حيث " كان لفيثاغورث تلميذ يدعى قلانوس قد تلقى الحكمة منه وتتلمذ عليه ثم صار الى مدينة من مدائن الهند وأشاع فيها مذهب فيثاغورث " (٣) .. ، ولما توفى قلانوس ترأس برخمنون على الهند كلهم .. ورغب الناس فى تلطيف الابدان وتهذيبها الانفس لأنه كان يرى ان من طهر بدنه من أوساخه ظهر له كل شئ وأبين كل شئ وقدر على كل متعذر ، وكان برخمنون هذا تلميذا لقلانوس وبهذا نجد انهم قد سلكوا مذهب فيثاغورث من الحكمة والعلم (٤) .. وهكذا نرى ان ابا الفتح الشهرستانى قد رسم لنفسه خطا بيانيا يسير عليه فى تأريخه للاديان والمذاهب حيث أنه قد جمع فى عصره كل التيارات الفكرية وكل الفرق والمذاهب وذلك من خلال عرضه لافكارهم وآرائهم كما وردت عنهم او كما نقلت اليه " الا نتفات يسيرة تعد على الاصابع "حيث أنه قال : " وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٣ ص ١٠٤
(٢) سورة الزمر ـ آية رقم ٣
(٣) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ٣ ص ١٠٧
(٤) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٨

وان كان لا يخفى على الافهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل ".

وعلى هذا الاساس من المنهجية ، قسم الشهرستانى الفكر البشرى الى قسمين : أهل الاديان والملل .. وأهل الاهواء والنحل .

ثم سار فى تقسيم كل فريق على حدة ذاكرا تشعباته وتفريعاته ومن خلال هذا التقسيم كان مؤرخنا محافظا على تصوره الدينى وموضوعيته الاسلامية التى عرض على ضوئها أديان العالم ومذاهبه وآراوه.

* الفصل الثاني *

* مقارنة بين ابن حزم والشهرستاني *

ويدور هذا الفصل حول المقارنة بين منهج ابن حزم الظاهري والشهرستاني مع الاشارة الى أنهما ضليعان في هذا الفن .

* * * *

* مقارنة بين منهج ابن حزم ومنهج الشهرستانى *

ان الذين كتبوا فى تاريخ الاديان والمذاهب واستعرضوا مقالات الفرق الاسلامية وغير الاسلامية من القدماء عدد كبير .

وليس فى وسع الباحث ان يتتبعهم جميعا .. ولكن فى امكانه ان يشير الى احدهم كمثال او نموذج يستدل به على المنهج الذى سلكه وسار عليه لنقارن بينه وبين منهج مؤرخنا الشهرستانى .

ولما كان المسلمون هم الذين افردوا للبحث فى تاريخ الاديان والمذاهب المؤلفات الخاصة بذلك فانه يمكن ان نشير الى نوعين :

النوع الأول :

وهو الذى عنى بالفرق الاسلامية اولا وبالذات وان اشار الى غيرها وذلك مثل كتاب مقالات الاسلاميين لابى الحسن الاشعرى المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القادر بن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ وغيرها من الكتب التى تتحدث عن هذا المجال .

النوع الثانى :

وهو النوع الذى عنى بتأريخ الأديان والمذاهب وذلك مثل كتاب الفصل فى الملل والنحل لابى محمد على ابن حزم الاندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ وكتاب الملل والنحل للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، وخلاف ذلك من الكتب التى تتحدث عن هذا الفن .

ولكن لما كان ابن حزم والشهرستانى ضليعين فى هذا الفن ويمتاز مؤلفاهما بالوضوح والاتساع والشمول والتحرى فى كحكاية ما يقول به أصحاب المقالات والفرق .. يقول ابن حزم فى مقدمة الفصل " فان كثيرا من الناس

كتبوا فى افتراق دياناتهم ومقالتهم كتبا كثيرة جدا فبعضهم أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلا عن الفهم قاطعا دون العلم ، وبعض حذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير من قوى معارضات اصحاب المقالات فكان فى ذلك غير منصف لنفسه فى ان يرضى لها بالغبن فى الابانة وظالما لخصمه فى ان لم يوفه حق اعتراضه "(١).

ففى هذا النص يشير ابن حزم الى السبب الذى جعله يؤرخ كتابه هذا ، حيث ان الذين كتبوا قبله فى هذا المجال منهم من اطال وأسهب واستعمل الاغاليط والشغب ومنهم من قصر وقلل وحذف واضرب عن كثير من الحجج لاصحاب الاديان والمذاهب فكان فى ذلك غير منصف لنفسه ظالما لخصمه .

ويقول مؤرخنا فى بداية تأريخه لاديان العالم ومذاهبه .. " فلما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات اهل العالم من ارباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص اوانسها وشواردها اردت ان اجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون " (٢) .

ويقول ايضا : " نذكر اربابها واصحابها وننقل مآخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحاتها بعد الوقوف على مناهجها والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها . (٣)

وقد حظى كتابا ابن حزم والشهرستانى فى تأريخهما للاديان والمذاهب حيث ان كتابيهما من اهم الكتب الاسلامية الباقية فى التأريخ للاديان والمذاهب

---

(١) ابن حزم الفصل فى الملل والنحل ج ١ ص ٣
(٢) الشهرستانى ـ الملل والنحل ـ تحقيق أ. عبد العزيز الوكيل ج ١ ص ٩
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٦

ونظرا لأهمية ابن حزم وشهرته فى التأريخ وذيوع اسمه فى الاوساط العلمية باعتباره اكثر مؤرخى الفكر البشرى ، حيث أنه كان " أول من أخضع الاديان كلها لمنهج واحد وهو المنهج الظاهرى الذى يزن بميزانه مبادئها ونصوصها سواء فى الالهيات او فى ما دون ذلك من التشريعات .. والاخلاقيات " (١).

ومن أجل ذلك فاننا نشير هنا الى منهج ابن حزم الذى سار عليه فى تأريخه للفرق والمذاهب حيث أنه بمنهجه الظاهرى الذى أشتهر به واقترن به اسمه ذلك المنهج الذى " يقف جامدا عند ظواهر نصوص الكتاب والسنة .. ويرفض الأخذ بالقياس لأنه يعده من القول بالرأى فى أحكام الله تعالى ومن أشد المنكرات عنده هو القول بالرأى فى هذه الاحكام وبهذا يكون منهجا ضيقا " (٢).

ولقد كان شأن ابن حزم فى الاصول كشأنه فى الفروع فكان يرى التقيد فيهما بظواهر النصوص ولا يسوغ له تعدى ذلك الا بنص او اجماع أو ضرورة حس يدل على أن شيئا فيهما ليس على ظاهرة ، وكان يكفر فى ذلك ويفسق كما فصل فى الفروع والدليل على ذلك اسم كتابه " النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع الاربع المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة " (٣).

ولكن مؤرخنا الشهرستانى يرى أن اصول الاجتهاد وأركانه اربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .. ويقول : " وانما تلقوا صحة هذه الاركان

---

(١) الدكتور عبد الحليم عويس ـ ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى ص ٣٩٧ نقلا بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسى ص ٢٢٥.

(٢) الدكتور عبد المتعال الصعيدى ـ المجددون فى الاسلام ص ١٩٤ ط ٢ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م.

(٣) المرجع السابق نفس المكان.

وانحصارها باجماع الصحابة رضى الله عنهم وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضا ، فان العلم قد حصل بالتواتر أنهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام أو فزعوا الى الاجتهاد وابتدءوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصا او ظاهرا تمسكوا به واجروا حكم الحادثة على مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصا او ظاهرا فزعوا الى السنة ، فان روى لهم فى ذلك خبر أخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم يجدوا الخبر فزعوا الى الاجتهاد ، فكانت أركان الاجتهاد عندهم اثنين او ثلاثة ولنا بعدهم أربعة اذ وجب علينا الأخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم على مناهج اجتهادهم " (١) .

من هنا نرى أن الشهرستانى افسح المجال امام العقل البشرى حيث جعل للمختلفين فى الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية أركانا أربعة : وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وهو بذلك يتسم بالاتساع والوضوح .

ولكن ابن حزم يقف جامدا عند ظواهر نصوص الكتاب والسنة ويرفض الاخذ بالقياس والاجماع.

لذلك يقول الدكتور عبد الحليم عويس " فنحن نميل الى ان ابن حزم لم يحالفه التوفيق فى دراسة النحل على المستوى الذى حالفه فى دراسة الملل فقد خالف منهجه الظاهرى .. كما أنه تجنى على الاشاعرة كثيرا ، ورماهم بالقول بالشرك ونسب اليهم ما لم يقل به جمهورهم " (٢)

على هذا الاساس قد قسم الفرق الموجودة فى العالم كله "أى ابن حزم" غير الفرق الاسلامية الى ما يأتى :

١ — مبطلوا الحقائق : وهم الذين يسميهم المتكلمون "السوفسطائية" .

---

(١) الشهرستانى — الملل والنحل ج ٢ ص ٣

(٢) الدكتور عبد الحليم عويس ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ص ٢٦٥

٢ ـ القائلون باثبات الحقائق الا أنهم قالوا ان العالم لم يزل وأنه لا محدث له ولا مدبر وهم : " الفلاسفة الملحدون " .

٣ ـ القائلون باثبات الحقائق وان العالم لم يزل وانه لا مدبر له لم يزل وهم الفلاسفة الكفرة .

٤ ـ القائلون باثبات الحقائق فبعضهم قال ان العالم لم يزل وبعضهم قال هو محدث واتفقوا على ان له مدبرين لم يزالو وانهم اكثر من واحد .. واختلفوا فى عددهم .. وهم : " الزرادشتيون .. والمانيون .. وعبدة الالهة " .

٥ ـ القائلون باثبات الحقائق وان العالم محدث وان له خالقا واحدا لم يزل وابطلوا النبوات كلها وهم البراهمة .

٦ ـ القائلون باثبات الحقائق وأن العالم محدث وان له خالقا واحدا لم يزل واثبتوا النبوات الا انهم خالفوا فى بعضها فأقروا ببعض الانبياء عليهم السلام وانكروا بعضهم وهم : " اليهود ـ وبعض التثليث من النصارى والصابئة " (١) .

وكان الايثار ابن حزم هذا المنهج ما جعله يضيق بكل مذهب مخالف ، فأثار العداوة بين المسلمين لما يجرى بينهم من الطعن فى الدين والحكم بالفسق والضلال ذلك ان ابن حزم كان " يعتبر اللجوء الى التأويل نوعا من التضليل والخداع كما كان يطبق عليها احكامه العامة وقواعده النقدية بلا استثناء بينها .. وكثيرا ما يلجأ الى حصر الظواهر فيها بدقة " (٢) ولقد طبق ابن حزم منهج الظاهرية مع اصحاب الفرق وهذا جعله يميل الى تجريح الفرق الاسلامية بل الى تكفير الكثير منها .. يقول ابن حزم " واما الاسوارى فجعل ربه مضطرا بمنزلة الجماد " وهذا لا يليق بجلال الله تبارك وتعالى "

---

(١) ابن حزم ـ الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٣ والدكتور عبد الحليم عويس ـ ابن حزم وجهوده ص ٢١٧

(٢) الدكتور عبد الحليم عويس ابن حزم وجهوده ص ٣٣٨ .

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وأما ابو الهذيل فجعل قدرة ربه تعالى متناهية بمنزلة المختارين من خلقه .. وهذا هو التشبيه حقا ، وأما النظام والاشعرية فكذلك ايضا جعلوا قدرة ربهم تعالى متناهية يقدر على شئ ولا يقدر على آخر وهذه صفة أهل النقص وأما سائر المعتزلة فوصفوه تعالى بأنه لا نهاية لما يقدر عليه من الشر وان قدرته على الخير متناهية " (١) .

ومما يعضد قولنا ان ابن حزم كان متسرعا فى اصدار الاحكام مما جعله يميل الى التجريح اكثر من التعديل ، ذلك ان منهج الجدل فى العقائد ليس بهين بل لابد من التروى من اصدار الاحكام .. يقول الله تعالى : " وجادلهم بالتى هى أحسن " ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين " (٢) .

ولكن اذا نظرنا الى المنهج الذى سار عليه الشهرستانى فى تقسيمه للفرق الاسلامية وغير الاسلامية نرى انه يقول فى ذلك " من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى والمسلمين ، وممن لهم شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ، وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الفلاسفة الاولى والدهرية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة .. ثم يقول ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والملل واهل الاهواء والنحل . (٣).

وعلى ذلك يرى الشهرستانى ان التقسيم الصحيح هو التقسيم الدائر بين النفى والاثبات وهو منهج وطريقة الشهرستانى فى التأريخ للاديان والمذاهب .

بجانب ذلك أيضا نجد ان الشهرستانى قد عين قانونا اساسيا لتحديد الفرق الاسلامية حيث قال : " وما وجدت لاحد من ارباب المقالات عنايته بتقرير هذا

---

(١) ابن حزم ـ الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ ص ١٩٣
(٢) سورة النحل ـ آية رقم ١٢٥
(٣) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٦

الضابط الا انهم استرسلوا فى ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا على قانون مستقر واصل مستمر ، فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التقدير حتى حصرتها فى اربع قواعد هى الاصول الكبار " (١).

ويقول ايضا عن المذاهب جميعا : " نذكر اربابها واصحابها وتنقل مآخذها ومصادرها طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مظانها والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها " (٢) .

بالاضافة الى ذلك قد اخذ الشهرستانى الشرط على نفسه الذى يعتبره بحق دستورا لمؤرخى المقالات فى العالم حيث قال : " وشرطى على نفسى ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لا يخفى على الافهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل " (٣) .

ولقد جاء فى كتاب الاحياء للامام الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) " بأن صانع العالم قادر وانه تعالى فى قوله " وهو على كل شىء قدير " صادق لأن العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ، ذلك ان من رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريق ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له او عن انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك اهل الغباوة والجهل .. بجانب ذلك العلم بأن الله تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعذب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .. صادق فى قوله وهو بكل شىء عليم ومرشد الى صدقه

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٢
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٦
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٤

بقوله تعالى : " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ، ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشئ الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف " (١).

ولكن ابن حزم بمنهجه الذى سار عليه مع اصحابه الفروق دعاه الى رفض كلمة الصفات اطلاقا .. يقول ابن حزم فى معرض حديثه لمناقشة أهل الفرق " واما اطلاق لفظ الصفات لله تعالى محال فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده ، بل هى بدعة منكرة ، وان الذى اخترع لفظ الصفات المعتزلة وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة " (٢).

بالاضافة الى ذلك ايضا فقد رفض ابن حزم القياس وخصوصا قياس الغائب على الشاهد رغم ان قياس الغائب على الشاهد كان شائعا بين المتكلمين ومن اول الطرق التى أخذوا بها ، وهذا القياس هو القياس الاصولى ، فالمقيس عليه عند المتكلمين هو الاصل عند الاصوليين .. والمقيس هو الفرع والجامع بين الاصل والفرع او بين الشاهد والغائب هو العلة عند الاصوليين " (٣).

ولكن ابن حزم يرفض الاخذ بالقياس حيث قال فى ذلك " ولا يجوز عند القائلين بالقياس ان يقاس الشئ الا على نظيره ، واما ان يقاس الشئ على خلافه من كل جهة وعلى مالا يشبهه فى شئ البتة فهذا مالا يجوز اصلا عند احد فكيف والقياس كله باطل " (٤).

---

(١) الامام الغزالى — احياء علوم الدين ج ١ ص ١١٤ ط عيسى الحلبى ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م

(٢) ابن حزم — الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١

(٣) الدكتور على سامى النشار — مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ص ١٢٩

(٤) ابن حزم — الفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ١٥٨

وهكذا نرى ان ابن حزم كان ظاهريا متعصبا ، ولدرجة حفاظه على منهجه هذا كان يكفر مخالفيه ويفسقه حتى قال فيه ابو العباس ابن العريف : " كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج ابن يوسف الثقفى شقيقين فنفرت عنه القلوب واستهدف الفقهاء وقته فتمالؤا على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه او الاخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده واوقدت أيدى العامة الى كتبه حرقا وتخريقا .. وقد قال ابن حزم فى ذلك :

وان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى ∴ تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى ∴ وينزل ان انزل ويدفن فى قبرى
دعونى من احراق رق وكاغد ∴ وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
والا فعودوا فى المكاتب بدأة ∴ فكم دون ما تبغون لله من ستر (١)

ولكن اذا كان الطابع الغالب على منهج ابن حزم هو المنهج الظاهرى الذى عرف به كان ابن حزم ينهج طريقة النقد والدحض واظهار التهافت والبطلان فيما يراه باطلا من العقائد .. يقول ابن حزم فى اثناء كلامه عن النصارى : " لولا ان الله تعالى وصف قولهم فى كتابه اذ يقول الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم " (٢) ويقول ايضا حاكيا عنهم " ان الله ثالث ثلاثة " ويقول ايضا " يقول الله تعالى : "أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله " (٣) .. لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا ان فى العالم عقلا يسمع هذا الجنون

---

(١) الدكتور عبد المتعال الصعيدى ـ المجددون فى الاسلام ص ١٩٢
(٢) سورة المائدة ـ آية رقم ٧٢ ، ٧٣
(٣) سورة المائدة ـ آية رقم ١١٦

ويقول ايضا " ويكفى من بطلان هذا القول دخوله فى باب المحال والممتنع الذى قد اوجب العقل والحس بطلانه " (١).

ولكن ابن السبكى فى ترجمته للشهرستانى عرض لابن حزم وكتابه الفصل فقال : " وكتاب الملل والنحل للشهرستانى هو عندى خير كتاب صنف فى هذا الباب ومصنف ابن حزم وان كان ابسط الا انه مبدد ليس فيه نظام ثم فيه من الحط على أئمة اهل السنة ونسبة الاشاعرة الى ما هم بريئون منه ما يكثر تعداده ، ثم ان ابن حزم نفسه لا يدرى علم الكلام حق الدراية على طريقة اهله وفيما ذكره السبكى عن ابن حزم ما يدل على انه لم يفرق بين منهجى التقرير والرد " (٢).

وبالرغم من ذلك فقد كان ابن حزم احد العلماء البارزين فى هذا المجال ولا ينكر له الفضل فى أنه أول من أخضع الاديان كلها لمنهج واحد هو المنهج الظاهرى حسب اعتقاده ، وهذه ميزة كبرى فى تاريخ ابن حزم الاندلسى .

ولكن اذا نظرنا الى الشهرستانى نرى أنه سلك منهجا جديرا بالدرس والاتباع حيث انه اعتنى بالترتيب المنطقى فى تأريخه للاديان والمذاهب ذلك أنه كان يضع لنفسه التمهيدات والمقدمات اولا لكى يودعها خلاصة علمه وعصارة ثقافته المترامية الاطراف ويضمنها التجارب العلمية التى مارسها بنفسه ، ثم بعد ذلك يأتى بما يريد ان يصل اليه والدليل على ذلك أنه وضع فى بداية كتابه خمس مقدمات عامة ضمنها منهجه الذى سار عليه فى التأريخ للاديان والمذاهب ، وذكر ان هناك من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة وهناك من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة وهناك من قسمهم

---

(١) ابن حزم – الفصل فى الملل و[illegible]حل ج ١ ص ١٤٩ [illegible]

(٢) نقلا من الرد الجميل للامام الغزالى – تحقيق الاستاذ عبد العزيز عبد الحق ص ٨٩ ط مجمع البحوث الاسلامية .

بحسب الامم ، امة العرب ، أمة العجم ، أمة الروم ، أمة الهند مع المزاوجة بين كل أمة من هذه الامم .

أما منهج الشهرستانى فهو يختلف عن ذلك وهو ما انفرد به مؤرخنا حيث انه قسم أهل العالم بحسب الآراء والمذاهب وكان ذلك عرضه من وضع موسوعته العلمية الهائلة فى هذا المجال فيقول فى ذلك .. " فالناس منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى أهل الديانات وأهل الاهواء والنحل " (١).

وهكذا نرى ان الشهرستانى وضع لنفسه منهاجا يسير عليه فى التأريخ للاديان والمذاهب ، وان كان هذا لا يمنع ان تكون له بعض الهنات ولكن هذه الهنات لا تمس امانته العلمية لمنهج ذلكم العالم الثبت الذى أرخ لاديان العالم ومذاهبه وآرائه .

لذا .. نشير الى تقييم الشهرستانى كمؤرخ للاديان والمذاهب فى الصفحات التالية .. ؟

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ١٠

* الفصل الثالث *

* تقييم الشهرستاني كمؤرخ للاديان والمذاهب *

ويدور هذا الفصل حول التقييم من جهة مصادر الشهرستاني
ومن جهة المنهج الذى سار عليه فى التأريخ للاديان والمذاهب

* * *

* تقييم الشهرستانى كمؤرخ للاديان والمذاهب *

لقد كان أبو الفتح الشهرستانى من المؤرخين القلائل ، ان لم نقل أنه المؤرخ الوحيد الذى أفرد للبحث فى تاريخ الاديان والمذاهب ، ذلك أنه المفكر الوحيد الذى نظر الى الفكر البشرى نظرة شمولية موضوعية حيث ان الفكر البشرى هو علامة للحياة البشرية الدالة على حيوية هذه الحياة ، فحياة بلا فكر .. كجسم بلا روح ، وهكذا لا نعجب اذا كان مؤرخنا قد انتهج نهجا قويما فى تأريخه لاديان العالم ومذاهبه ، حيث وجدناه قد قسم الفكر البشرى كله الى قسمين : قسم لاهل الاديان والآخر لأهل الاهواء .

ذلك أن حياة الفكر البشرى متصلة دائمة كاتصال آنات الزمان وذرات المكان وان الفكر البشرى متصل الحلقات ، حيث انه حلقة كبيرة تحتوى فى داخلها كل علوم الشعوب المختلفة عبر الازمنة المنصرمة .

هذا ويكاد يجمع الباحثون فى الفكر الاسلامى على أن كتاب الملل والنحل الذى وضعه الشهرستانى يمتاز عن غيره من الكتب التى تعالج الفكر البشرى بكونه تاريخا موضوعيا شاملا للمذاهب الفكرية والدينية (١).

وقد اتضح لنا سابقا ان الشهرستانى .. كان مجرد ناقل لما كان متداولا بين المتقدمين عليه ، حيث أنه ضم آرائهم واستقاها من كتبهم وأودعها كتابه الملل والنحل ، ومن هنا تأتى اهميته التأريخية .

---

(١) الشهرستانى — الملل والنحل ج ١ص ١٢ تحقيق الدكتور بدران الطبعة الثانية — مكتبة الانجلو المصرية .

وان كان هذا لا ينفى أن تكون له بعض الهنات وربما تكون هذه الهنات حسنات من ناحية أخرى ، وعلى كل فان هذه الهنات لا تمس الامانة العلمية لمنهج ذلكم العالم الثبت .

لذا .. نشير اليها فيما يلى :

أولا : تقييم الشهرستانى من جهة مصادره :

ان عقلية الشهرستانى المنهجية عقلية ذات ذوق راق وانها تدل على ان مؤرخنا : أرخ لأديان العالم ومذاهبه وآرائه ، ولكنا من خلال تتبعنا لآرائه ومصادرة نراه يشك فى نسبة بعض الاقوال لاصحابها ، لكنه سرعان ما يصرح بهذا الشك فيقول : (ورأيت رسالة نسبت الى الحسن البصرى كتبها الى عبد الملك ابن مروان فقد سأله فيها عن القول بالقدر والجبر فأجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطاء) (١).

ثم نجده ايضا فى أثناء حديثه عن فرقة المعمرية التى هى احدى فرق المعتزلة بعد ان اثبت حكاية جعفر ابن حرب الذى نقلها عن معمر بن عباد السلمى فى " ان الله تعالى محال ان يعلم نفسه .. ومحال ان يعلم غيره كما يقال محال ان يقدر على الموجود من حيث هو موجود ... نجده يقول ولعل هذا النقل فيه خلل (٢). ويقول بعد ذلك بسطور فاما ان لا يصح النقل واما ان يحصل على هذا المحصل (٣).

---

(١) الشهرستانى - الملل والنحل جـ ١ ص ٤٧ - تحقيق الاستاذ الوكيل
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٨
(٣) المرجع السابق نفس المكان.

ونجده ايضا فى نقل بعض الآراء لم يثبت على رأى معين فبعد ان يثبت لطائفة نراه يثبت ايضا للأخرى .. يقول الشهرستانى : " .. والمصنفون فى المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية ، والاشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ، ونحن سمعنا اقرارهم على أصحابهم من النجارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية " (١)

وعلى ما يبدو للباحث ان الشهرستانى لم يصرح بمصادره الا فى اطار غامض وفى احيان اخرى نجده يصرح بهما مع ذكر اسمائها واسماء اصحابها، فنراه فى اثناء كلامه عن سقراط قد اثبت فلوطوخيس كمصدر لسقراط حيث قال : " وحكى فلوطوخيس فى المبادئ انه قال " (٢) .

كما نراه ايضا يذكر لافلاطون مصادر مختلفة فقال .. " وقد اخذ العلم من سقراط وطيماوس والغريبين .. غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية " (٣) .

ونجده ايضا فى بعض المواضع يثبت بعض الاشياء لنفسه فيقول : " .. وقد رأيت فى كلام ارسطوطاليس كما سيأتى حكايته له انه ربما يميل الى مذهب افلاطون " (٤) .

وعلى هذا نجد ان الشهرستانى كان يعتمد على شراح الافلاطونية الحديثة دون ان يحقق نصوصهم ومصادرهم وذلك بالرغم من انه فى اول كتابه جعل من المبادئ التى يعتمد عليها تقصى المصادر وتحقيقها ، وقد ذهب الدكتور النشار الى ان تلك الاخطاء التى وقع فيها الشهرستانى ليست وقفا

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ٨٦

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤٣

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤٩

على الشهرستاني وحده فقال : " وقع صاحبه في أخطاء كثيرة عن الفلسفة اليونانية وتاريخ فلاسفتها ولكن تلك الاخطاء شائعة في كتب الفلسفة في العالم الاسلامي عامة .. وليست وقفا على الشهرستاني وحده وليس المسلمون هم المسؤلون عنه بل من نقل كتب اليونان من نواجمه سريان ويعاقبة ونساطرة " (١).

ثانيا : تقييم الشهرستاني من جهة منهاجه :

لقد عمل الشهرستاني جاهدا في السير على المنهاج الذي رسمه لنفسه باذلا كل جهده ومحاولاته للسير على الشرط الذي أخذه على نفسه الذي يعتبره بحق دستورا لمؤرخ المقالات في العالم ، ولكن يؤخذ على مؤرخنا بعض المآخذ نشير اليها فيما يلي :

١ - انه اعتمد على الحديث النبوي الذي يقول " ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى .. قيل ومن الناجية ؟ قال : أهل السنة والجماعة .

وفي الحقيقة أنه بغض النظر عن توثيق الحديث فان هذا التقسيم الذي قدمه لنا الشهرستاني يبقى عملا جادا وجيدا على مدى الزمان ، وعلى وجه الخصوص في الفرق الاسلامية الاساسية ، ذلك ان ما يحمد عليه الشهرستاني انه قدم لنا منهجا معين ومحددا للسير عليه في التاريخ للاديان والمذاهب ولو أننا افترضنا ان الشهرستاني لم يعتمد على هذا الحديث وقسم هذه الفرق بنفس الطريقة مع عدم الزيادة عليها او النقص فيها

---

(١) الدكتور علي سامي النشار ج ١ ص ٥٢٥ - ط ٢ - دار المعارف نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام .

فكيف كان يقال عليه ؟ .

بالاضافة الى ذلك ان الشهرستانى حشر كل الفرق فى زمرة الفرق غير الناجية وذلك بناء على نص الحديث ، ولكن لم لا يكون هذا اقرب الى الصواب ؟ فان اهل السنة والجماعة هم الذين حافظوا على الاسلام طوال القرون الماضية ، واذا كان هذا هو شعور الشهرستانى فى عصره فنحن نميل الى رأيه .

٢ ـ تقسيم الشهرستانى للفكر البشرى الى اديان ومذاهب وجعل الاول مصدره الوحى وجعل الثانى مصدره الشيطان وهذا هو الصواب ، ذلك ان الشهرستانى جعل لكل منهما مجال حيث انه جعل الاستقلال بالرأى فى صنوه اتجاها خاطئ وهو على الحق فى ذلك ويكفى المعارض له فى ذلك انه اوجد له حرية الرأى فى القول بحيث يكون بعيدا عن مصدر الوحى ، وان هذا : هو الفكر المتناسق الذى يدل على اسلامية الشهرستانى وحفاظه على موضوعيته الدينية .

٣ ـ والذى يؤخذ على الشهرستانى ايضا انه اضطرب فى عد كبار فرق المسلمين فالشهرستانى يقول : " كبار الفرق اربع القدرية ، الصفاتية والخوارج والشيعة . ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة (١) .. ولكن بعد ذلك نجده يقول : " الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضاد وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية والشيعة والخوارج .. وهذا التضاد بين كل فريق فريق كان حاصلا فى كل زمان ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم . (٢)

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ١٣

ونراه ايضا لم يلتزم فى نقلـه لآراء بعض الفرق من كتب كل فرقـة
كما اشترط ذلك على نفسه حيث نجده يقول فى نهاية المقدمة علـى
الجبرية " والمصنفون فى المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية
وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية ، والاشعرية سموهم تارة حشوية
وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على اصحابهم من النجارية فعددناهم
من النجارية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية " (١).

ونجده ايضا بعد ان ذكر آراء الصالحية والبترية من فرقة الزيـدية
يقول : " واكثرهم فى زماننا مقلدون لا يرجعون الى رأى واجتهاد اما فى
الاصول فيرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال
اكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت وأما فى الفروع فهم على مذهب
أبى حنيفة الا فى مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله
والشيعة " (٢).

٤ ـ ومما يؤخذ على الشهرستانى أيضا تلك المقارنات العابرة التى ان
دلت على شئ فانما تدل على عقلية الشهرستانى المنهجية ، ولكن
هذه المقارنات كانت تخرجه فى بعض المواقف عن منهاجه والدليل على
ذلك قوله : عن الهذيلية اتباع ابى الهذيل العلاف فى معرض
كلامه عن الصفات " وانما اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا
ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وقوله ايضا " واذا اثبت ابـو
الهذيل هذه الصفات وجوها للذات فهى بعينها اقانيم النصارى " (٣)

فالشهرستانى هنا يشير الى ان ابى الهذيل اقتبس من الفلاسفـة
ومن اقانيم النصارى .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ ١ ص ٨٦
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٢
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٥٠

وقوله عن الجاحظ " وذهبه مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات وفى اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة " (١).

فهو هنا ايضا يذكر ان الجاحظ قرأ كثيرا من كتب الفلاسفة وانه فلسفى المذهب معتزلى الصفات .

ومن مقارناته ايضا نجد انه يقارن بين الفلسفة وأرباب الملل حيث يقول : " فكل ما ورد به اصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة " (٢) .

بجانب هذا ايضا فى اثناء حديثه عن الحكماء الاصول نجد انه يقارن بين الشعر والنسك اليونانيين فيقول : " فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية .. ومنهم النساك .. ونسكهم وعباداتهم عقلية لا شرعية " (٣).

ولكن اذا كانت هذه المقارنات العظيمة تخرج الشهرستانى بعض الشئ عن منهجه ولكنها فى الوقت نفسه تدل على هضم الشهرستانى لواسع معلوماته ومحاولاته الجليلة للربط بينهما .

• ـ ومن ذلك ايضا ان الشهرستانى ذكر فى نهاية المقدمة الخامسة من مقدماته العامة انه سيذكر كل مقالات اهل العالم من لدن آدم الى وقته ولكننا من خلال تقصينا لتلك المقالات نجد انه اغفل بعض المقالات فمثلا لم يذكر المتصوفة مطلقا لا فى اصول الفرق ولا فى فروعها مع أن الامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥ هـ) وهو سابق للشهرستانى ذكر فى منقذه من الضلال ان اصناف الطالبين للحق عنده اربع فرق وهم : المتكلمون والباطنية والفلاسفة والصوفية " (٤) فالامام الغزالى بهذا قد عد الفرق الصوفية .

---

(١) الشهرستانى ـ الملل والنحل ج ١ ص ٧٥

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١١٨

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٣

(٤) الامام الغزالى المنقذ من الضلال ص ٩٣ تحقيق د . عبد الحليم محمد ط ٨

ونجد ايضا ان الامام الرفخر الدين الرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ تقريبا قد افرد فى كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين بابا فى احوال الصوفية فقال : " اعلم أن اكثر من قص الفرق لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية ولأن الطريق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن وهم فرق" (١)

بالاضافة الى ذلك لم يذكر الشهرستانى مقالات قدماء المصريين ولا مقالات قدماء الصين ، كما لم يذكر ايضا الموحدين اتباع ابن تومرت الذين ادالوا دولة الملثمين بالمغرب .. وبالرغم من ذلك فالشهرستانى يشير اليهم فى اثناء حديثه عن الواصلية فيقول : " وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلد ادريس ابن عبد الله الحسنى الذى خرج فى المغرب فى ايام ابى جعفر المنصور " (٢).

ذلك ان ابن تومرت قد عظم شأنه فى هذه البلاد وارتفع أمره وقويت شوكته وتسمى بالمهدية وسمى جيشه جيش الموحدين وألف كتابا فى التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة " (٣).

بجانب هذا ايضا نجد ان الشهرستانى يغفل الكلام عن السوفسطائين بالرغم من أنه عدهم من فرق اهل الاهواء اذ قال " والتقسيم الضابط ان نقول من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية " (٤)

وأغفل الحديث ايضا عن الرواقيين والدهريين ، وقد كان من جراء هذا الى ان ذهبت دائرة المعارف الاسلامية الى وصف الشهرستانى بالجهل .. حيث قال : " يبدو لابناء عصرنا هذا جاهلا كل الجهل بالفلسفة اليونانية " (٥) .

---

(١) الامام الرازى — اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٢ تحقيق الدكتور على سامى النشار مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م

(٢) الدكتور محمد ابن فتح الله بدران — المدخل الى كتاب الملل والنحل ص ٢٠٠

(٣) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨٦

(٤) الشهرستانى — الملل والنحل ج ١ ص ٦٢ (٥) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٣ ص ٤٢٤

ولكن هذا القول فيه اجحاف وظلم في حق الشهرستاني فقد ظهر لنا سابقا ان الشهرستاني كان مجرد ناقل لما كان موجودا بين الشراح والمترجمين .. ومن هنا يظهر دوره في التاريخ ، وبالاضافة الى ذلك فان اهميته ليست في تأريخ الفلسفة اليونانية وانما في تأريخ نظرة المسلمين الى الفلسفة اليونانية ، ولملل الشهرستاني كان من حفاظه على موضوعيته الدينية الامر الذي جمله يغفل بعض هاتيك المقالات وبالرغم من ذلك فان هذه الهنات الصغيرة التي تعد على الاصابع لا تمس الامانة العلمية لمنهج الشهرستاني ذلك لأنه قدم لنا منهجا موضوعيا جديرا بالاتباع والدرس ومن اراد المزيد فعليه بكتاب الملل والنحل .

* *

* الخاتمة *

تتناول أهم النتائج التي خرجت بها من البحث
مع ذكر المراجع والفهارس .

* * *

* الخاتمــــة *

ونستعرض فيها على وجه الاشارة أهم ما توصل اليه الباحث من النتائج التى خرج بها من هذه الدراسة ، حيث أنى تناولت فى هذا البحث دراسة منهجية ثبت من خلالها ما يأتى من نتائج :

١ ـ أن وصول الشهرستانى الى قمة السلم العلمى فى عصره كشف عن جوانب فكرية هامة فى شخصية هذا العالم الثبت ، الذى لفت أنظار الباحثين فى مختلف العصور والاماكن كمؤرخ للاديان والمذاهب ولاقى كتابه فى " الملل والنحل " رواجا فكريا عظيما قديما وحديثا ومازال مرجعا هاما فى تاريخ الأديان والمذاهب حتى ترجم الى عدة لغات عالمية .

٢ ـ عرف الشهرستانى بغزارة علمه وقوة اقناعه لدرجة ان مجالسه العلمية كانت تدون لجلالها وعمق فكرها حتى أشاد بفكره علماء الشرق والغرب على السواء .

٣ ـ ان علم " تاريخ الاديان " يمتد الى العصور القديمة فظهر على ساحة الفكر اليونانى والرومانى نقد للمعتقدات الدينية القديمة فصاحبها بداية ظهور علم الأديان ، فكان تيوجنس اول من نقد زيوس أبا الآلهة والبشر وذلك بلهجة لاذعة يبدو منها البعد والتنصل من الايمان المطلق فى ذلك العصر .. اى عصر ما قبل التاريخ .. ولكن كان ذلك لا يكون منهجا ولا يرسم خطة لأنهم تناولوها من خلال نظرياتهم وبحوثهم الاخرى ، ولكن هذا العلم قد ضمر فى العصور الوسطى نتيجة لتعدد الحروب

وضعف الخلفاء الى أن جاءت النهضة الاوربية الحديثة وتناول علماء اوروبا هذا الفن من خلال بحوثهم الفلسفية ونظرياتهم الاجتماعية حيث لم يفردوا له المؤلفات الخاصة به ، حتى كان علماء المسلمين هم الذين بدأوا تدوين هذا العلم وأفردوا له المؤلفات ذات الموضوعية المنهجية وذلك قبل ظهور علم الديانات المقارن عند الغربيين ، ومن هذه المؤلفات ذات الموضوعية المنهجية هو منهج مؤرخنا ابو الفتح الشهرستانى .

٤ ـ ان الشهرستانى وضع لنفسه الشرط الذى يعتبر دستورا لكل مؤرخى المقالات فى العالم حيث قال : (وشرطى على نفسى ان اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله ، وان كان لا يخفى على الافهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل) .

٥ ـ موضوعية الشهرستانى الدينية .. جعلته يقسم الفكر البشرى الى قسمين :

القسم الاول : لأهل الاديان وجعل مصدره الوحى .

القسم الثانى : لأهل الاهواء وجعل مصدره الشيطان .

وبذلك اتاح الشهرستانى المجال لاهل الفكر البشرى كله وتلك ميزة عظيمة فى فكر هذا العالم الجليل .

٦ ـ ان هذا التقسيم الذى قسمه الشهرستانى للفكر البشرى يبقى عملا جادا وخاصة فى الفرق الاسلامية ويكفى الشهرستانى أنه قدم منهجا معينا فى تحديد المقالات واصحابها .

٧ ـ بالبحث والمقارنة بين منهج الشهرستانى وغيره وضح أن منهج مؤرخنا يمتاز عن غيره بالدقة والتحرى فى حكاية ما يقول به أصحاب المقالات ، وإن كان له بعض الهنات ولكن هذه الهنات لا تمس امانته العلمية كمؤرخ للاديان والمذاهب •

٨ ـ مما لا ريب فيه ان مجال البحث فى الاديان والمذاهب مجال خصب فسيح بعيد المنال ذا عمق فى الافكار مما يفتح الطريق امام ذوى البحوث واصحاب الرسائل العلمية الذين يحبون أن يضيفوا الى المكتبة الاسلامية جديدا فى سلم الترقى الى الوصول الى الحقائق المنهجية فى العقائد والمذاهب خصوصا اذا ما كان ذلك يأخذ طريق البحث المصحوب بالمقارنة الجادة التى تصل بالباحث الى افضل السبل والتحقيق الرضى لما شابه الغموض او سلك طريق العلم والتعلم بالنقد البناء •

والله ولى النعم وصاحب التوفيق ...

* مراجع البحث *

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ ابن كثير ـ أبو الفداء اسماعيل ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ـ مكتبة التراث الاسلامى ـ سوريا ـ حلب ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م •

٣ ـ ابن كثير ـ أبو الفداء اسماعيل ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الاولى ١٩٦٦م•

٤ ـ ابن حزم ـ ابو محمد على ابن احمد ابن حزم الظاهرى ـ الفصل فى الملل والنحل ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م•

٥ ـ ابن العماد ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ المكتب التجارى للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ بدون •

٦ ـ ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية•

٧ ـ ابن حجر العسقلانى ـ لسان الميزان ـ منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١م•

٨ ـ ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ـ دار صادر بيروت ـ طبعة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م •

٩ ـ ابن الوردى ـ التاريخ ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م • الطبعة الثانية •

١٠ ـ ابن الجوزى البغدادى ـ تلبيس ابليس ـ ادارة الطباعة بالمنيرة •

١١ ـ ابن خلدون ـ المقدمة ـ طبعة دار الشعب •

١٢ ـ ابن ماجه ـ صاحب السنن ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ طبعة عيسى الحلبى ـ ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٢م•

١٣ ـ ابو داود ابن اسحق الازدى ـ صاحب السنن ـ تحقيق الشيخ احمد سعد على ـ طبعة عيسى الحلبى ـ الطبعة الاولى • ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م•

١٤ ـ ابو الحسن الاشعرى ـ صاحب مقالات الاسلاميين ـ تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م الطبعة الثانية •

١٥ ـ أبو المظفر الاسفراييني ـ التبصير فى الدين ـ تحقيق الدكتور محمود محمد الخضرى ـ مطبعة الانوار ـ ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م .

١٦ ـ أبو عبد الكريم السمعانى ـ كتاب الانساب ـ نشر المستشرق د . س مرجليوث مكتبة المثنى ببغداد ـ طبعة بالافست ـ ١٩٧٠م .

١٧ ـ أبو العباس ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ـ تحقيق الدكتور احسان عباس دار صادر بيروت .

١٨ ـ أبو عبد الله بن سعد اليافعى ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ منشورات مؤسسة الأعلمى ـ بيروت لبنان ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م الطبعة الثانية .

١٩ ـ ابو حامد الغزالى (الامام) ـ احياء علوم الدين ـ طبعة عيسى الحلبى ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م .

٢٠ ـ أبو حامد الغزالى ـ الامام ـ الاقتصاد فى الاعتقاد ـ مكتبة محمد على صبيح ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٥م .

٢١ ـ أبو حامد الغزالى ـ (الامام) ـ المنقذ من الضلال ـ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ـ طبعة حسان ـ الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

٢٢ ـ أبو حامد الغزالى (الامام) ـ رد الجميل ـ تحقيق الاستاذ عبد العزيز عبد الحق ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ـ ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤م

٢٣ ـ أبو الفتوح رضوان ومشاركه ـ (الدكتور) اصول العالم الحديث ـ طبع الجهاز المركزى للكتب الجامعية ـ ١٩٨١م .

٢٤ ـ آدم متز ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ليلة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م .

٢٥ ـ احمد امين ـ (الاستاذ) ـ ضحى الاسلام الطبعة التاسعة ١٩٧٩م مكتبة النهضة المصرية .

٢٦ ـ أحمد امين (الاستاذ) ـ فجر الاسلام ـ الطبعة الثانية عشرة ـ ١٩٧٨م ـ مكتبة النهضة المصرية .

٢٧ ـ احمد شلبى (الدكتور) ـ الاسلام ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٣م ـ مكتبة النهضة المصرية .

٢٨ ـ احمد شلبى ـ (الدكتور) ـ المسيحية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٧م مكتبة النهضة المصرية .

٢٩ ـ أحمد شلبي ـ الدكتور ـ اليهودية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٩م ـ مكتبة النهضة المصرية •

٣٠ ـ احمد شلبي (الدكتور) ـ تاريخ المناهج الاسلامية ـ الطبعة الاولى ٩٧٨ ام ـ مكتبة النهضة المصرية •

٣١ ـ أحمد شلبي (الدكتور) ـ أديان الهند الكبرى ـ الطبعة الخامسة ـ ٩٧٩ ام ـ مكتبة النهضة المصرية •

٣٢ ـ أحمد الشاعر ـ (الدكتور) مناهج البحث الخلقي في الفكر الاسلامي الطبعة الاولى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م • ـ دار الطباعة والنشر المحمدية

٣٣ ـ احمد عطية ـ (الاستاذ) القاموس الاسلامي ـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م •

٣٤ ـ احمد ابن حنبل (الامام) المسند ـ طبعة بيروت ـ دار صادر بيروت

٣٥ ـ النسائي ـ صاحب السنن ـ الحافظ ابي عبد الرحمن ابن شعيب ـ طبعة عيسى الحلبي ـ ١٣١٢هـ ـ

٣٦ ـ الترمذي (الامام) ـ صاحب السنن ـ الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى طبعة الفجالة •

٣٧ ـ البيهقي ـ تاريخ حكماء الاسلام ـ تحقيق محمد كرد ـ مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ـ ١٩٧٩م •

٣٨ ـ الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت لبنان بدون •

٣٩ ـ الشهرستاني ـ (محمد بن عبد الكريم بن احمد) الملل والنحل ـ تحقيق الاستاذ عبد العزيز محمد الوكيل ـ طبعة عيسى الحلبي

٤٠ ـ الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن احمد) ـ الملل والنحل ـ تحقيق الدكتور محمد بن فتح الله بدران ـ الطبعة الثانية مكتبة الانجلو المصرية •

٤١ ـ الشهرستاني ـ محمد بن عبد الكريم بن احمد ـ نهاية الاقدام في علم الكلام تحقيق الفرد جيوم •

٤٢ ـ الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن احمد ـ مصارعة الفلاسفة ـ تحقيق الدكتورة سهير محمد مختار ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦م

٤٣ ـ الشهرستاني ـ محمد بن عبد الكريم بن احمد ـ آراؤه الكلامية والفلسفية للدكتورة سهير مختار ـ مخطوطة بكلية البنات ـ جامعة عين شمس تحت رقم ١٨٩ •

٤٤ ـ جواد علي (الدكتور) ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ طبعة دار العلم للملايين ـ ١٩٧٦م .

٤٥ ـ جميل صليبا (الدكتور) المعجم الفلسفي ـ طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٧٣م .

٤٦ ـ حسن عثمان (الدكتور) ـ منهج البحث التاريخي ـ الطبعة الرابعة ـ دار المعارف .

٤٧ ـ خير الدين الزركلي ـ قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ـ الطبعة الثانية لوستانوماتس ١٩٥٧م

٤٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ طبعة تلفن ١٣١٨هـ .

٤٩ ـ رؤوف شلبي (الدكتور) ـ ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ـ مكتبة الازهر ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٤م

٥٠ ـ زوقان قرقوط (مترجم) ـ المذاهب الكبرى في التاريخ ـ طبعة دار العلم بدون تاريخ .

٥١ ـ طاش كبرى زاده ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ تحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب ابو النور ـ مطبعة الاستقلال الكبرى .

٥٢ ـ عبد القادر بن طاهر البغدادي ـ الفرق بين الفرق ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر .

٥٣ ـ عبد الحليم محمود (الدكتور) ـ التفكير الفلسفي في الاسلام ـ الطبعة الثالثة مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م .

٥٤ ـ عبد المتعال الصعيدي (الدكتور) المجددون في الاسلام ـ الطبعة الثانية مكتبة الاداب بالجماميز . ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

٥٥ ـ عبد اللطيف محمد العبد (الدكتور) مناهج البحث العلمي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٩م

٥٦ ـ عبد الحليم عويس ـ (الدكتور) ـ ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ـ طبعة دار الاعتصام .

٥٧ ـ عباس محمود العقاد (الاستاذ) ـ الله ـ الطبعة الثامنة ـ دار المعارف

٥٨ ـ علي سامي النشار (الدكتور) ـ مناهج البحث عند مفكري الاسلام ـ دار المعارف ١٩٦٥م .

٥٩ ـ علي سامي النشار (الدكتور) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ـ الطبعة الثامنة ـ دار المعارف .

٦٠ ـ عوض الله جاد حجازى (الدكتور) الفلسفة الاسلامية وصلتها باليونانيـــة
الطبعة الثانيـة ـ دار الطباعة المحمدية بالازهر ـ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م
٦١ ـ عضد الدين الايجى ـ صاحب المواقف ـ طبعة عالم الكتب ـ بيروت لبنان
٦٢ ـ فخر الدين الرازى ـ الامام ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيـــق
الدكتور على سامى النشار ـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م .
٦٣ ـ مالك ابن أنس ـ (الامام) ـ كتاب الموطأ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى
طبعة عيسى الحلبى ـ ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .
٦٤ ـ محمد بن السائب الكلبى ـ كتاب الاصنام ـ تحقيق الاستاذ احمد زكى بــك
طبعة الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤م .
٦٥ ـ محمد بن عبد القادر الرازى ـ الامام ـ مختار الصحاح ـ طبعة عيسى الحلبى
دون تاريخ .
٦٦ ـ محمد ابو زهـرة الامام ـ تاريخ المذاهب الاسلاميـة ـ دار الفكر العربـى
بدون تاريخ .
٦٧ ـ محمد غـلاب (الدكتور) الفلسفة الشرقية ـ طبعة البيت الاخضر ـ ١٩٣٨م
٦٨ ـ محمد الخضرى بك (الشيخ) تاريخ الامم الاسلامية ـ المكتبة التجارية الكبرى
بمصـر ـ ١٩٧٠م .
٦٩ ـ محمد فؤاد الهاشمى ـ الاستاذ ـ الاديان فى كفة الميزان ـ دار الكتـاب
العربى بمصر ـ دون تاريخ .
٧٠ ـ محمد عبد الله دراز (الدكتور) الديـن ـ مطبعة السعادة ١٣٨٩هـ ـ
١٩٦٩م .
٧١ ـ محمد اقبال ـ تجـديد التفكير الدينى فى الاسلام ـ الطبعة الثانيـــة ـ
١٩٦٨م .
٧٢ ـ محمد البهى (الدكتور) الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ـ الطبعـــة
الخامسة ـ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م ـ دار الفكر ـ بيروت لبنان .
٧٣ ـ محمد بن فتح الله بدران ـ (الدكتور) ـ الفلسفة الحديثة فى الميزان ـ
مكتبة القاهرة الحديثة ـ ١٩٦٨ .
٧٤ ـ محمد بن فتح الله بدران (الدكتور) المدخل الى كتاب الملل والنحل ـ مكتبة
كلية اصول الدين بالقاهرة تحت رقم ١٢٠ .

٧٥ — محمد جلال موسى (الدكتور) — منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية — دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٩٧٢م .

٧٦ — محمد عبد الغني شامة (الدكتور) بحوث في علم الاديان المقارن — مطابع المدني بمصر — بدون تاريخ .

٧٧ — محمد سيد احمد المسير (الدكتور) — المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨٠م .

٧٨ — محمد عزت الطهطاوي — المستشار — التبشير الاستشراق — طبعة مجمع البحوث الاسلامية — ١٩٧٧م .

٧٩ — محمود قاسم — (الدكتور) — المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي — الطبعة الخامسة — ١٩٦٨م — دار المعارف .

٨٠ — محمد جاد بسر الحيني — الدكتور — العقائد والاديان — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — بدون تاريخ .

٨١ — معجم البلدان — دار صادر بيروت للطباعة والنشر — ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧م .

٨٢ — نور الدين علي ابن ابي بكر الهيثمي — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد مكتبة القدسي — القاهرة باب الخلق — ١٣٥٣ هـ .

رقم الصفحة	اسم الموضوع
	المقدمة
	التمهيد وفيه مبحثان
١	المبحث الأول .. حياة الشهرستاني
	ويشمل هذا المبحث ما يلي :
٢	- أصله
٢	- مولده
٣	- اسمه وكنيته
٣	- لقبه
٣	- نسبته
٤	- حياته العلمية
٧	- مراحله العلمية
٩	- لقائه
١١	- مذهبه وشيوخه
١٣	- اشتهاره بالفلسفة
١٤	- اتهامه بالباطنية
١٦	- بيئته العامة
١٦	- الحالة السياسية
٢١	- الحالة الاجتماعية والثقافية
٢٩	- مؤلفاته
٢٩	- الكتب المخطوطة
٣٠	- الكتب المطبوعة
٣١	- الكتب المفقودة
٣٢	- نهاية المطاف
٣٣	المبحث الثاني .. علم تاريخ الاديان
٣٤	- مقدمة في تاريخ الاديان
٤٢	- المصطلحات العلمية الثلاث
٤٢	- أولا : معنى كلمة دين
٤٨	- ثانيا : معنى كلمة ملة
٤٩	- ثالثا : معنى كلمة النحلة

ـ تاريخ الاديان قديما	٥١
ـ العصر اليونانى	٥٣
ـ السوفسطائيون	٥٧
العصر الرومانى	٦١
ـ العصور الوسطى	٦٢
ـ العصر الاسلامى	٦٧
ـ اثار العرب المسلمين فى علم تاريخ الاديان	٦٩
ـ علم تاريخ الاديان حديثا	٧٣
الباب الأول	٧٨
أصول منهج الشهرستانى	
الفصل الاول ..	٧٩
ـ مفهوم المنهج	٨٠
ـ أنواع المنهج	٨١
ـ المناهج الرئيسية	٨٢
ـ المنهج التاريخى	٨٤
ـ اثار المسلمين فى هذه المناهج	٨٨
الفصل الثانى ..	
ـ روافد الشهرستانى فى التأريخ الاديان والمذاهب	٩٠
ـ مصدرين اساسيين	٩٢
ـ المصادر غير المباشرة	٩٩
ـ المصادر المباشرة	١٠٢
أ ـ مصادر اسلامية	١٠٢
ب ـ مصادر يونانية	١٠٥
الفصل الثالث .. مدخل الشهرستانى فى التاريخ للاديان والمذاهب	١٠٨
ـ الحديث المأثور الذى اخذ به الشهرستانى وغيره فى افتراق الامة	١٠٩
ـ الشبهة الاولى وما نشأ عنها من شبهات	١١٩

الفصل الرابع .. أساس التقسيم لتاريخ الاديان والمذاهب	١٢٦
أولا : التقسيم الجغرافى	١٢٧
ثانيا : التقسيم العرقى	١٢٨
ثالثا : التقسيم العقدى	١٢٩
المقدمة الخامسة	١٣٥
ـ آراء العلماء المتخصصين فى هذه المقدمة	١٣٧
ـ قواعد تقسيم الفرق الاسلامية	١٣٩
ـ الاقسام الرئيسية للفرق الاسلامية	١٤٢
ـ طريقته فى ترتيب الفرق	١٤٢
الفصل الخامس .. الاطار العام لمنهج الشهرستانى	١٤٣
أ ـ الاهتمام بالمقدمات	١٤٤
ب ـ الاهتمام بالمصطلحات	١٤٦
جـ ـ الاهتمام بالخواتيم	١٤٨
د ـ امانته فى العرض والنقل	١٥٠
الباب الثانى	
تطبيقات ومقارنـــــات	١٥٤
الفصل الاول .. عرض علمى لكتاب الملل والنحل	١٥٥
ـ تقسيم أهل العالم من حيث الاديان والمذاهب	١٥٦
ـ القسم الأول .. أهل الديانات والملل	١٥٦
ـ النوع الأول .. من له كتاب منزل محقق	١٥٧
أ ـ المسلمون	١٥٧
الشيعة	١٦١
الخوارج	١٦٣
المرجئة	١٦٦
المعتزلة	١٦٧
الصفاتية	١٧٠
ب ـ أهل الكتاب الخارجون عن الشريعة الاسلامية	١٧٢
١ ـ اليهود	١٧٤

٢ ـ النصارى	١٧٥
ـ النوع الثانى .. هم الذين لهم شبهة كتاب	١٧٧
١ ـ المجوس	١٧٨
٢ ـ الثنوية	١٧٩
ـ القسم الثانى .. أهل الاهواء والنحل	١٨٠
ـ النوع الأول .. الصابئة	١٨١
ـ النوع الثانى .. الفلاسفة	١٨٢
ـ النوع الثالث .. انواع العرب فى الجاهلية	١٨٦
ـ النوع الرابع .. فرق أهل الهند	١٨٧
الفصل الثانى .. مقارنة بين ابن حزم والشهرستانى	١٩١
ـ مقارنة بين منهج ابن حزم ومنهج الشهرستانى	١٩٢
الفصل الثالث .. تقييم الشهرستانى كمؤرخ للأديان والمذاهب	٢٠٣
ـ أولا : تقييم الشهرستانى من جهة مادته	٢٠٥
ـ ثانيا : تقييم الشهرستانى من جهة منهاجه	٢٠٧
ـ الخاتمة	٢١٣
ـ المراجع	٢١٧
ـ الفهارس	٢٢٣

* * *